دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر



العدد الخامس • السنة الثالثة
رجب 1379 • فبراير 1960
ثمن العدد 100 فرنك

تصدرها وزارة عموم الاوقاف
الرباط - المغرب

مدير المجلة
المكي بادو
رئيس التحرير
محمد الطنجي

دعوة الحق

العدد الخامس
السنة الثالثة
رجب 1379
يبراير 1960

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف . الرباط - المغرب

صورة الغلاف



تمثل الصورة جانبا من التوسعة الجديدة بالحرم النبوي الشريف الذي قام بزيارته فى اواخر الشهر الماضي صاحب الجلالة المعظم سيدي محمد الخامس ، وترى بالداخل قبة الحجرة الشريفة .

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» - قسم التحرير - وزارة عموم الاوقاف . الرباط - المغرب .

الاشتراك العادي عن سنة 1.000 فرنك ، والشرفي 2.000 فرنك فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لايقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حساب :
« دعوة الحق » الحوالة البريدية رقم 55 - 485 - الرباط -
DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT

أو تبعث راسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» - قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط - المغرب .

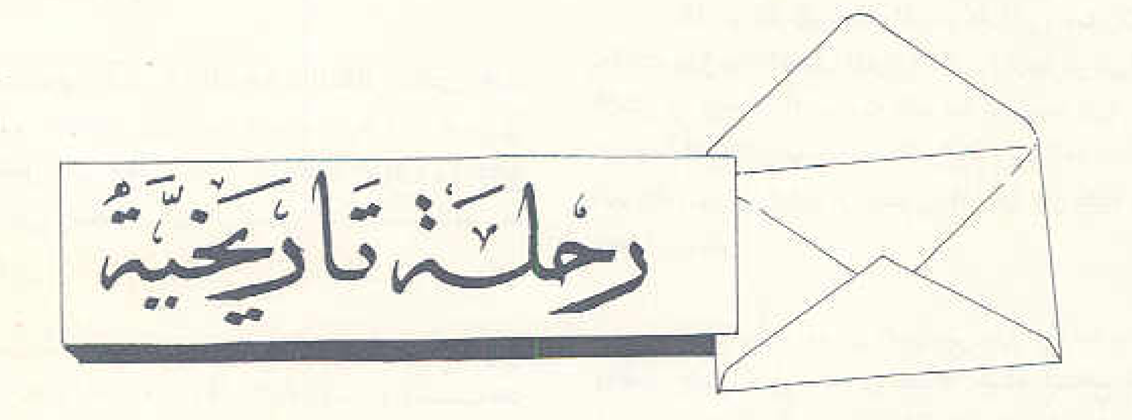
ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل مايتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط
تليفون 308.10 - الرباط

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد :



عندما يصل هذا العدد من « دعوة الحق » الى ايدي القراء الكرام ، تكون الزيارة الملكية الرسمية التي يقوم بها جلالة مولانا الملك المعظم الى البلاد العربية الشقيقة قد اشرفت على نهايتها .

ومنذ وقت طويل وقادة العرب وزعماؤهم ، بله الشعوب العربية الشقيقة كافة ، يترقبون هذه الزيارة الميمونة التي كانوا يرجون من ورائها أن يلتقي جناحا العروبة فى المغرب والمشرق فى لقاء حي يتمثل فى استقبال الملك المكافح بالعواصم العربية التي تكن لجلالته كل اجلال وتقدير .

واذا كان جلالة الملك يسجل بهذه الزيارة اول زيارة للبلاد العربية يقوم بها ملك مغربي فان البوادر الاولى التي بدت من البيانات المشتركة التي صدرت بهذه المناسبة حتى الآن تبشر بأنها ستكون رحلة تاريخية لا تقتصر على مجرد تبادل العواطف ، واظهار مراسم الحفاوة والتكريم وانما تتعدى ذلك الى أن تصبح رحلة تاريخية بكل معنى الكلمة ستترك أثرها انشاء الله فى تاريخ العلاقات بين الدول العربية وتوطيد دعائم جامعتهم العتيدة .

لقد كانت هذه الزيارة متمناة من جانب الملك المغربي الذي وقف الى جانب شعبه فى كل الظروف وفى جميع الاوقات مهما كانت حالته قاسية ، ولم يتردد فى أن يقدم وهو منشرح الصدر ثابت الجنان ، على التضحية بعرشه فى سبيل اسعاد أمته ، وكانت متمناة من جانب الملك العربي الذي لم يتردد، وسيف الاستعمار

حصلت على شعبه ، فى أن يعلن أن المغرب أمة عربية تربطها بأشقائها العرب وشائج لا تنفصم عراها ، وكانت متمناة من جانب الملك المسلم الحفيظ على مقدسات الاسلام وحامي حماه بالمغرب ، والذي يرعى الرابطة الاسلامية المتينة التي تربط بلاده بسائر الدول الاسلامية .

وكانت متمناة كذلك من جانب سائر العرب والمسلمين الذين يرون فى الملك المغربي العربي المسلم مثالا من أمثلة الاخلاص والتضحية والوفاء لمبادىء العروبة والاسلام ، ورائدا من رواد التحرير والاصلاح والتقدم يحظى بكل اجلال واحترام وتقدير فى سائر الشعوب الاسلامية والعربية، ويحتل مكانة مرموقة لدى سائر اقطارها وقادتها .

وهذا هو السر فى الترحاب التلقائي الذي يلقاه جلالة الملك اينما حل ونزل من بلاد العروبة وهو السر فى الآمال الكبار التي يعلقها العرب علىهذه الزيارة والنتائج المرجوة التي يتطلعون الى ان تسفر عنها لخير العروبة والاسلام .

ومنذ ان أحرز المغرب استقلاله والشعب العربي يتطلع الى هذه الزيارة ، ولكن شاء الله ، وشاءت الظروف التي اعقبت استقلال المغرب والتي جعلت الملك المكافح ينصرف بكل قواه الى الجهاد الاكبر فى سبيل بناء الاستقلال بعد الجهاد الاصغر فى سبيل احراز الاستقلال — أن لا تتم هذه الزيارة المترقبة الا فى هذا الوقت الذي تغطى فيه سماء العروبة سحابة كثيفة يخشى معها على الصف العربي من التصدع ، والذي تتضافر فيه جهود المخلصين من قادة العروبة الى لم هذا الصدع ، وجمع كلمة العرب من جديد .

لذلك كانت مهمة الرحلة الملكية مهمة سامية ، حيث سيتمكن جلالة الملك من بذل مساعيه الحميدة لتقريب وجهات النظر بين قادة العرب ، وتوحيد الصف العربي من جديد وتكتيل جهود الامة العربية فى سبيل رفع مستواها وتوحيد كلمتها ، حتى تستطيع ان تنصرف فى انسجام تام ووحدة مرصوصة الى البناء والتشييد واحتلال المكان اللائق بها بين الامم .

وجلالة محمد الخامس — نظرا لمكانته المرموقة بين الشعوب الاسلامية والعربية وغيرته وايثاره لمصلحة العرب والمسلمين ،واخلاصه وتفانيه فى خدمتهم — خير من يقوم بهذا الدور الاخوي .

ولقد جاءت البيانات المشتركة التي صدرت من جلالته ورؤساء الدول العربية التي زارها مبشرة بخير الآمال فى توحيد السياسة العربية وتوطيد أركان الجامعة العربية وعودة الصفاء والوئام بين اعضاء الاسرة العربية ، ورجوع الصف العربي الى ما كان عليه من وحدة ووئام .

وان الشعب المغربي الحريص على عروبته واسلامه والذي يضع كامل ثقته فى جلالة مليكه ليتطلع بكل شوق وتتبع الى ان تكون نهاية هذه الرحلة متفقة مع البشائر التي اهلت فى بدايتها ، ولاشك أن سعادته ستتحقق بالنتائج الايجابية التي ستسفر عنها الرحلة الملكية ، كما تحققت بحرارة اللقاء التي استقبل بها مليكه العظيم اينما حل ونزل من أرض الوطن العربي الكبير .

دعوة الحق

دواء الشاكين وقامع المشككين

- 2 -

للدكتور تقي الدين الهلالي

قال الله تعالى : « **يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون** .

العبادة غاية الحب فى غاية التذلل ، ولا يستحقها الا الله عز وجل لانه الخالق الرازق الذي تفضل علينا بنعمة الايجاد والامداد ، ولها اعمال واقوال تدل عليها، فاعظمها الدعاء وهو طلب جلب النفع او دفع الضر ، ومنها الاستغاثة والاستعانة والتوكل فى ما لا يقدر عليه الا الله كانزال المطر وشفاء المريض وكشف سائر الاضرار اذ هو الذي مهد لنا الارض وجعلها فراشا صالحة لان نسكن فيها ونسير فى مناكبها فى برها وبحرها وجوها وجعل السماء سقفا محيطا بنا حافظا لنا وانزل المطر من السماء فاخرج به لنا من انواع الثمرات ما لا يأتي عليه الحصر ولا يحده وصف .

والان ننظر ماذا فى السموات والارض من الاسرار والعجائب والحكم لنزداد علما ومعرفة وتعظيما للواحد الاحد .

قال علماء الفلك انه الى حد الان لم يتحقق عندهم ان الحياة باي نوع من انواعها موجودة فى أي جرم من الاجرام السابحة فى الفضاء ما عدا هذه الارض التي نعيش فيها ، قالوا ان عطارد لا يمكن وجود الحياة فيه لانه لا يواجه الشمس منه الا جانب واحد من جانبيه ، وهذا الجانب لأبد ان يكون صحراء حامية كالاتون ، وهو الفرن الذي يصنع فيه الخزف ، والجهة الاخرى جامدة شديدة الزمهرير ولا يوجد فيه هواء ، وان وجد شيء منه فانه غير مستقر بل هو فى عصف مستمر يندفع من جانب الى جانب .

واما الزهرة فانه يحيط بها ضباب وبخار وجوها ثخين لا يصلح للحياة باي شكل من اشكالها .

اما المريخ فهو الكوكب الوحيد الذي يمكن ان تكون فيه حياة كارضنا ، اما فى بدايتها او فى اول ظهورها وتميزها ، لكن الحياة فى المريخ ان كانت موجودة فلا بد ان تعتمد على غاز آخر غير الاكسجين والهيدروجين ، لان هذين يظهر انهما لا يوجدان فيه ، وجوه غير صالح للنبات على الوجه الذي نعرفه .

اما القمر فلا يمكن ان يمسك الهواء وهو الان غير صالح لان يكون مسكونا ، لان ليله شديد البرد الى حد يستحيل ان يعيش فيه حيوان او نبات ، واما نهاره الطويل فهو فى غاية الحر .

واما الاجرام السماوية الاخرى فهي بعيدة من الشمس فلا يمكن ان توجد فيها الحياة بأي شكل من اشكالها فتبين حسبما نعلم ان الحياة لا توجد الا فى ارضنا ، ولم تكن فى اول خلقها صالحة لوجود الحياة فيها فقد مضت عليها اطوار استغرقت بليونين او ثلاثة من السنين قبل ان تكون صالحة وملائمة لوجود الحياة حياة النبات والحيوان ثم توجت بايجاد الانسان الذي هو السيد المتصرف فيها باذن الله ، والارض تدور على محورها مرة فى كل اربع وعشرين ساعة او بمقدار الف ميل فى كل ساعة ، فلنفرض انها تدور على محورها بسرعة مائة ميل فى الساعة ، فحينئذ تكون

ايامنا ولياليها اطول مما هي عليه عشـرات المـرات ، فشـمس الصيـف الحامية تحرق جميع النبات وفى ليال الشتاء الطويلة يجمد كل شيء وتكون الحياة مستحيلة.

اقول للشاكين واساتذتهم المشككين ماذا تقولون فى هذه الدقة فى دوران الارض على محورها بالقدر الذي يصلح لحياة الحيوان والنبات لا اكثر ولا اقل . الا ترون وراء هذا النظام الدقيق علما وقدرة وتدبيرا مقصـودا محكما ؟ اتظنون ان هذا كله وقع على سبيل المصادفة فاين تذهبون ؟ .

والشمس التي هي مصدر جميع الحياة ، تبلـغ الحرارة على وجهها اثنى عشر الفا (فارنهايـت) ، وارضنا بعيدة من الشمس التي هي نار حامية بعـدا كافيا بالقدر الذي تعطينا فيه الحرارة الكافية لحياتنا لا اكثر ولا اقل . انه لنظام عجيب . ومع مضي الملايين من السنين لم تختلف حرارتها الا قليلا ولذلك بقيت الحياة مستمرة ، لو تغير مقياس الحرارة على وجه الارض حتى بلغ معدله خمسين درجة لمدة سنة لمات كل نبات على وجه الارض ولاحترق الانسان او جمد ، وتدور الارض حول الشمس بسرعة ثمانية عشر ميلا فى كل ثانية ، ولو ان سرعة دورانها كانت ستة اميال او اربعين ميلا فى كل ثانية لبعدنا كثيرا جدا من الشمس او لقربنا منها كثيرا وحينئذ لا يمكن ان تكون حياتنا على الشكل الذي هي عليه الان .

فمن الذي جعل دوران الارض حول الشمـس ثمانية عشر ميلا فى الثانية ، وقدر ذلك عالما به وجعله على القدر الذي تصلح عليه حياة الحيوان والنبات لا يزيد ثانية ولا ينقصها ، اليس هو العليم القدير .

« والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » .

والنجوم تختلف فى الحجم كما نعلم ، فمنها الكبير الى حد انه لو كان فى موضع شمسنا لكانت ارضنـا داخلة فى جوفه بعيدة من سطحه ملايين الملايين مـن الاميال ، والنجوم وهي شموس تختلف فى اشعاعهـا فبعضها ترسل اشعة قاتلة لا تصيب شيئا حيا مـن حيوان او نبات الا اهلكته ، بل لا يمكن وجود الحيـاة معها، وبعضها تعطي اشعة ضعيفة اقل من اشعة شمسنا بكثير جدا فلا تمكن الحياة معها .

ولو ان شمسنا ترسل نصف الاشعة التـي ترسلها الان فقط لجمدنا من شدة البرد ، ولو انهـا ترسل اشعتها خمسين فى المائة زيادة علـى مـا ترسلـه الآن لصرنـا رمادا منـذ زمـان بعيـد هذا اذا امكن وجودنا بالمرة على شكل ذرة الحياة الاولى التي تسمى عند علماء الحياة بروتوبلاسما ، فالاشعة التي ترسلها شمسنا موافقة بالضبط لما تحتاج اليـه حياتنا لا تزيد ذرة ولا تنقصها ، وهي واحدة من بين ملايين الشموس التي لا تصلح لحياتنا

اقول فمن الذي جعل اشعة هذه الشمـس مطابقة لما تستلزمه حياتنا لا زيادة ولا نقص ، اليس هو العليم الخبير ؟ **(وسخر الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سالتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار)** .

وقد بعجت الارض فى احدى زواياها عند الدرجة الثالثة والعشرين ، وهذا هو الذي نشأت منه فصول السنة الاربعة ، ولولا ذلك لكان القطبان فى غلس دائم ، والغلس هو اختلاط النور بالظلام كما يكون الامر بعد طلوع الفجر ، وحينئذ لا تصل اشعة الشمس الـى القطبين اصلا ، وفى هذه الحال تنشأ جبال هائلة مـن الثلوج والمياه الجامدة وتؤثر فى البحور المحيطـات فتضطرب وينشأ عن ذلك ضرر عظيم لسكان الارض .

اقول وفى ذلك برهان ساطع على ان الله قـدر الارض قبل خلقها ، ثم خلقها طبقا لتقديره وجعلها على نظام دقيق صالح لحياة العباد على احسن حال فتبارك الله احسن الخالقين .

وفى كـل شـيء لـه آية
تـدل علـى انـه الواحـد

فماذا يقول الشاك وماذا يقول المشكك فى هذه الادلة القاطعة ؟ ايتجرأ ان يدعي ان ذلك كله وقع على سبيل المصادفة رمية من غير رام ؟ ان تجرأ على هذه الدعوى يكون قد خرج عن دائرة العقل والانصاف واتصـف بالوقاحة والمكابرة لئلا يقيم العقلاء له وزنا .

والقمر يبعد عن الارض بمائتين واربعين ميلا ، ومع ذلك فان المد الذي يقع فى البحار مرتين فى كل يوم يذكرنا بتاثيره فى الارض ، ويبلغ ارتفاع الماء فى المحيطات بسبب المد ستين قدما فى بعض الاماكن .

وللمريخ قمر صغير لا يبعد عنه الا ستـة الاف ميل ، ولو ان قمرنا كان قريبا من ارضنا بان كانـت

المسافة بينهما خمسين ميلا فقط بدلا من المسافة الحاضرة لكان المد شديدا هائلا بحيث يغرق جميع الاراضي المنخفضة فى القارات كلها ، بل تبلغ قوته الى ان يزيل الجبال ويكسحها من اماكنها ، وحينئذ يتوقع ان يغمر الماء الارض كلها فلا يظهر شيء من القارات ، ويحدث المد فى الهواء عواصف هائلة كل يوم ، وفى هذه الحال لا يمكن وجود الحياة الا فى قعر البحار المحيطة .

اقول فمن الذي جعل القمر بعيدا من الارض بالقدر الذي ينفع ولا يضر ، فان المد الذي يحدثه القمر فى البحار ينفع الناس ، فلولاه ما امكن دخول البواخر الكبيرة من خليج البصرة الى شط العرب وهو النهر المتالف من دجلة والفرات فلا تصل البواخر الى عبادان ولا المحمرة ولا البصرة ، وبيان ذلك ان ماء النهر لا يكفي لدخول البواخر الكبيرة وسيرها فاذا جاء المد دفع ماء النهر الى الوراء فامتلا النهر وامكن سير البواخر فيه ، فاذا جاءت البواخر فى وقت الجزر تنتظر وقت المد لتدخل الى المراسي المذكورة ، وكذلك تفعل اذا ارادت الخروج منها ، وليست فائدة المد منحصرة فى ما ذكر فان سقي المزارع فى ناحية البصرة يتوقف على المد، فكل مزرعة او جنة يريد صاحبها سقيها فما عليه الا ان يفتح مدخل الماء من النهر او من احد فروعه قبل وقت المد فاذا جاء المد دخل الماء فسقيت المزرعة او الجنة بالقدر الذي يريده صاحبها فاذا اراد صرف الماء وقطعه عنها فما عليه الا ان يسد الشعب الذي يدخل منه الماء، وهناك فوائد اخرى فى المد حرفنا النظر عن ذكرها فسبحان الخلاق العليم .

ولو ان القارات زالت لغمر ماء البحار الارض كلها وصار عمقه نحو ميل ونصف وانعدمت الحياة الا فى قعر البحار المحيطة كما تقدم ، وبناء على القوانين الفلكية المعترف بها يرى علماء الفلك ان المد الذي يحدثه القمر فى البحار يدفع القمر نفسه ليبعده عن الارض ، وفى الوقت نفسه يؤثر بطئا فى دوران الارض من اقل من ست ساعات الى اربع وعشرين ساعة فى اليوم ، فالقمر الذي هو الان سمير للعشاق سيبقى مستمرا على نظامه البديع باذن الله لمدة بليون من السنين ، واولئك الفلكيون انفسهم يعتقدون ايضا طبقا للقوانين الفلكية نفسها انه سيرجع فى يوم من الايام الى الارض وينفطر حين يدنو من الارض جدا وتبيد الارض واهلها **(كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون)** .

اقول فمن الذي احدث ذلك التفاعل المفيد بين الارض وابنها الوحيد القمر لمصلحة العباد وسيحفظه كذلك الى يوم الميعاد ، ويومئذ تنفطر السماء وينشق القمر وتكور الشمس وتنكدر النجوم وتسير الجبال ، **(كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام)**

يقول علماء الفلك ان مادة الارض قد اقتطعت من الشمس على شكل خليط من العناصر الغازية تبلغ حرارته اثني عشر الف درجة والقيت فى الفضاء الذي لا نهاية له ، من ذلك تطورت الارض حتى صار لها نظام شمسي دقيق ، وكل طور من تلك الاطوار جاء مترتبا على ما قبله بتقدير وتطبيق فى غاية الاحكام ومنتهى الكمال لا يقع فيه اختلاف ولو فى بليون سنة .

اقول هذا كلام علماء الفلك وهو واضح فى الدلالة على الخالق العليم القدير الذي احسن كل شيء خلقه فتبارك الله رب العالمين .

(يتبع ....)

الإيمان بالله والاكتشافات العلمية الحديثة

للأستاذ: محمد الطنجي

من شأن الاكتشافات العلمية أن تزيد في لفت الانظار الى ما تنطوي عليه الظواهر الكونية من خواص واسرار ، وقد اخذ نطاق هذه الاكتشافات يلبس في هذه الايام حللا جديدة بغزو الفضاء واختبار اجوائه واقطاره ، وما فيه من خواص وجاذبية ، بل وقع التطلع الى ما في القمر من معادن وما يحتويه من كنوز يمكن ان يزيد باستخدامها العلم البشري اتساعا ، والحضارة الانسانية علوا وارتفاعا .

واذا كان رواد هذه الآفاق الكونية نبهوا شعور الناس الى اسرار علوم وامكانيات جديدة فان هذا الشعور ينبغي ان يقوي الايمان في كل النفوس بعظمة خالق هذه الاكوان بتقدير حكيم، يحفظ وجودها، ويحقق بها الخوارق للعادات بطرق علمية كانت في نظر العقول بعيدة المرام عسيرة الادراك ، وكل هذه المعارف والفروض والامكانيات لو تحققت لا تخالف القرآن بل تسير في المجال الذي لفت الانظار اليه وحض عليه ، فقد قال الله تعالى: **((اولم ينظروا في ملكوت السماوات والارض وما خلق الله من شيء))** ... كما اشار الى انه سيرى البشر هذه الاسرار ، بالفعل حتى يتيقنوا بربوبيته لكل شيء وعظمة قدرته ، التي لا نهاية لها ، قال تعالى : **((سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق او لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد ؟))** ..

بل ان القرآن لبلاغته الخارقة يشرك العوام مع الفلاسفة واصحاب المعامل التحليلية في الاستفادة من آيات ابداعه ، في خلق الاشياء وخواصها بما لم يسبقه اليها كتاب سماوي . انظر الى قوله تعالى: **((وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل، ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون))** .. فالعامي يدرك ان وحدة التربة والماء، وتأثير الشمس والهواء، ينبغي ان تكون الثمار الناتجة عن ذلك من نوع واحد متشابهة ولكن اختلاف شكلها ولونها وطعمها هو بقدرة الخلاق العليم سبحانه ، كما ان القياس الفلسفي يؤيد هذا المنطق ولا يزيده التحليل العلمي الا تاييدا واثباتا ، وقد استدل الامام الشافعي على وجود الصانع وقدرته بورقة التوت تاكلها الدجاجة فتخرج بيضة ، وتاكلها البقرة فتخرج لبنا ، وتاكلها دودة القز فتخرج حريرا ، .. وهو من نوع استدلال الآية السابقة، وقد تكلم الغزالي في كتابه (جواهر القرآن على افعال الله سبحانه) فقال : « ليس في الوجود الا الله وافعاله وكل ما سواه فعله ، لكن القرآن يشتمل على الجلي منها ، الواقع في عالم الشهادة كذكر السماوات والكواكب ، والارض والجبال والشجر ، والحيوان ، والبحار ، والنبات ، وانزال الماء الفرات ، وسائر اسباب النبات ، والحياة ، وهي التي ظهرت للحس، واشرف افعاله واعجبها وادلها على جلالة صانعها ما لم يظهر للحس ، بل هو من عالم الملكوت وهي الملائكة والروحانيات والروح والقلب ، اعني العارف بالله تعالى من جملة اجزاء الآدمي ، فانهما ايضا من جملة عالم الغيب والملكوت وخارج عن عالم الملك والشهادة » .

وان اساس ارتكاز الايمان في النفوس يبدا من الاعتراف بما وراء المادة ، من روحانيات ، هذا الاعتراف الذي يقود النفوس حتما الى الاعتراف بخالق الكون ، ومدبره وربه ومليكه ، وان تعصب بعض الشبان في مختلف الامم الذين اشربت قلوبهم حب الحضارة المادية عن الاعتراف بالخالق قد يقودهم ذلك التعصب الى انكار ارواحهم ووجودهم ، لان الانسان اذا لم يؤمن بغير الماديات التي يراها ويحس بها اخشى ان يلزمه انكار روحه ، وعقله فيقع له كما وقع للجهم بن صفوان ، وفي تاريخ البحوث والمناظرة امثلة من هذا ، فقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في كتاب التسعينية في الرد على الملحدة والزنادقة ، ان الجهم بن صفوان لقي ناسا من

المشركين يقال لهم السمنية فعرفوا الجهم فقالوا له : « نكلمك فان ظهرت حجتنا عليك دخلت فى ديننا ، وان ظهرت حجتك علينا دخلنا فى دينك » ، فكان مما كلموا به الجهم ان قالوا له : « الست تزعم ان لك الاها » ؟ قال الجهم : نعم . فقالوا : فهل رايت الهك ؟ . قال : لا . فقالوا له : فهل سمعت كلامه ؟ . قال : لا . قالوا ؛ فشممت له رائحة ؟ . قال : لا . قالوا فوجدت له حسا ؟ قال : لا . قالوا فوجدت له مجسا ؟ . قال : لا . قالوا : فما يدريك انه الاه ؟ قال : فتحير الجهم فلم يدر من يعبد أربعين يوما . ثم انه استدرك حجة من جنس حجة الزنادقة . الى ان قال ابن تيمية : فقال للسمني : الست تزعم ان فيك روحا فقال نعم . قال فهل رايت روحك ؟ قال : لا . قال : فسمعت كلامه ؟ . قال : لا . قال : فوجدت له حسا ؟ . قال : لا . قال فكذلك الله !

وقد اعترض ابن تيمية قبول الجهم لشبهة السمنية ، كما اعترض ما حكاه اهل المقالات عنهم من انهم ينكرون من العلوم ما سوى الحسيات فينكرون المتواترات والمجربات والضروريات العقلية قائلا ان هذه الحكاية لا تصح على اطلاقها عن جمع من العقلاء فى مدينة او قرية ، ثم اخذ فى تقرير هذه الاشياء التي لا يجوز لعاقل ان ينكرها ، والفائدة من جلب هذه القصة ان منطق المنكرين لغير الماديات يلزمهم انكار روحهم التي بين جنبهم ، فانها ليست بمادة ، واذا آمنوا بها — وانها شرط اساسي فى علمهم وتفكيرهم وقدرتهم كما هو معلوم — لزمهم الايمان برب هذه المصنوعات الكونية التي يفوق صنعها تصور العقل البشري وطاقة القدرة البشرية ، ويعترفوا مذعنين بما أمر الله رسوله ان يقوله للسائلين عن الروح : « **قل الروح من أمر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا** » كما يجب ان يعترف الكل بقوله تعالى « **وفوق كل ذي علم عليم** » ، « **وان الله احاط بكل شيء علما** » وان عظمة السماء بما فيها من افلاك تسبح فيها الكواكب ، والارض بما فيها من خواص واسرار وعجائب ... كل هذه المخلوقات اعجب واكبر من خلق الناس ، لا يقدر عليها الا الخالق العظيم ، كما قالت الآية : « **لخلق السماوات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون** » ...

على ان فى ذات الارض وفى نفس الانسان ما يرشده ويهديه اعظم ارشاد وهداية الى رب العالمين ، كما قال سبحانه : « **وفى الارض آيات للموقنين وفى انفسكم افلا تبصرون ؟** »

دعاء نبوي كريم

« اللهم اليك اشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين انت رب المستضعفين ، وانت ربي الى من تكلني ؟ الى بعيد يتجهمني او الى عدو ملكته امري ؟ ان لم يكن بك علي غضب فلا ابالي ، ولكن عافيتك هي اوسع لي ، اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والآخرة بان تنزل بي غضبك او تحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك » .

الإسلام دين القوة والعزة
عبرة من السيرة النبوية الكريمة

للاستاذ الفاضل صاحب الامضاء

ان السيرة النبوية عند المسلمين قدوة ومستخى عبرة لانها معيار صادق للعدالة وسند روحي يحيي الفضيلة فى المجتمع الاسلامي ويسعفه بما يحتاج اليه فى شتى مناحي حياته ، فيجد فيه الغذاء الكافي والدواء الناجع لما اصابه والم بـه من انحلال وضعف وخمـــول .

وقد اخترت ان تكون هذه الكلمة عن القوة والعزة التي كانت من مظاهر الاسلام والمسلمين يوم كانوا سادة العالم وحكامه العادلين المنصفين حتى تقارنها بقوتهم فى هذا الزمان الذي فقد فيه المسلمون تلك القوة فاصبحوا لقمة سائغة فى افواه المستغلين لايمكن ان يرجع اليهم اعتبارهم الكامل الا اذا عاودوا سيرتهم الاولى وادركوا من القوة مايجعل جانبهم مرهوبا من الاعداء وصداقتهم ومعاونتهم مرغوبا فيها من الاصدقاء وغيرهم على السواء ، اعني ان يكون لهم وزن ثقيل فى ميدان السياسة الدولية ، فمن المعلوم ان القوة والضعف من الامور النسبية فى هذا الوجود ، سواء فى الافراد او الجماعات او الدول ، فمن يستطيع من الافراد حمل نصف قنطار مثلا اقوى ممن لايستطيع حمله ، واضعف ممن يحمل القنطار الكامل، وهكذا تكون جماعة اقوى من جماعة ، وامة اقوى من امة ، فى العلوم او الفنون او العزمات النفسية او الحروب او غير ذلك من الامور ، والمسلمون كأمة او امم على مسرح الحياة لايخرجون عن هذه النسبة ، والمرء كثير بأخيه ، وقد يعتبر عزيزا بجماعته القوية ، وان كان ضعيفا ضعفا حقيقيا او ظاهريا ، كما قال قوم شعيب لنبيهم : وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك .

فمتى ارادت امة من الامم الانتصار على غيرها او افساح المجال لنشر مبادئها لابد ان تتكتل وتوحد صفوف جماعتها ، حتى تكون لها من القوة المادية والمعنوية ماتتكافأ بـه مع غيرها ، بل تزيد عليه لتستطيع التغلب والانتصار ، وهذه القوة تختلف بحسب الزمان والمكان ، ولكن من العوامل الاساسية التي لايستغنى عنها الصبر والثبات وقوة العزيمة النفسية ، وان المبادىء التي تكيفت بها المجتمعات البشرية قد كانت فى مبدا امرها فى دائرة ضيقة انتشرت بطريق الدعوة اليها حتى اصبحت افكار ومبادىء جماعة ثم مبادىء حياة امة سواء كانت افكار سياسية او مبادىء دينية . الا ان التاريخ يحدثنا ان المبادىء او الافكار لابد لها من قوة تسندها لتستقر استقرارا نهائيا فى المجتمعات البشرية ، فالدين المسيحي مثلا لم يستقر كدين لامة لو بقى على مبدئه الاول فى المعاملة ، من ضربك على خدك الايسر ادر له خدك الايمن ، لو لم يجد من يسنده بالقوة كالملك قسطنطين وامثالـه .

اما الدين الاسلامي فهذه المسالمة لاتضمن انتشاره ولا انتصاره وليس ذلك من طبعه ولا من عقيدتـه لانه يريد ان يكون قويا عزيزا وموقفه من الجماعات الاخرى ان يدخلوا فى السلم والاسلام الذي دعاهم اليهما او يقبلوا حمايته ويكونوا تحت ذمته وهم على ديانتهم او يكونوا معه فى حرب تنتهي بانتصار احد الفريقين والمسلم اما ان يعيش سيدا سعيدا او يموت شهيدا مجيدا ، فهو كما قال الشاعر العربي ابو فراس :

ونحن اناس لا توسط بيننا
لنا الصدر دون العالمين او القبر

وقد فاه المنافقون فى عهد الرسول بانهم اعزة وان الرسول فى زعمهم الفاسد لم يكن بهذه الصفة وانهم يستطيعون اخراجه من المدينة كما حكى الله عنهم ذلك فى قوله : وقالوا لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ، والحقيقة ان الاعز يخرج الاذل ولكن الاعز هو الله ورسوله والمؤمنون ، ولله العزة ولرسوله وللمومنين ، فالمومنون هم الذين يمكنهم اخراج المنافقين لانهم الاعزة اما الذلة لاتفسح له مجال نشر دعوته ولا تضمن انتشاره ولا انتصاره وليس تلك المسالمة الى حد قبول الصفع من توجيهاته الحيوية التي ترمي فى جوهرها الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال الله فى وصف المومنين « **الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر** » وقد بين النبي (ص) كيفية تغيير المنكر حيث قال من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان فامر النبي بتغيير المنكر باليد وبين ان الانتقال من التغيير باليد الى التغيير باللسان مشروط بعدم استطاعة تغييره باليد ، والمنكر قد يكون صادرا عن شخص كما يكون صادرا عن جماعة وما عجز عن تغييره الفرد لا تعجز عنه الجماعة وقد كانت قريش عقدت بينها حلفا فى الجاهلية يسمى حلف الفضول يتضمن نصرة كل مظلوم بمكة ، حيث تعاهدت على الا تجد بمكة مظلومات من اهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس الا قاموا معه وكانوا على من ظلمهم حتى ترد عليه مظلمته .

وحضر النبي (ص) هذا الحلف واشاد به بعد ان شرفه بالرسالة حتى قال لقد حضرت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ما احب ان لي به حمر النعم ولو ادعى به الاسلام لاجبت فهذا الحلف هو من باب تغيير الجماعة للمنكر ومن اعظم المناكر العامة فى البشرية منكر الشرك بالله فبعث الله رسوله بعقيدة التوحيد المنافية للشرك فكانت مهمة نشرها واعلانها صعبة وانزل عليه قوله (**فاصدع بما تومر واعرض عن المشركين**) فهل تحولت بسببه الجزيرة العربية من الوثنية الى التوحيد والدخول فى دين الاسلام بمجرد الدعوة واهمال الاستعداد والقوة ، واستعمال هذه القوة فى الوقت المناسب ام ان الاستعداد وقع واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم . وقال فى الاذن لاستعماله لرد عدوان المشركين على المومنين « **اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا آن يقولوا ربنا الله** » .

وقد كان الاسلام يريد ان يظهر امام اعدائه بمظهر القوة والعزة لا بمظهر الضعف والذلة فى كل مرحلة من مراحل كفاحه ، فقد داب النبي عليه السلام يدعو الى الله فى مكة بعد ثلاثة عشر سنة قبل الهجرة الى المدينة ويعرض دعوته فى موسم الحج على القبائل لتدخل فى دين الاسلام كما يعرض نفسه لتحميه حتى يبلغ رسالة ربه ، فاستجاب فى هذه الاثناء جماعة الانصار وفشت دعوة الاسلام فى المدينة فرات قريش ان محمد ابن عبد الله وجد سندا خارج مكة فصار لا يومن جانبه فتآمرت على قتله واغتياله بواسطة جماعة من الشبان من قبائل مختلفة حتى لا يقدر بنو هاشم على الاخذ بثاره منها مجتمعة ففشلت المؤامرة باذن الله لنبيه فى الهجرة الى المدينة ، فاجتمع شمل المسلمين بها ، وصار الاستعداد والمناوشات وفى النهاية الجهاد والقتال بين الرسول وبين قبيلته ، ومن اهم ذلك غزوة بدر التي انتصر فيها المسلمون ، وقتل فيها صناديد من المشركين ، وغزوة احد التي امتحن فيه المسلمون واستشهد فيها كثير من المومنين .

وقصد النبي زيارة البيت فمنعته قريش وكان الصلح على ان يرجع فى العام القابل لزيارة البيت الحرام فلما رجع اشاع اعداؤه ان حمى المدينة نهكت المسلمين ، فخرجوا ينظرون الى طواف المسلمين بين الصفا والمروة فقال النبي لاصحابه (رحم الله امرا اراهم اليوم من نفسه قوة) فصاروا يسرعون فى الطواف بين الصفا والمروة فكان هذا الطواف زيادة على كونه عبادة من مناسك الحج كاستعراض للقوة امام لخصم لهزم معنوياته وهكذا كان الشأن فى مظاهر الاسلام القوية فى مختلف المناسبات .

ومن اروع ذلك الاستعراض الذي وقع يوم فتح مكة حسبما رواه ابن هشام فى السيرة ، انه بعد ما اجار العباس بن عبد المطلب ابا سفيان حتى اسلم قال اي العباس قلت يا رسول الله ان ابا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا قال نعم من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ، ومن اغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فلما ذهب لينصرف قال رسول الله (ص) يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها ، قال فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادي حيث امرني

رسول الله (ص) ان احبسه قال ومرت القبائل على راياتها ، كلما مرت قبيلة قال يا عباس من هذه ؟ فاقول سليم فيقول مالي ولسليم ثم تمر القبيلة فيقول من هؤلاء ؟ فاقول مزينة فيقول مالي ولمزينة حتى نفذت القبائل ما تمر به قبيلة الا يسئلني عنها فاذا اخبرته بهم قال مالي ولبني فلان ، حتى مر رسول الله (ص) فى كتيبته الخضراء قال ابن هشام وانما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها قال ابن اسحاق فيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا الحدق من الحديد ، فقال اي ابو سفيان سبحان الله يا عباس من هؤلاء قال : قلت هذا رسول الله (ص) فى المهاجرين والانصار ، قال ما لاحد بهؤلاء قبل ولا طاقة ، والله يا ابا الفضل (كنية العباس) لقد اصبح ملك ابن اخيك الغداة عظيما ، قال قلت يا ابا سفيان انها النبوة ، قال (نعم اذن) فهذا اعتراف خطير من قائد حربي محنك هو ابو سفيان القائد العام للمشركين فى معركة احد ، وفى غزوة الاحزاب ، الا انا مع هذا كله نقول ان الباحث فى انتشار الاسلام فى الجزيرة العربية يكاد يجزم بأن الاسلام انتشر بطريق السلم فيها ، لان الغزوات التي حضرها رسول الله سبع وعشرون غزوة قاتل فى تسع منها وهي غزوات : بدر واحد والخندق وقريظة والمصطلق وخيبر والفتح وخنيس والطائف . وغزوة بدر التي لها اهمية كبرى فى انتصار الاسلام لم يبلغ القتلى فيها من الجانبين مائة قتيل ، كما ان معركة احد التي ابتلي فيها المسلمون واستشهد فيها عدد من المومنين كذلك لم تبلغ القتلى مائة قتيل بين الجانبين

اما غزوة الفتح فقد قتل فيها افراد فقط فى مناوشة صغيرة ، حتى ان العلماء اختلفوا هل فتحت مكة عنوة ام لا ؟ وهذا القدر من القتلى قليل بالنسبة لامة كثيرة العدد ، وهذا مايبين صحة قول النبي صلى الله عليه وسلم ونصر « بالرعب مسيرة شهر » وذلك تأييد من الله ، كما قال سبحانه : **هو الذي أيدك بنصره وبالمومنين والف بين قلوبهم .**

ثم بعد الفتح المبين تتابعت وفود القبائل الى رسول الله تدخل فى دين الله بدون حرب ولا قتال ، فسميت تلك السنة سنة الوفود ، وانزل الله على نبيه سورة من القرآن تنبيء بانتهاء مهمته من الرسالة ، وهي قوله سبحانه :**اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا »** . وقد قال ابن عباس لعمر بمحضر جلة من الصحابة هو اجل رسول الله اعلمه به . وقد قال عليه السلام فى شأن ظهور طائفة منصورة غالبة من امته : **لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى ياتي امر الله** وقال عليه السلام**المومن القوي خير واحب الى الله من المومن الضعيف وفى كل خير ...)** وقد فاه المنافقون فى عهد الرسول بما يفهم منه انهم اعزة وان الرسول لم يكن فى زعمهم بهذه الصفة فرد الله عليهم زعمهم بعدما حكى قولهم . « **يقولون لان رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمومنين** . فالرسول والمومنون هم الاعزة الذين يمكنهم اخراج المنافقين الذين هم الاذلة حقيقة ، كما هددتهم الآية الكريمة حيث قال الله : « **لان لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لايجاورونك فيها الا قليلا ملعونين ، اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا »** .

فما كان مستوى هذه القوة الاسلامية التي نوهنا بمظاهرها هذا التنويه بالنسبة للامم التي عاصرتها ؟ والجواب على هذا السؤال يتبين بعملياتها العسكرية مع الدول المعاصرة لها .

لقد كانت دولتا الفرس والروم هما الدولتان اللتان تتنازعان السيادة فى العالم القديم بجانب الامة العربية الفتية ، لهما العدة الحربية الكافية والعدد الوافر من الجيوش المقاتلة فحاربتهما هذه الدولة العربية جميعا، ، وصرعتهما جميعا ، وفرضت وجودها ولغتها ودينها وبسطت سيطرتها على اقوام هرقل وكسرى فى ايام وجيزة ، وهذا يرينا المستوى العالي الذي كانت تتمتع به قوة الامة الاسلامية بالنسبة لغيرها من الدول .

وقد ورث مغربنا العظيم هذه الروح الفياضة بمعاني البطولة والرغبة فى الاستشهاد يقول عبد الواحد المراكشي فى شأن انقاذ يوسف ابن تاشفين واصحابه للاندلس بعد أن كاد ملوك الطوائف المتخاذلين يسلمونها للاعداء بما فيهم المعتمد بن عباد (قال : لم يزل اصحاب يوسف ابن تاشفين يطوون تلك الممالك مملكة مملكة الى ان دانت لهم الجزيرة باجمعها ، ناظهروا فى اول امرهم من النكاية فى العدو والدفاع

عن المسلمين وحماية الثغور ما صدق بهم الظنون واثلج الصدور واقر العيون ، فزاد حب الاندلس لهم ، واشتد خوف ملوك الروم منهم ، ويوسف بن تاشفين فى ذلك كله يمدهم فى كل ساعة بالجيوش بعد الجيوش والخيل اثر الخيل ، ويقول فى كل مجلس من مجالسه : انما كان غرضنا من ملك هذه الجزيرة ان نستنقذها من ايدي الروم ، لما راينا استيلائهم على اكثرها وغفلة ملوكهم واهمالهم للغزو وتواكلهم وتخاذلهم وايثارهم الراحة ، وانما همة احدهم كاس يشربها وقينة تسمعه ولهو يقطع به ايامه ، ولان عشت لاعيدن جميع البلاد التي ملكها الروم فى طول هذه الفتنة الى المسلمين ، ولاملانها عليهم (يعني الروم) خيلا ورجالا لا عهد لهم بالدعة ولا علم عندهم برخاء العيش ، وانما همة احدهم فرس يروضه ، ويستفرهه او سلاح يستجيده او صريخ يلبي دعوته . فى امثال لهذا القول فيبلغ ذلك ملوك النصارى فيزداد فرقهم ، ويقوى مما بايدى المسلمين بل مما فى ايديهم يأسهم . وحين ملك يوسف امير المسلمين جزيرة الاندلس واطاعته باسرها ولم يختلف عليه شيء منها عد من يومئذ فى جملة الملوك ، واستحق اسم السلطة ، وتسمى هو واصحابه بالمرابطين ، وصار هو وابنه معدودين فى اكابر الملوك . ونفس هذه الروح العسكرية كانت لعبد المومن مؤسس دولة الموحدين بالمغرب . يحكي لنا عبد الواحد المراكشي ذلك حيث يقول : وكان عبد المومن فى نفسه سري الهمة ، نزيه النفس ، شديد الملوكية لايرضى الا بمعالي الامور ، اخبرني الفقيه المتفنن ابو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن ابي جعفر الوزير عن ابيه عن جده الوزير ابي جعفر . قال : دخلت على عبد المومن وهو فى بستان له ، قد اينعت ثماره ، وتفتحت ازهاره وتجاوبت على اغصانها اطياره ، وتكامل من كل جهة حسنه ، وهو قاعد فى قبة مشرفة على البستان ، فسلمت وجلست ، وجعلت انظر يمنة وشامة ، متعجبا مما ارى من حسن ذلك البستان ، فقال لي يا ابا جعفر اراك كثير النظر الى هذا البستان، فقلت يطيل الله بقاء امير المومنين ، والله ان هذا المنظر حسن فقال : يا ابا جعفر المنظر الحسن هذا ؟ قلت نعم ، فسكت عني ، فلما كان بعد يومين او ثلاثة امر بعرض العسكر آخذي اسلحتهم ، وجلس فى مكان مطل ، وجعلت العساكر تمر عليه قبيلة بعد قبيلة ، وكتيبة اثر كتيبة ، لاتمر كتيبة الا والتي بعدها احسن منها جودة سلاح وفراهة خيل وظهور قوة ، فلما راى ذلك ، التفت الي وقال : يا ابا جعفر هذا هو المنظر الحسن ، لاثمارك . واشجارك . ولم يزل عبد المومن يطوي الممالك مملكة مملكة ويدوخ البلاد الى ان دانت له البلاد واطاعته العباد » .

وهكذا كان الشان فى الشرق ايام صلاح الدين الذي استنقذ البلاد من الصليبيين وايام الخلافة العثمانية وتوغلهم فى تخوم اوربا ، ولكن دار الزمان دورته ، فرجحت فى الوزن الدولي كفة اقوام وشالت كفة الآخرين ، طبق مانطق به الذكر الحكيم : وتلك الايام تداولها بين الناس .

فالامة الاسلامية كانت فى مقدمة دول العالم فى ابان تكونها ، معتزة بنفسها ، فخورة بدينها ، لكن المسلمين المعاصرين غيروا ما بانفسهم من العزمات ، فتغيرت حالتهم ، ففقدوا الاتحاد والتعاون واعجبوا بهذه الديموقراطية الغربية المهلهلة الفاشلة ، ولكن قد بدا رؤساء المسلمين يدركون ما ينبغي ان يكونوا عليه من تعاون مثمر صادق ، وتوحيد فى السياسات الداخلية والخارجية ، واتخاذ المواقف المشتركة مع الدول الاستعمارية الظالمة ، ومن التسلح بالعلم واقتناء العدة . فعليهم ان يتخذوا جامعة اسلامية تتوحد فيها سياستهم الاقتصادية والعسكرية والديبلوماسية والثقافية والتربوية فى مواقف مشتركة موحدة امام جميع دول العالم ، ويكونون يدا واحدة على من ظلم اي عضو من اعضاء هذه الجامعة حتى يحس جميع المسلمين بالاخوة الاسلامية التامة الصادقة ، ولا يكون المومن مومنا حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه ، والمسلم اخ المسلم لايظلمه ولا يخذله ويسلمه ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون اخيه ، **ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين .**

ابو عبد الله

الدين ومذهب التحطيم

للأستاذ : أحمد عبد الغفور عطار

نطلع من حين لآخر ـ بواسطة رصيفاتنا من المجلات الثقافية العالمية ـ على مواضيع ذات قيمة كبرى تتفق فى اتجاهها مع الرسالة الروحية والادبية السامية التي تؤديها هذه المجلة لقرائها الكرام ، وتتمم ما نحرص على تقديمه لهم من نتاج رفيع .

ومن بين هذه المواضيع نقدم ـ نقلا عن مجلة « الوعي » ـ هذا المقال الهام لاخ لنا من الباكستان الشقيقة الذي يطرق فيه موضوعا حيا يمس جانبا اساسيا من جوانب حياة المسلمين خاصة والبشر عامة ، جانب الصراع بين الدين واللادينية : بين الروح والمادة ...

دعوة الحق

اثر الدين فى النفس الانسانية اقوى الآثار وابعدها نفاذا ، وهو لا يقف على منطق العقل وحده ، بل لعل منطق العقل يأتي متأخرا ، لان منطق الوجدان يسبقه ، ولان شيئا قبل ذلك يمهد لاثر الدين فى فى النفس تمهيدا ، ذلك هو الشعور بما وراء الحس ، والانسان بطبيعته متهيء لقبول اشياء كثيرة تتصل بالغيب او الخيال او العالم غير الواقعي ، فهو لا يربط حياته ربطا محكما بكل ما هو محسوس ، لان فيه روحا ينزع به الى الخلود ، والخلود مامل الانسان

ان كل ما يحيط به من المادة يفنى ، وقد فنى على يده اشياء لا يحصيها منها الحيوان ، ومنها النبات ، ومنها الجماد ، ولعل بين من افناه الانسان مثله .

وهو متهيء وجدانا الى ما يشعره بالطمأنينة الى عالم الغيب ، بل احسب ان الانسان منذ خلق ومعه غريزة التدين ، بل اعتقد ان غريزة التدين غريزة اصيلة فيه من الغرائز الامهات والاصول وعلم النفس لا ينكر وجود هذه الغريزة ، ولكنه جعل القياد كله لغرائز اخرى والعصر الحديث الذي نعيش فيه اضعف من سلطان غريزة التدين وخنق صوتها ، واطلق العنان للغرائز الاخرى ، فجرت فى الحلبة حتى سبقت غيرها سبقا .

وغريزة الدين فى الانسان هي كغريزة الجوع ، والانسان لا يستطيع الحياة الا بها ، لانها تمده بالراحة النفسية كلما استأسدت الازمات وتجهمت له ، وكلما شعر بالكرب القى بنفسه فى احضان الدين حيث يجد الطمأنينة والامن وبرد السلام والعدل وكل ما تنبعث منه الراحة التي يفتقدها فى العلوم جميعا .

والانسان مستعد بفطرته للدين وهو ليس ضرورة اجتماعية فحسب بل هو الضرورة التي لا تستقيم الحياة الا بها ، وليس فى وسعي تصور عالم من غير دين ، حتى المجتمع الشيوعي الذي انشأه الماركسيون على انكار الدين ووجود الله والانبياء والمرسلين لم يخل من متدينين يقومون بواجبهم الديني فى صمت وخفاء ، بل نجد هذا المجتمع غير الانساني قد استبدل بالدين العلم رغبة فى السيادة وتهديد الانسانية .

انه احل العقيدة العلمية محل العقيدة الدينية ، فوقع فيما هو واقع فيه من الاضطراب والجور والقلق والتاخر ، وفقد المثل والقيم ومقومات الاخلاق ، ويزعم اقطاب الشيوعية انهم ما يزالون فى « دور » التجربة ، اذا ما اخذ عليهم ما هم فيه من التاخر والتخلف عن الامم المتقدمة فى جميع شؤون الحياة .

وما ادري متى ينتهي دور التجربة ؟ ولكن الذي ادريه هو انه يكفي للدلالة على اخفاق مذهب ان يبقى اكثر من اربعين سنة فى دور التجربة .

وما كان العلم قط سادا مسد الدين ، فنحن نرى ملايين الناس تقبل على الموت راضية فى سبيل الدين ، ولا نجد مثل ذلك فى سبيل العلم .

وانسان الغابة الذي لا فرق بينه وبين الحيوان لم يكن محروما من الدين لانه انسان ، فكان يلقي فى الاحلام نوعا من امداد غريزة بالغذاء الروحي ، فهو يرى فى منامه الفا غائبا يزوره فيطمئن الى وجوده ويشعر بالراحة ، حتى اذا تقدمت به السنون وعرف عقله بعض وظائفه وصحا من منامه كان يرى الاحلام عالما سويا لا نهاية لحدوده ، وهذا العالم العجيب يمده بما يتمنى ويشتهي .

يرى فيه ظالمه قد اقتص منه ، فيشعر بالسعادة والعدل ، ويرى غائبه حاضر فيسر ، ويرى ميته قد نشر وبعث فيحس بالراحة ، ويؤمن بالبعث ، ومن هنا نشأت فكرة البعث عند الانسان كما يقول بعض الفلاسفة ، وهو وان كان صحيحا بالنسبة لمن لا يؤمنون بالدين الا ان فى وسعنا ان نعتبره من القرائن التي تقرب الى الدين فكرة الثواب والعقاب وفكرة البعث والنشور .

وقد ذكر الدهلي فى كتابه (حجة الله البالغة) الاحلام واستدل بها على حقيقة الثواب والعقاب بعد الموت وعذاب القبر استدلالا يؤيده الدين ولا يأباه المنطق .

ونخلص من هذا الى ان الانسان فى حاجة الى الدين اكثر من حاجته الى العلم ، ولنقرب الى بعض القراء ، اثر الدين نذكر ان الانسانية منذ عرفت الدين وعرفت العلم لم تجد امة باسرها تتسابق الى الموت والاستشهاد من اجل العلم ، اما الشهداء من اجل الدين فملايين ، اما ان يموت عالم فى مختبره فلا يعد استشهادا ، لانه قتل نتيجة غلطة فى مختبره او خطأ فى تجربته ، او قال بنظرية علمية رآها زمنه خروجا على الدين فقتله ، والعالم القتيل لا يرضى بالقتل اذا كان له حق الاختيار ، اما فى سبيل الدين فيستقبل الموت راضيا سعيدا ، فالقتل ـ هنا ـ نقله الى دار النعيم ، وهو حريص أن يهجر الشقاء الى السعادة .

ولست ادري كيف يتعامل الناس اذا فقدوا الدين او قذفوا به بعيدا عن مجتمعهم الذي يعيشون فيه ؟ **لا اتصور انسانا يحيا بلا دين ـ اي دين كان ـ والانسان فى لحظة من اللحظات يبعد عن الدين وقد ينكره ، ولكن يعود اليه نادما مستغفرا عندما تزول اسباب البعد وبواعث الانكار كما يزول اثر الجوع بعد الشبع . واذا صح هذا فى حياة الفرد فهو يصح فى حياة الافراد مجتمعين .**

الا ان البعد عن الدين ورحابه المقدسة لا يلازم الانسان حتى ينمحي اثر الدين كل الامحاء ، بل يجوز ان تطول الفترة وتقصر ، ثم اذا صفت النفس تشرق منها شمس الدين لتبدد ظلام الانكار او غيوم الشك والارتياب .

كذلك المجتمع اللاديني ، قد يطول الزمن الذي يبتعد فيه عن الدين او يشتد فيه انكاره اياه وهجومه عليه وعلى معتنقيه ولكنه عائد اليه مهما طال به الزمن .

والفرق بين مجتمعين آليين ماديين احدهما بدين وآخر لا بدين ، هو ان المجتمع اللاديني المتفخم آليا يتخذ سلاحه للعدوان لانه لا دين يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر ـ كالمجتمع الشيوعي ـ اما المجتمع المتدين فانه يتخذ سلاحه للدفاع .

ولست اقصد من هذا ان المجتمع المتدين لا يشهر سلاحه للعدوان ، بل هو يشهره اعتداء ، ولكنه يسوغ عدوانه ، فيستحيل عملا يراد منه الدفاع عن العقيدة او الانسانية ودفع الاذى عن الانسان .

ولقد ابتلى عصرنا بمذهب ينكر الدين ـ كل دين ـ وليس هو ببدع بين العصور التي سبقته ، فلم يخل كل عصر من دعاة مذهب الهدم ، فقامت من المسلمين انفسهم فرقة مع الشيوعية فى التحطيم الا وهي (الباطنية) ولكن الفرق بين عصرنا والعصور التي سبقته ان قوى الهدم الشيوعية استشرت وصارت لها دولة ذات كيان ، وهي ـ بعد ـ اتخذت كل وسائل الخداع للتسلل والتدمير .

ومع كل هذا فان الانسانية لن تصبح يوما من الايام ضد الدين ، بل اتجاه الانسانية الى محاربة اللادينية حتى من اصدقائها ، سواء العاطفون عليها او السائرون فى فلكها او المتظاهرون ببغضها او حبها نفاقا ورياء او جرا لمغنم .

وفى اعقاب الحروب عندما يزدحم الشعور بالقلق والمتاعب والشقاء يبحث الانسان عن الخلا ص فاما ان يجده في احضان الدين ، واما ان يتمرغ في اوحال الشهوات حتى ينسى آلامه ويهرب من واقعه الكارب الاليـم .

وعصرنا هذا عصر القلق ، وانسانه بائس مكروب، آلام تطعنه ، وازمات تستبد به حتى تخرجه من حد الانسانية القديم ، وما يكاد ينجو من ازمة حتى تحيط به ازمات تأخذه من كل اطرافه ، وما يستطيع منهـا فكاكا او خلاصا لانها تنبعث من قرارة نفسه ، وتتلاقى بازمات تستهدفه من خارجها ، فكانه بين فكين لا مفر من ان يطبقا عليه اطباقا ، فهـو مضطـرب لا قرار لـه .

وانسان هذا حاله ، وهذه حياته ، يريد خلاصا بأي ثمن ، والاتجاه المادي الخطر زاد من استئساد هذه الازمات وتوحشها ، ووضع الانسان وسط جحيم من الآلام التي لا تطاق ، فما طريق خلاصه ؟

الجواب : هو الدين ، ولـن يستطيـع مذهب اجتماعي ــ مهما كان انسانيا ــ ان يكون بديلا صالحا عـن الديـن .

وهنا يبرز واجب المسلمين الذين وكل اليهم امر قيادة العالم الى ما فيه صلاحـه وخيـره ، لان الاسلام اقام البرهان الصحيح على انه الدين الصالح للحياة بكل من فيها وما فيها ، ومن خير براهينه ان الاديان اخذ اتباعها يقلون الا الاسلام ، فان اتباعـه يكثرون ، ولعله ــ الان ــ اكثر الاديان السماوية اتباعا، فعددهم اكثر من اليهود واكثر من المسيحيين ، لان الشيوعية اكلت دولا مسيحية فى اوروبا كما ان روسيا التي كانت وطن مائة مليون مسيحي واكثر قـد استحالت شيوعية لا دينية ، فاذا طرحنا من عـدد المسيحيين فى اوربا او فى العالم عدد سكان روسيـا وبولندا والمجر ويوغسلافيا وكل الامم التي استبعدتهم فان من يبقى منهم بعد اقل من المسلمين .

فهل قام المسلمون بواجبهم ؟

يؤسفنـي ان اقول : لا .

وانا اعـرف جماعات اسلاميـة فى الهنـد وفى باكستان وافرادا فى العالم الاسلامي والعربي يقومون بواجب الدعوة ويعلنون مزايـا الاسلام ويعرضـون حقيقته ، ولكن هذا النشاط محدود لا يكفي لاظهـار الاسلام والدعوة اليه بين الشعوب الاوربية وغيرها ، بل لابد من نشاط الحكومات الاسلامية حتـى نقـف امام خداع الماركسية ونمنع تسللها ونقضي عليها قبل ان يقوم لها كيان فى ربوع البلاد الاسلامية ، وحتـى نستطيع الى نشر الاسلام سبيلا لننقذ العالم .

فالاسلام بخير ، وسيظل كذلك حتى يرث الله الارض ومن عليها ، وما زالت الامـة الاسلامية امـة متدينة اكثر من الامم المتقدمة تقدما حضاريا عظيما ، ثم هناك فرق بين دين الاسلام واديان الامم الحضارية الحديثة فى النوع ، لان دين الاسلام قائم على اسس لا تمتد اليها يد الفناء والضعف ، اسس مبنية علـى الروح والمعاني والقيم ، اما اديان الحضارة فمادية ، وشتـان ما بينهمـا .

ان واجب المسلمين ــ حكومات وشعوبا ــ جد عظيم فى هذا العصر ، فاوربا ــ التي خرجت مـن الحرب مثخنة بالجراح مليئة بالآلام ، غارقة فى بحـار الدموع والدماء ــ تربة خصبة صالحة للاسلام ، وقد اسلم فيها كثيرون وجدوا فى الاسلام ما كانوا يتمنون من راحة وسعادة وطمأنينة ، ومع ان التغيير ــ بعـد اسلامهم ــ لم يزد فى رخائهم المادي الا ان الطمأنينـة النفسية التي ملأت رحاب نفوسهم جعلت حياتهـم مسرة وراحة ونعيما، فهم صابرون على التعب المادي، ولكنهم منعمون بالراحة النفسيـة .

انهم كانوا من قبل فى تعب مادي وتعب نفسي ، وتخلصوا من التعب النفسي بعد اسلامهم ، ويكفـي هذا ، فقد تخلصوا من عدو فى داخل نفوسهـم كـان يفتك فيها فتكا ، وشعـروا ببشاشة الانسانية مـن جديد على يد الاسـلام .

لقد اصبح الجو صالحا للاسلام ، وان نظمـه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية كفيلة ان تفتح له ابواب النفوس الضالة الحائرة ، ولا تحتاج الا الى مئات من الدعاة الفاهمين يجوبون الاقطار فيجـدون امامهم السبيـل ممهـدا .

فهل تقوم الحكومـات الاسلامية بهـذا الواجب الانساني وتعمل لانقاذ الانسانية ممـا هي فيه مـن الشقاء ، وتبدل خوفها امنا ، وشدتها رخاء ، وتعبها راحة ، وتحرس المجتمع الانسانـي من شيطـان الماركسية ببناء صرح الحضارة والمدنية والانسانية ؟؟..

عن مجلة « الوعي » الباكستانية

كيف نكون مجتمعاً إسلامياً ؟

للاستاذ محمد المريني

من المسائل المسلمة ان القوانين ــ ارضية او سماوية لا يظهر اثرها الا اذا سهر على تطبيقها اشخاص اقتنعوا بصلاحية احكامها التي تميز الخبيث من الطيب وتظهر الصالح من الطالح فيتمتع بها اقوام ، ويردع بها آخرون ، ويطمئن اليها اولوا العزم والحكمة ، ويهاب سلطانها ذوو النفوس المريضة . ذلك ان الحكمة الالهية اقتضت ان يخلق الناس وقد اختلفت نفوسهم وعقولهم ، فمن مسالم لاخيه الانسان يسعى لما فيه خيره وخير اخيه ، ويعمل لما فيه صلاحه وصلاح بني جنسه ، ويرفع من مستوى نفسه ومستوى رفيقه فى الحياة ، ومشاكس طبعت نفسه على الشر يسعى لما فيه الشر له ولاخيه ، ويسهم بشيوع الفساد بينه وبين جنسه ، وينزل بمستوى حياته وحياة رفقائه الى مرتبة احط من مرتبة الحيوان الاعجم ، فكان لزاما والحالة هذه ان تسن قوانين وتختط أحكام يتحاكم الناس اليها اذا ما دعا بينهم داعي النزاع ، وغرقوا فى بحر من اللجاج والخصام لتفل شوكة الخصام وترد الحق الى نصابه والعدل الى مكانته .

وقد ظهرت القوانين اولا فى شكل عادات واعراف اصطلح الناس عليها ، وتواطئوا على اعتبارها اسسا لحياتهم لا يحيدون عنها ، واعتبروا ان السير على منهاجها والتحاكم اليها هو المثل المنشود فى الحياة ، ثم تطورت فى الاسم والشكل واصبحت تحمل اسم قانون ومسطرة على ما يفترض فى وجودها ــ ومنذ وجود الانسان ورسل الله الى البشر تترى بقوانين الهية ، واحكام سماوية تصلح ما اعوج من الاعراف والعادات وتهذب ما تواطا عليه الناس من القوانين والاحكام لما عرف من زيغ الناس فى اعرافهم وعاداتهم ، وانحراف الاقوام فى قوانينهم واحكامهم ، وقد كلف الله النبيئين والمرسلين بالسهر على تلك القوانين والسعي لتطبيقها بين البشر حتى يعم عدل الله وتتم كلمته فى الارض التي هي عبارة عن امن يسود بين كافة البشر وسلام ينتشر بين المخلوقات واخوة صادقة تربط بين بني الانسان فى سائر الميادين .

غير ان القوانين التي بعث بها الرسل ارتكزت على أساس استمدت منه وجودها وتحتم على متبعيها ان يتدنوا منه الا وهو الانقياد التام والاستسلام المطلق لقوة قاهرة مدبرة حكيمة تعرف مصالح الناس وتعلم حق العلم الوسائل لاخلائهم وتوادهم .

ودينا الاسلامي لم ينبثق فى اسمه ومعناه الا عن هذا الاساس ، وبذلك كون وحدة متماسكة الاطراف بينه وبين سائر الاديان التي جاءت بها الرسل فلنتدبر قوله تعالى « **وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا الاه الا انا فاعبدون** » ولنفكر فى القرآن وهو يحكي عن النبي نوح : « **وأمرت ان اكون من المسلمين** » ولننظر قوله تعالى فى حق رسوله ابراهيم : « **ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين ، اذ قال له ربه أسلم ، قال اسلمت لرب العالمين** » ، ولنتأمل النبي يوسف وهو يتضرع الى ربه قائلا « **انت وليي فى الدنيا والآخرة ، توفني مسلما والحقني بالصالحين** » ولنمعن النظر فى خطاب موسى لقومه بقوله : « **يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين** » ولنتبصر لما ورد فى القرآن عن عيسى وقد اجابه حواريوه « **نحن انصارا لله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون** » ــ وانما أجمعت الاديان على الابتداء بطاعة الله عز وجل لان النفوس الابية لا تستسيغ قانونا وضعه فرد او جماعة ولا تنفذ احكاما شرعها اشخاص يمكن ان تظن بهم الظنون فيسيروا مع هواهم ، ويراعوا مصلحتهم على حساب مصلحة الغير ، فكان الرجوع المشترك الى قوة مدبرة باعثا على الاطمئنان الى القانون ومصدرا للاذعان اليه ، فلا تجد نفس اشمئزازا وهي ترجع الى قوة يرجع اليها الجميع ، وتتصرف فى حكم الجميع وتسن القوانين لمصلحة الجميع ، ولا تهون

اي نفس امام قانون موحد ومسطرة موحدة لا فضل لاحد على آخر ، ولا مراعاة فيه لفرد دون آخر وأعظم بقانون يرفع نفس الانسان الى ربها فيخاطبها من غير وسيط ولا ترجمان ويكلفها بان تراقب نفسها وتراعي ربها في اعمالها الدينية والدنيوية كما يربأ بالانسان أن ينساق مع الهوى او يتسرب اليه الخيال فيدعوه الى الحياة الكريمة ويتعهده بتعبدات ترفع نفسه عن الرذائل وتسمو به الى الحضرة الالهية مع اجابته لرغباته واهوائه المادية في التمتع بدنياه في حدود الفضيلة والمصلحة العامة وعدم الاضرار بالغير **« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين »** .

وبناء على ما ذكر فهل هذا القانون لم يحقق مصالح الناس واهدافهم في الحياة حتى حادوا عنه وجعلوه وراء ظهورهم ؟ او وجدوا قانونا يضمن لهم ما هو احسن واجدى فاتبعوه وتركوا القاصر ؟ كلا والف كلا ذلك أن من فكر في حالتنا الاجتماعية ، وامعن النظر فيما عليه بعضنا من بؤس وضلال وحيرة واضطراب فانه يرجع سبب ذلك الى عدم الاخذ بطريقة تهدينا سواء السبيل ، وتقينا شر البؤس وحيرة الضلال وخلق الاضطراب وتحقق لنا اهدافنا ومصالحنا القريبة والبعيدة وليست الطريقة التي تضمن لنا كل هذه المحاسن الا طريقة اتباع احكام الاسلام وتعاليم الشرع ومبادىء الدين الحنيف ، وسوف لا يرفض هذه الفكرة الا من جهل قيمة هذه التعاليم ومقدار ما تؤديه من نفع وخير لا لمن يتدين بها فحسب بل حتى لمن يعايشه ويساكنه ، اذ مبادىء الاسلام تسالم كل الناس ، وتحرم الظلم والعدوان بالنسبة لكل الناس ولا تحارب الا من حارب المسلمين او اعتدى على حق من حقوقهم المادية او المعنوية ، غير ان بعض الناس نبذوا هذه القوانين لاسباب استعمارية اولا ولكون الذين اثرت فيهم هذه الاسباب لم يتشبعوا بروحها ولم يربوا بها ارواح من هم تحت ولايتهم . ثانيا : فضاعت احكام الاسلام واستعيض عنها بقوانين استعمارية تحقق مصالح المستعمرين على حساب من فرطوا في قوانينهم السماوية ، وها هو شبح الاستعمار قد زال وترك ظله ممتدا على خصوص النفوس القلقة الحائرة التي عميت عنها سبل الرشاد واخطأت طريق الفلاح فخيمت عليها الحيرة وفقدت الثقة والاطمئنان . فما هي السبيل لعلاج المشكل ؟ وكيف نتحرر من هذه الحالة التي اصبحنا نئن تحت وطأتها ؟ .

ينحصر العلاج في الرجوع الى التعاليم الاسلامية والمبادىء المحمدية ، غير ان الدعوة للرجوع الى الاسلام كثيرا ما اثيرت في المحافل والمجالس ، وكثيرا ما نودي بها من فوق منابر المساجد والجوامع،ومع ذلك لا نجد بعض الناس الا متمادين فيما هم عليه ، فما بال هذه الدعوة لاتجد آذانا صاغية ؟ وما شأنها لا تحتل محلا في القلوب ؟ الجواب هو ان الدعوة للرجوع الى الاسلام تستلزم توطئات وتمهيدات وتقتضي ازالة للعقبات وتهيئا للنفوس التي تتقبله ، فالمبادىء قائمة والاحكام موجودة ، والنظم ثابتة وصدق الله العظم **« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »** ، **وعليه فيجب تمهيد السبيل بنشر احكامه وتعاليمه ، كما اتى بها محمد ص بين سائر الناس وفي جميع المحلات ، ويجب أن تنظم محاضرات دينية تلقى في محافل مختلفة ومجالس منوعة واندية متعددة يحضرها الناس على اختلاف مشاربهم وثقافاتهم واتجاهاتهم ، باساليب شيقة تجلب اليها النفوس وحجج دامغة تثبت صلاحية حكم الاسلام لكل زمان ومكان ومرونته للسير مع كل المقتضيات العصرية مع التصدي لهدم كل ما ألصق بالاسلام من الخرافات والخزعبلات التي ينسبها له أشخاص غير مشبعين بروح الاسلام ، وليتبع في ذلك الكتاب العزيز والسنة النبوية الطاهرة كما يمهد له بطرق المواضيع الاجتماعية التي من شأنها أن ترغب اليه الناس وتشربهم حبه : كمسالة التعاون والتكافل الاجتماعي ، وحق الفرد العاجز على مواطنيه ومطالبة الجماعة بتوفير الحياة الكريمة لكل الناس ، وتشجيع العملة على العمل الجدي المتقن ، وبيان القيمة التي يعطيها الاسلام للمحترف والعامل ، ومسالة تاسيس المنظمات الخيرية التي هي مظهر من مظاهر الاخوة في الاسلام** الى غير ذلك من الانظمة الاجتماعية التي تتشدق بتاسيسها المذاهب السياسية الحديثة والتي تحقق مصالح واضعيها على حساب الطبقة الشعبية .

وبجانب المزايا التي يضمنها الاسلام للمسلمين اذا هم اتبعوا احكامه وقوانينه نشعر المواطنين بالواجبات التي عليهم نحو انفسهم واخوانهم المسلمين اذ الاسلام يجعل الحقوق بجانب الواجبات حتى يعم الرخاء والهناء والعيشة الكريمة بنفس سامية وروح معلقة بالملكوت الاعلى ، وكيف لا يحقق ذلك وهو يربط الافراد برباط المصلحة المشتركة ، وكيف لا يضمن الحياة الكريمة والاستقرار المكين وهو يرفع هاماتهم وابصارهم الى ما هو اعلى واسمى من الحياة الارضية

ويهيب بهم الى التماس النفع للجميع والى دفع قوى الشر والفساد ومحاربة العدوان والطغيان .

اليس يفرض بطريقة لا هوادة فيها القيام بالخير لصالح الجميع حين يامر بقوله جلت حكمته : « **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون** » ان الآية تنادي بتكليف الامة الاسلامية جمعاء بما فيه صلاح الامة جمعاء لا يتفشى فى الامة تملص من هذا الواجب المقدس الا اصابتهم نتيجة التواكل وحلت بهم عاقبة التملص من المسؤولية ـ انها اشعار للامة بمسؤوليتها التي يجب ان تتحملها فى كل اطوار حياتها :

الدعوة الى الخير : كل ما هو من افراد الخير الشامل العام وكأن الله فسره بقوله ويامرون بالمعروف: كل ما تعارف الناس عليه انه خير ومصلحة : توفير الصحة للجميع صحة الابدان باطعام الطعام وحفظها من الافات وصحة العقول باخراجها من ظلمات الامية والجهل والغفلة ، وتوفير التمتع للجميع وتوفير الاستقرار فى العقل والثبات فى النفس والسمو فى الروح والهدوء فى الضمير ـ النهي عن المنكر كل ما تنكسره النفوس وتجنح عنه العقول : المرض ، الجهل ، الفقر ، الاضطراب ، الحيرة ، هون النفس ، الغطرسة ، الكبرياء، الحقد الى غير ذلك مما لا تستسيغه نفوس أبية شريفة .

وقد حصر الله الفلاح فى حق اولئك الاشخاص الذين يقومون بهذا التكليف العسير ، واعظم بفلاح يقصره الرب سبحانه على اشخاص يقومون بواجب مقدس ، انه تكليف ليس بالهين ولا باليسير سيما وهو يصطدم بشهوات الناس ونزواتهم وضمنهم الجبار المتكبر والحاكم المتسلط والاناني المستاثر والمطبوع على الشر المتمرد لكنه مع ذلك تكليف محبب الى النفس المومنة بالله التي لا تعتز الا به ولا تخشى الا اياه .

ويكاد الاجماع ينعقد على ان هذا الفرض كفاية متى انتدبت له طائفة من بين الامة حسبما يشعر به تعبير « منكم » سقط الطلب عن الباقين مع اننا لو تدبرنا فى التهديد الوارد فى حق تاركه والوعيد المترتب عن التواكل فى امره لما استطعنا ان نقطع بأنه فرض كفاية لنتامل قوله (ص) وهو يؤكد ما فرضه القرآن ويوضح ما عناه الفرقان وينص على العقاب الذي يصيب المتهاونين به : « **والله لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتاخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق اطرا ولتقصر نه على الحق قصرا او ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض** » بل لنمعن النظر الى التكليف العام الذي لا يفلت احدا والذي يجعل كل فرد على حدة مسؤولا فى قوله ص « **كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته** ـ الحديث »

السنا نرى انه يبدا بتعميم يقتضي تعين الفرض على كل احد ويختتم بتعميم ايضا حتى اذا ما عقل الانسان وكبر ولم يجد بجانبه من هو تحت مسؤوليته فهو مسؤول على الاقل على رعاية نفسه وتهذيبها وامرها بالمعروف ونهيها عن المنكر اليس ذلك معنيا بالجهاد الاكبر فى قوله ص « رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر » ؟ فكيف تغفل الطائفة التي تملصت بحجة قيام الغير بواجب الدعوة الى الخير ؟

ومن المعلوم ان المسؤولية تكون امام من هو اعلى من المسؤول ، فامام من يسال كل فرد من المذكورين فى الحديث ؟

لكي نعرف الجواب يجب ان نتذكر ان الاسلام لا يجعل واسطة بين الشخص وربه ، فالله الواحد المختار هو الذي شرع ، وهو الذي سال ، ولا يسال انسان امام احد سوى الله المشرع جلت قدرته ولا يتحاسب الانسان الا مع ضميره الذي لا يطلع عليه احد سوى الله ، فالعلاج يجب ان يبدا اولا بتهذيب النفوس وتصفيتها وجعلها مستعدة لتحمل مسؤوليتها امام ربها ، ثم يجب ان تزال العقبات من وجهها ويفسح لها المجال حتى تؤدي واجبها من غير تهاون ولا تواكل ، واخطر العقبات التي يجب ان تزيلها من طريق الشخص الذي نريده على اتباع احكام الاسلام المغريات والمهيجات التي تدفع بالانسان الى الانسياق مع الهوى ـ والافلام الخليعة اكبر معول لهدم الروح الاسلامية من الانسان ـ .

فاذا احيط الشخص بسياج من مكارم الاخلاق وهيئت نفسه لاتباع احكام الشرع فى مختلف اطوار حياته امكنه ان يكون مسلما متبعا لاحكامه .

وأعداء الانسان فى مختلف مراحل حياته هو ما عالجه حديث كلكم راع حيث اشعر كل مسلم بمسؤوليته اولا ثم فصل ميادين المسؤوليات : فاشار الى ان المدرسة الاولى للطفل تتحمل اكبر قسط من المسؤولية لاشعار طفلها بمسؤوليته عن طريق القيام بما يفرضه الدين اولا والسير حسب تعاليمه وثانيا بتلقينه المبادىء الاولية التي تنير طريق الاسلام امامه : فليسهر رب المنزل على

زوجته وابنائه ومن هم تحت ولايته من اخوة واقارب وخدم حتى يؤدوا واجباتهم الدينية فى مطلع حياتهم ، فتنطبع نفوسهم على القيام بالواجب فى الكبر وقديما قيل يشيب المرء على ما شب عليه ، فاذا ظهر أمام من هم تحت ولايته بمظهر الصلاح والرشاد وادى الشعائر الدينية خير تادية ، ولم يصدر عنه امامهم ما يخل بالتعاليم الاسلامية كالكذب والغش والغيبة والنميمة والاثرة التى تدفعه الى حب نفسه واهله وجلب النفع لهم ولو على حساب الغير ، واقتنى بينهم حب الخير والنفع للمسلمين ، ولقنهم ان الانسان لا يعيش لدنياه فقط بل هناك آفاق اعلى من الواقع الارضي يجب ان يعمل الانسان للوصول اليها ، اذا قام بكل هذا أمام من هو مسؤول عنه ، فانه يكون قد بذر نواة صالحة فى المجتمع يصلح المجتمع بصلاحها بشرط ان لا يلاقي الانسان فى الاوساط الخارجة عن منزله انحرافا وزيغا عما اعتاده ممن رباه بالمنزل .

وفى هذا الميدان أشرك الرسول المرأة التي هي العمدة فى تربية رجال الامة فى هذه المهمة الشاقة واعتبرها مسؤولة عن بيتها فى التدبير المنزلي والتربية الدينية للابناء فيجب ان تكون تصرفاتها وأعمالها ملائمة للروح الدينية حتى اذا خرج ابناؤها الى المجتمع وجدوا انفسهم مشبعين بروح الاسلام ، فسهل على المدارس التي يقصدها الاطفال تنشئتهم نشأة دينية ، وبهذا يقع تجاوب بين المدارس والمنازل .

ثم ان نفس المسؤولية التي يتحملها الزوجان فى المنزل ، يتحملها اولياء الامور من الامام الى مقدم الحي خارج المنزل ، فهم مسؤولون عن تصرفات الناس وسلوكهم لا فى المحاكم فحسب بل حتى فى السير الاجتماعي والسلوك المدني ، وبذلك يعم التعاون وينتشر الاخاء ويسود الرخاء والهناء .

ويزيد الحديث بعد ما يخصص مسؤولية الامام امام رعيته ومسؤولية الابن والخادم فى مال أبيه وسيده ومسؤولية المرأة فى مال زوجها ، والمال بمعنى المتمول الذي له قيمة ـ اقول يزيد الحديث فيعمم فى الاشعار بالمسؤولية فى آخر الحديث كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ليبين انه يدخل حتى فى تجارة الاجانب وصنائعهم ، فالانسان مسؤول عمن تحته من عمال واجراء وخدم وغيرهم ، فلو كان رب المعمل والمصنع او المتجر او غيرها مشبعا بروح الاسلام لما امكن التخاذل فى شان هذه القوانين : فليشعر امين الحرفة اهل حرفته بواجباتهم : وهو مسؤول اذا لم تطابق اعمالهم تعاليم الاسلام ، وليبين لهم ان الربح الذي يجب ان يسعوا لاكتسابه ليس هو كنز الدراهم والدنانير بل محبة الزبناء والنصح لهم ، وليشعر رب المعمل عملاء وصنعاء بواجبهم الديني وليهيىء لهم الجو الصالح لذلك وليقنعهم ان الائتمان وعدم الغش هو الذي يوفر لهم السعادة والهناء وليتنازل ارباب المصانع والمعامل فلا يستاثرون بالارباح الطائلة ليسود المعمل او المصنع جو من الاخوة والمحبة ، وبذلك يقبل المواطنون على صناعاتهم فتزدهر البلاد وينعم الناس وتطمئن النفوس .

وعلى الاساتذة والمعلمين ان يجعلوا من ابنائهم الروحيين مؤمنين مشبعين بالتعاليم السماوية وعليهم كل المعول فى تكوين نشء مسلم بكل ما تحمله الكلمة من معنى فيبثون بدورهم روح الاسلام ويحاربون الخرافات والخزعبلات ويحررون العقول من غشاوة الجهل والضلال .

ومما يدخل فى تهييء الاجواء الصالحة بناء المساجد فى كل الاسواق وداخل المعامل والمصانع والزام المواطنين بتوقيف الاعمال اوقات الصلاة واقامة الشعائر الدينية وتعهد الناس بالوعظ والارشاد بالنسبة لاحكام أعمالهم واشغالهم .

نعم اذا كانت حكومات الدول الاسلامية تتحمل قسطا من المسؤولية لتكوين مجتمع اسلامي فان الشعب من جهته يتحمل كذلك قسطه الوافر فالحكومات الاسلامية لا تنشىء النشء على الاسلام كما يلزم فى نظرنا وذلك بعدم تقرير الدراسات الدينية فى كل المدارس وفى كل الفصول على اختلاف اتجاهاتها ومناهجها وبعدم تكليف الطلبة فى الفصول العالية بالبحوث الاسلامية وجعلها مادة اساسية يتبارى فيها اذهان الطلاب ، اليس التبحر فى القوانين الالهية وتناولها بالبحث والدرس فى امتحانات الليسانس وشهادات الحقوق وشهادة كليات التشريع اجدى وانفع من تشتيت الذهن بالنسبة لهؤلاء فى مختلف القوانين الوضعية الاجنبية عن الاسلام والمسلمين ؟ ـ اما الشعب فيتحمل مسؤوليته بعدم مراقبة دراسة ابنائه وتسييرها حسبما يفرضه الدين اذ ينشأ الاطفال فى المدارس ويقضون بها السنين من غير ان يعرف الآباء مواد دراسة ابنائهم . ولا يمكن ان نعتذر بجهل الآباء فلدينا مفكرون وعلماء لا يقيمون وزنا لمثل هذه الامور ولا يستنكرون ان ابناءهم لا يدرسون الدين الاسلامي ولا تاريخ الاسلام كما يتحمل الشعب مسؤوليته بعدم

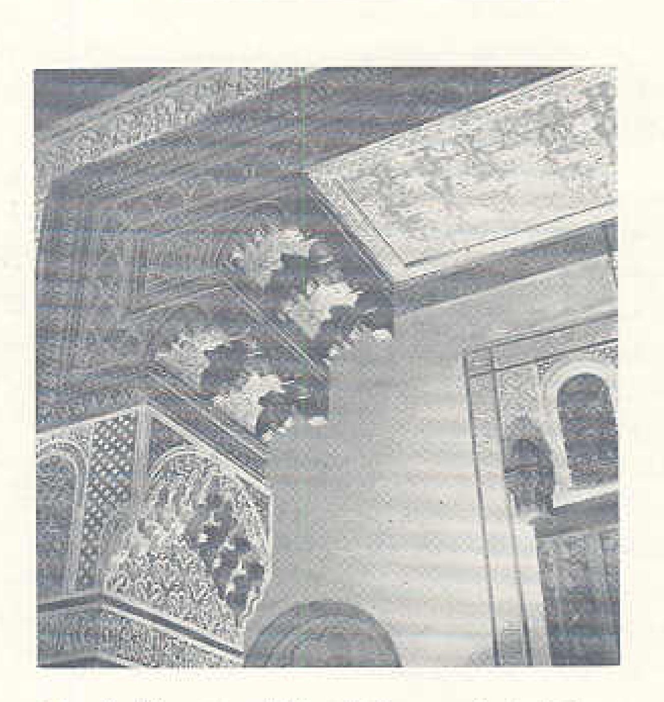
السهر على تطبيق تعاليم الاسلام في اشغاله وصناعاته فلتستحضر دائما كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته .

فتنظيم حملات في البيت والمدرسة والمصنع والمعمل والاسواق والاندية هو الكفيل باشعاع التعاليم الاسلامية في القلوب ، وازالة العقبات عن طريق المتدينين هو الذي يضمن الاصغاء الى الدعوة للرجوع لتعاليم الدين الحنيف .

اما ان يعيش الانسان في جو غير نظيف من غير ان يرى شعائر تقام امامه ، ومن غير ان يطالب بها في صغره حتى يشب عليها ، ومن غير ان يرى اجتنابا لما يحذره الاسلام اما ان يعيش بين اشخاص يتهاونون بالقيم الروحية ويهتمون بالمادة فقط ويلقنون الفجور والالحاد للشبان ويزحلقون افكارهم عن التعاليم الاسلامية اما ان ينغمس الانسان في بحر من الملذات والمغريات ، اما ان تسري في دمه بواسطة او غيرها حب النفس والاثرة والسهر على المصلحة الخاصة ولو على حساب الغير ، اما ان تحشى الاذهان الفارغة بان الدين يؤخر الامم وان المتدينين رجعيون ، اما ان يظن ان الطريقة التي تجلب السعادة هي طريقة الغش والاستهتار بالمثل العليا والمخاتلة والنفاق مما يسمى سياسة ثم يطالب هؤلاء واولئك بالرجوع لتعاليم الاسلام فلا يعقل ان تجد الدعوة اصغاء ولا مكانا في النفوس ـ فهؤلاء المدعوون يكادون يجهلون كل شيء عن الاسلام مع اننا نريد منهم ان يتركوا ما يلقى لهم صباح مساء ويعملوا بما لا يعرفون عنه الا المساوىء .

فتبيين احكام الاسلام على ضوء العصر مما يجب للناس العمل به ، وارشادهم بالطرق العلمية الى ان الاسلام عقيدة وعمل وانه يهتم بالمادة والروح في آن واحد مما يجلب الناس اليه وتدريس الواقع الاسلامي ابان ازدهاره ورفاهيته حيث عم العدل والامن وسادت الاخوة والمساواة هو الذي يجعل من المدعوين مسلمين **ويكون مجتمعا اسلاميا صالحا .**

وصدق الله العظيم : « **فلا وربك لايومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** » .



نقوش في الجبص وزخرفة في الخشب بقصر الباهية بمراكش ويرجع تاريخ هذه النقوش وهذه الزخرفة الى القرن التاسع عشر..

الإسراف هو الانفاق على المعاصي

بقلم : علي فخر الدين

القى الاستاذ احمد مظهر العظمة محاضرة من محطة الاذاعة فى دمشق يوم الثلاثاء 10 من ربيع الثاني 1379 الموافق 1959/10/12 . وقد ذكر فى حديثه ان الاسراف هو تجاوز الحد بالانفاق على المباحات ، حتى جعل تجاوز الحد بعمل الخير اسرافا ، وساق فى حديثه قوله تعالى فى سورة الانعام « **كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا ان الله لا يحب المسرفين** » وهذا الفهم لمعنى الاسراف وبالتالي لحكم الشرع فيه ، وان غلب على اذهان الكثيرين ولكنه غلط محض ويخالف ما تعنيه كلمة مسرف شرعا ، وهو ايضا مخالف لحكم الاسراف فى الشرع، وهو استعمال للمعنى اللغوي فيما وضع له الشرع معنى شرعيا وترك للمعنى الشرعي . ففي اللغة الاسراف هو تجاوز الحد والاعتدال ضد القصد ، ولكن هذا المعنى اللغوي قد وضع الشارع بجانبه معنى شرعيا مع بقاء المعنى اللغوي ، كما هي الحال فى كلمات « الصلاة » « الزكاة » « الطهارة » وغيرها من الالفاظ التي لها معاني لغوية وقد وضع الشرع لها معاني شرعية . فلا يصح اخذ المعنى اللغوي من الجملة المراد فيها المعنى الشرعي كما لايصح اخذ المعنى الشرعي من الجملة المراد منها المعنى اللغوي . اما المعنى الشرعي الذي وصفه الشارع للاسراف فهو غير المعنى اللغوي ، اذ وردت كلمة الاسراف والمسرفين بمعان متعددة : فوردت واريد بها انفاق المال فيما نهى الله عنه ، ووردت واريد بها مجاوزة الحد فيما حدده الله وبينه . وهي بجانب الانفاق محصور معناها شرعا فى انفاق المال فيما نهى الله عنه . فكل نفقة اباحها الله تعالى وامر بها كثرت ام قلت فليست اسرافا وكل نفقة نهى الله عنها قلت ام كثرت فهي الاسراف، لانها مجاوزة للحد الذي حده الله باوامره ونواهيه . وقد روى عن الزهري انه كان يقول فى قوله تعالى : « **ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط** » كان يقول فى هذه الآية « لا تمنعه من حق ولا تنفقه فى باطل » . على ان قوله فى الآية « كل البسط » معناه جواز بسطها بعض البسط . فيكون بعض البسط جائز ، واما كل البسط فهو المحرم والبسط يكون بسطا فى الحرام وبسطا فى الحلال فحرم كل البسط وهو الحرام وابيح بعض البسط وهو الحلال.

وقد وردت كلمة الاسراف فى القرآن الكريم فى عدة آيات « **والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما** » فالاسراف هنا انما هو الانفاق فى المعاصي اما المباحات فلا اسراف فيها ، ومعنى الآية لا تنفقوا اموالكم فى المعاصي ولا تبخلوا بها عن المباحات . بل انفقوها على ما هو اكثر من المباحات اي على الطاعات . فالانفاق على غير المباحات مذموم ، والبخل عن المباحات مذموم والممدوح هو الانفاق على المباحات والطاعات . قال تعالى «**ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين** » وهذا ذم من الله للاسراف وهو الانفاق على المعاصي .

اما كون الاسراف هو مجاوزة الحد فيما حدده الله تعالى فهو فى قوله تعالى « **وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا ان الله لا يحب المسرفين** » اي لا تخرجوا مقدارا للزكاة مما فرضه الله فيها لانه زيادة عما امر الله باخراجه . ومثل هذا ايضا نهيه صلى الله عليه وسلم عن الاسراف بالماء ولو على نهر جار ، فانه عليه السلام اراد الاسراف فى الوضوء اي غسل العضو اكثر من ثلاث بدليل قوله عليه السلام للاعرابي حين سأله عن الوضوء بعد ان اراه ثلاثا ثلاثا «**هذا الوضوء فمن زاد على هذا فقد اساء وتعدى وظلم** » فالمعنى الشرعي للاسراف فى الآية والحديث هو مجاوزة الحد عما امر الله به ، وليس معناه الانفاق الكثير فى المباحات . فالمقدار فى الزكاة وفى الوضوء حكم شرعي وزيادته او نقصانه تغيير بشرع الله ، وقد وردت كلمة الاسراف فى معان شرعية اخرى فوردت كلمة المسرفين المعرضين عن ذكرى الله ، قال تعالى : « **فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين**

للمسرفين ما كانوا يعملون » اي زين الشيطان بوسوسته ما كان يعمله المسرفون من الاعراض عن الذكر واتباع الشهوات . فسمى المعرضين عن ذكر الله المسرفين . ووردت المسرفين بمعنى الذين غلب شرهم على خيرهم قال تعالى « **لا جرم انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وان مردنا الى الله وان المسرفين هم اصحاب النار** » عن قتادة ان المراد بالمسرفين هنا هم المشركون وعن مجاهد المسرفين السفاكين للدماء بغير حلها ؛ وقيل الذين غلب شرهم على خيرهم . والظاهر من الآية هم المفرطون في ارتكاب الشرور والآثام . ووردت كلمة مسرفين بمعنى المفسدين قال تعالى « **فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون** » فهذه الآيات كلها ليس المراد من الاسراف فيها المعنى اللغوي مطلقا بل المراد معاني شرعية وردت فيها. فتفسير الاسراف بالمعنى اللغوي لا يجوز ، لان الله اراد به معنى آخر غير المعنى اللغوي . واظهر معاني الاسراف الشرعية واكثرها دورانا هو انفاق المال على المعاصي ولا يوجد في النصوص الشرعية ما يدل على ان معنى الاسراف هو الاكثار والزيادة من النفقة في المباحات والطاعات واما الآية التي اوردها الاستاذ احمد مظهر العظمة وهي « **وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا ان الله لا يحب المسرفين** » فان معناها لا تزيدوا عن حق الزرع يوم حصاده بل اعطوا حقه وهو ما فرضه الله وهو العشر ان سقيت الارض بماء المطر ونصف العشر ان سقيت بآلة سقي . ولا يمكن ان يكون معناها لا تتجاوزوا الحد بعمل الخير . فلو اخرجوا بالزكاة ثم تصدقوا تطوعا بما شاؤوا فانه يكون على فهم الاستاذ العظمة عملهم حراما ، لان الآية تفيد حرمة الاسراف . اذ هي نهي عن الاسراف مقرون بقرينة تدل على انه طلب تركه طلبا جازما وهي قوله « **لا يحب المسرفين** » اي يبغضهم، وهذا قرينة تدل على الجزم. وتحريم اعطاء الصدقة فوق اخراج الزكاة امر قطعي لمصادمته للشرع ، ولانه تحريم لما امر الله به فضلا عما احله ، واباحه ، والصواب ما ذكرناه من معنى الآية وهو اخرجوا زكاة الزرع يوم حصاده ولا تزيدوا عن الحق المفروض فيه فانه حرام عليكم ان تتجاوزوا ما امر الله به .

على ان الله تعالى حين اباح لنا الاكل والشرب وغير ذلك جاءت اباحته عامة ومطلقة قال تعالى « **كلوا من طيبات ما رزقناكم** » وقال « **كلوا واشربوا من رزق الله** » وهذا كلام عام غير مقيد بكمية ولا بحد . فالاكثار منه يدخل تحت النص ولا يعتبر اسرافا . واما قوله تعالى في سورة الاعراف « **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين** » فانه ليس قيدا للاكل والشرب ، أي لا يعني ان لا تكثروا من الاكل والشرب المباح . بل هو نهي عن الاكل والشرب مما نهى الله عنه اي كلوا واشربوا ولا تتجاوزوا ما احله الله لكم ؛ وهو يتضمن معنى لا تنفقوا على ما حرم الله . ولا يعني مطلقا لا تكثروا من الاكل والشراب اكثارا زائدا في المباحات . فهو حرم الاسراف بعد الامر بالاكل والشرب ، والاكل والشرب مهما أكثر منه الانسان فليس بحرام ؛ فيتعين ان يكون نهيا عن اكل وشرب ما نهى الله عنه . وايضا فان هذه الآية جاء بعدها مباشرة اباحة عامة للزينة والطيبات فالآيتان هما « **يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين** » . « **قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق** » وهذا يعين ان الاباحة عامة في جميع المباحات . وان المستثنى منها هو ما نهى الله عنه .

ومن ذلك يتبين انه يجوز للمسلم ان ينفق في المباحات وعلى الطاعات ما شاء من الانفاق ومهما بلغت كثرته ؛ فله ان يقتني عشر سيارات وان يسكن في قصور وان تكون له عشرات البدلات والثياب وان يهدي اغلى الهدايا باكبر مقدار وان يتصدق ما اراد من الصدقات مهما بلغت ولو كانت ملايين الدنانير ما دام قادرا على ذلك مالكا له وما دام انفاقا في المباحات والطاعات وكل ذلك لا يعتبر اسرافا ولا بوجه من الوجوه ، لانه انفاق للمال وليس اضاعة له ؛ وانفاق على المباحات والطاعات وليس انفاقا في المحرمات ؛ على ان حدود الانفاق لا تقتصر على الواجبات والمباحات فحسب بل اجازها الله في المكروهات ايضا. حتى انه لو اضاع ماله ورماه ولم ينفقه على شراء شيء لا يكون حراما بل يكون مكروها فقط لقوله عليه السلام « **كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال** » فاذا كانت اضاعة المال مكروهة كراهة فكيف يجعل انفاق المال في المباحات والطاعات حراما ويقال عنه اسراف بالمعنى الشرعي ؟ الا يكون ذلك تحريما للمباح وللمندوب وتفسيرا لآيات القرآن بالمعاني اللغوية مع ان الله جعل لها معنى شرعيا خاصا غير المعنى اللغوي . اي تفسيرا لآيات الله بغير المعاني التي ارادها الله ؟

بيروت ــ علي فخر الدين



- 3 -

التعدد في الاسلام

بينا فيما سبق الاسس التي عولجت عليها مشكلة المرأة في الاسلام ، والآن سندخل في بعض التفاصيل لنرى كيف عولجت على تلك الاسس مستدلين بما وصل اليه العلم الحديث من بحوث في الموضوع مما سيؤدي بنا الى القول باتفاق الدين مع العلم والواقع او اتفاقهما مع الدين .

ان التعدد الذي اباحه الاسلام اثار ــ وما زال يثير الى الآن ــ ضجة عاصفة واستياء عاما في الاوساط الاوربية ، واهم سؤال يتعرض له المسلم في اوربا هو عن نظام التعدد ، اذ عندهم هذا النظام اخطر من الفساد والدعارة ؛ ولعل الثورة التي قامت ضد هذا النظام في بلادنا الاسلامية كانت بدافع الشعور بالنقص ومن اجل « ستر هذا العار » ورفع «الشنار» عن العالم الاسلامي الذي ينتسب اليه اصحاب «الثورة» الذين يخجلهم الاسلام بنظامه ذاك امام اوانس اوربا فكان الدافع اذن الضغط الخارجي ولم يكن هناك اي مسوغ اجتماعي ، وهكذا وقع هؤلاء في تاثرات انتحالية لا تؤدي الى اي اصلاح منهجي .

والتعدد الذي شرعه الاسلام لم يكن بدعة في الحياة بل ان التاريخ عرف الوان الشيوعية الجنسية او ما يشبهها تلك الشيوعية التي دعا اليها بعض الاوربيين في القرن السابع عشر ، كما عرف فوضى العلاقات الجنسية في صور اخرى حتى ان بعض العشائر كان يباح فيها معاشرة الاخوة لاخواتهن او يشترك جماعة من مطلق الناس او الاخوان في جماعة محصورة من النساء ، ويقول بعض العلماء ان هذا النظام ما زال متبعا الى الآن عند عشائر تودا بالهند الجنوبية ، كما عرف التاريخ تعدد الازواج ووحدانية الزوجة وما زالت بعض صوره الى الآن في اكثر القبائل الجبلية على حدود الهند الشمالية كما كتب ذلك مراسل الاهرام منذ سنوات قليلة ، وقد وجد هذا النظام في الجاهلية كما وجد نكاح الاستبضاع اما تكريم الضيف بتقديم الزوجة فتلك عادة لعلها ما زالت الى الآن في بعض الجهات ..

اما وحدانية الزوجة فلم يكن من صنع المسيحية وانما كان عادة رومالية ويونانية ، وبما ان الحضارة الحديثة تستقي ثقافتها من الرومان فانها تبنت تلك العادة ، ويقول احد العلماء المتخصصين في البحث في قضية الزواج : « ويكفي ان تعلم اننا لم نجد مجلسا كنسيا واحدا عارض تعدد الزوجات او وضع العقبات في سبيله عند الملوك او الحكام الذين كانوا يمارسونه في الدول الوثنية في القرون المسيحية الاولى ، اما « العهد القديم » فيصرح في سفر الملوك الثالث الفصل الحادي عشر بان سليمان ، كان له سبعمائة زوجة وثلثمائة سرية .

ومن المعروف ان ملك بروسيا ويلهايم كان متزوجا من اثنتين وقد كان بهذا منطقيا مع نفسه اذ كان صريحا في زواجه .

اذن فالتعدد لم يكن شيئا جديدا بالنسبة للعالم وانما الجديد فيه انه شرعه في صورة انسانية تتفق ومصلحة المجتمع ، ولم يثر ذلك التشريع اي اعتراض عندما كان الاسلام في اوج عزته ، ولكن عندما تتدهور الامة تنقلب كثير من قيمها الى مساوىء ومطاعن .

والحق ان الصورة المثلى للزواج ان يكون مكونا من رجل وامرأة ، والاسلام يحرص كل الحرص على تحقيق هذا المثل الاعلى ولكن الحياة معقدة ومتشعبة الجوانب لا تحتمل صورة واحدة ولا تتطلب حلا واحدا لاختلاف طبيعة الافراد والظروف ، والاسلام لا يغفل هذه الحقيقة في جميع تشريعاته لانه امتاز بالمرونة وبمواجهة المشاكل بروح واقعية غير سابح في جو من الخيالات والمثالية التي لا تتحقق الا في الاذهان دون ان يكون لها اي مدلول اجتماعي ، فكان على الاسلام ان ينظم العلاقات الجنسية التنظيم الذي يسد منافذ الفساد ويقطع الطريق امام كل انحراف ، فقد وجد تعددا خطيرا وفسادا منتشرا كما وجدعادة الوحدانية عند الرومان واليونان ، وفي كل من الطرفين خطرا ، وخير الامور اوسطها ، فاباح التعدد الى حد معين وبقيود ، وصرح بان هذه الاباحة تكاد تكون من المحظورات يقول تعالى : **« فان خفتم الا تعدلوا فواحدة »** ويقول **« ولن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم »** وافهم من هذه الآية الكريمة ان في التعدد نوعا من الاثم ولكن تخففه الضرورة الاجتماعية ، ويبدو لنا معنى هذا المباح الذي يكاد ان يكون محظورا او هذا المحظور الذي ابيح للضرورة في مسلك رسول الله (ص) عندما اباح لعلي كرم الله وجهه ليتزوج على ابنته فاطمة ، ولكن بعد ما اتصلت به ابنته وعاتبته على اذنه للعشيرة التي كان سيتزوج منها علي بان يزوجوه ابنتهم تراجع وخير عليا ان يطلق له ابنته او يمتنع عن الزواج عليها .

والاسلام ينظر الى المشاكل نظرة شاملة وعميقة فهو قد منع الزنا باعتباره خطرا على الصحة العامة والحياة الاجتماعية ، وقد شدد في هذا المنع ووضع عقوبات تصل الى الرجم بالنسبة للمحصن ولكنه مع ذلك لم يغفل الغريزة الانسانية التي قد تنفجر وتطغى اذا لم تجد لها منافذ معترفا بها وشرعية تزودها بالحل الضروري لحالتها ، وحينئذ ، يفوت المراد من الاصلاح وتنطلق الغريزة الجبارة تشبع جوعها بطرق شتى ، وفي ذلك اضرار واضرار ، ولذلك ، لم يمنع الاسلام الزنا وكفى ، بل عمل على منع اسبابه واحتاط لذلك اشد الاحتياط ، وتشريع التعدد في الاسلام كان احتراما واستجابة لهذه الحقيقة التي تعد سببا من اسباب التعدد كما سنعرض بعد ، والفرق بين التشريع الاسلامي والتشريع الاوربي هو ان الاول كان صريحا في معالجته لهذه المشكلة ، في حين ان هذا الاخير اكتفى بوضع القانون الصارم وغض النظر عن النتائج الخطيرة التي تتجسم في التعدد غير الشرعي خارج البيت والقانون . وقيمة التشريع ليست فيما يحويه من افكار مثالية فقط ولكن بما يحققه ايضا من سعادة المجتمع ورفع مستواه الاخلاقي ، وبما له من القدرة على التنظيم الاجتماعي الذي يهب للمجتمع شروط سعادته ، وعناصر قوته ، غير تاركين اي ثغرة ينفذ منها الفساد ، والاسلام قد جمع بين المثالية والواقع ، وتلك ميزة لا تتوفر الا في تشريع السماء .
وقد اعجب الدكتور غوستاف لوبون بنظام التعدد في الاسلام الذي لم يكن منافقا او مموها كالتشريع الاوربي فقال : « ان تعدد الزوجات على مثال ما شرعه الاسلام من افضل الانظمة وانهضها بالمستوى الاخلاقي في الامم التي تقول به انه يزيد الاسرة ارتباطا ويمنح المرأة احتراما وسعادة لا تراهما في اروبا كما نجد شوبنهور الفيلسوف الالماني يدعو بكل قوته الى مبدأ تعدد الزوجات فيقول : اما آن لنا ان نعد بعد ذلك تعدد الزوجات حسنة حقيقية لنوع النساء باسره » وترى بعض الكاتبات ان المخلص الوحيد من الشقاء الذي تعيش فيه الانجليزيات هو اباحة التزوج باكثر من واحدة وتتخذ بعض الانجليزيات الاسلام مثلا اعلى لسعادة المرأة ، فالتعدد اذن حسنة في رأي هؤلاء لانه اضمن وسيلة لاستقرار الاسر التي تتعرض لكوارث مختلفة .

ومن المعلوم ان الاسلام لم يجز التعدد الا بشروط ولضرورة ملحة سدا للامراض الناجمة عن غلق باب التعدد احيانا ، ولهذا المبدأ سندا من العلم والواقع الذي يبين الاسباب الحقيقية لهذا التشريع : فالدراسات النفسية والاجتماعية الحديثة تبين في وضوح ان التجربة دلت العلماء على ان حالات الوفاة في الاجنة تكون نسبة الذكور فيها اكثر من نسبة الاناث ، وكما ان الوفيات لدى الاطفال الذكور اكبر نسبة من الاطفال الاناث بسبب استعداد الذكر للمرض اكثر من الانثى وبسبب التفاوت ايضا في القدرة على مقاومة اسباب المرض والموت ، وهناك سبب آخر وهو ان عمليات الهدم الكيمائية الفيسيولوجية متغلبة على الذكر على عمليات البناء ، ونتيجة لذلك ، وللحروب كانت نسبة النساء اكبر من الرجال في العالم ، وقد دلت الاحصائيات الاخيرة ان النساء في العالم اكثر من الرجال بنسبة 2٪ وتشاهد اليوم بعض الامم تعاني مشكلة ازدياد نسبة النساء ، ففي اليابان يوجد مليون ونصف امرأة بلا رجال كما صرح بذلك مكتب الاحصاء

وكما يوجد ايضا في امريكا حوالي 8 ملايين ارملة ، وسيرتفع هذا العدد بمعدل مليونين تقريبا كل عشر سنوات والنساء هناك بوجه عام اكثر من الرجال بنحو مليونين ، كما لوحظ ان المراة الامريكية تعيش اكثر من الرجل بمقدار ست سنوات ، ويتمكن بعض العلماء الاخصائيين بازدياد النساء القابلات للزواج لدرجة يصعب معها ان تجد الفتاة فتى تتزوجه او تحقق رغبتها في انشاء اسرة معه وقد نشرت جريدة الاخبار المصرية في 58/5/26 في اخبار حواء انها توصلت باكثر من مائة رسالة من امهات وعمات وشقيقات وآباء وفتيات كلها تتضمن عروضا للزواج من مهندس في القاهرة اعلن عن رغبته في الزواج كما نشرت من قبل ان ثمانين في المائة من خريجات كلية الاداب عوانس .

وامام هذه المشكلة التي يولونها في العالم المتحضر اكبر اهتمام نجد العالمة الاجتماعية الدكتورة ماريون لانجلر تضع حلين للتخلص من خطورتها ، تقول هذه العالمة : « ان لدى المجتمع حلين ممكنين فقط لتغطية النقص المتزايد في الرجال او ايجاد طريقة ما لاطالة اعمار الرجال » . غير ان السيد جوبنبورج الامريكي لا يرتضي الحل الاول ويكتفي بالقول : « وليس من المنتظر ان تاخذ بالحل الثاني ولكن ولماذا ناخذ بالحل الثاني ؟ وهل هو ممكن وعملي ؟ وما نسبة امكانه بالنظر الى الحل الاول » ، ان الكاتب المذكور يرى ان الحل الثاني هو الانسب للاخذ به دون ان يبين مدى امكانه ودون ان يخطط لتطبيقه ، فلقد املى عليه لا شعوره وعقله الباطن هذا الحل دون ان يترك له فرصة للتفكير الجدي ، فالطريق الذي سلكه يكاد يكون قرين المستحيل لان اطالة اعمار الرجال لا تؤثر على نسبة الوفيات في الاجنة وفي الاطفال وفي الطبيعة التكوينية للرجال والنساء وهو يعترف بصعوبة شديدة ــ وان لم يصرح بها ــ تقوم في وجه هذا الحل ، يقول ان الحل الثاني يتضمن تعديلا جوهريا في طريقة الحياة الامريكية ولكنه ايضا سكت عن ماهية هذا التعديل وكيفية تنظيمه ، وهكذا يسير بنا في سبل ملتوية لا تهدينا سواء السبيل وانما تدخلنا في مماحكات لفظية ، ولعل السيد المذكور لم يفهم مقصود تلك العالمة الاجتماعية ، فقصدها واضح حيث ترى ان هناك طريقين لا ثالث لهما اما الاعتراف باباحة التعدد كضرورة اجتماعية واما طريق آخر ــ وهو مستحيل او يكاد ــ وهو اطالة اعمار الرجال، وعلى كل حال فليس هذا هو المسوغ الوحيد لمبدا التعدد فهناك اسباب اخرى تتطلب الحل الاول كالحروب العامة المتعاقبة والحروب الاهلية والاقليمية المستمرة ، ويرى الملاحظون الاجتماعيون ان كل حرب يعقبها تحلل خلقي واستفحال الدعارة لوجود عدد هائل من النساء بدون ازواج ولاسباب اخرى لا تهمنا في هذا البحث .

ومن اسباب التعدد ايضا الطبيعة الجنسية فقد توجد في الرجل حرارة جنسية لا تكتفي بامراة واحدة وهذه الحالة تستلزم حلا واقعيا وشرعيا والا عرضنا المجتمع لفساد مستطير لان اشباع هذه القوة الجنسية لهذا الرجل لابد ان تقع خارج البيت وفي احدى فتيات المجتمع وقد عرض علينا صاحب كتاب «الدوافع والقوى الجنسية » حالة كهذه ، فلقد زار عيادته رجل لم يكن يكتفي بامراة واحدة ، ولذلك ، فقد انشأ علاقات غير شرعية بنساء غير زوجته ، ومن اسباب التعدد حب الرجل انجاب الاولاد في حين ان امراته عقيمة ، ولقد عرفت شخصيا كثيرا من هذه الحالات ولم اكن اقدر شعور الرجال في انجاب الاولاد حتى انبسطوا معي في الحديث وكشفوا لي عن حقيقة شعورهم ، غير انه يجب الاحتياط في هذه الحالة فقد يكون الرجل نفسه مريضا ولذلك يجب ان يتحقق من نفسه طبيا حتى لا يحل مشكلة بادهى منها .

ومن اسباب التعدد مرض المراة مرضا يمنع الاتصال الجنسي ويمنعها من القيام بواجباتها الزوجية والزوج لا يريد مفارقتها غير انه لا يصبر على هذا الشكل من الحياة بل يريد ان يتزوج .

ثم ان التعدد ليس نظاما بدائيا انه لم يوجد عموما الا في الامم المتحضرة ولكنه يكاد يكون منعدما في الشعوب المتاخرة كما ينعدم بالمرة بين المتوحشين ، فقبائل البوشمان يلتزمون الزواج من واحدة ويقول الفيلسوف الانجليزي برتر اندراسل في كتابه الزواج والاخلاق صفحة 69 : « وجد بين الحيوانات ان الذكر يقتصر في الزواج على انثى واحدة ويمتنع بمجرد الزواج عن النظر الى اية انثى اخرى ، كما تمتنع الانثى بمجرد زواجها عن النظر الى غير زوجها . . فالرذيلة غير معروفة على الرغم من انعدام الدين ، والغريزة تكفي وحدها لابراز الفضيلة » وهذا ما يقرره كثير من العلماء والباحثين .

واذا لم يوجد نظام التعدد في الحضارة الغربية شرعيا فقد فرض عليهم بصورة بشعة ومدمرة للحياة

الاجتماعية مما اضطر كثيرا من رجال الدين اخيرا فى انجلترا برئاسة الدكتور فيشر الاسقف الاكبر فى انجلترا الى ان يطالبوا المسؤولين بان ياخذوا بنظام تعدد الزوجات لما فيه من فوائد اجتماعية ملموسة ، اما القوانين الاجتماعية الحالية التي تمنع ذلك فهي ــ كما صرحوا ــ رجعية خاطئة ، ويجب ان تراجع عن ذلك «الاخبار» 58/4/9 ، وقد نشر طلب رسمي فى احدى المجلات المصرية مقدم من حكومة المانيا الغربية للجامعة العربية تطلب فيه تزويدها بمعلومات عن نظام التعدد فى الشريعة الاسلامية لانها تريد الاخذ به .

وان كان العلامة وسترمارك يرى ان اوربا ستحافظ على الوحدة ولكن يشترط لذلك ان يكون للقوانين مفعول فى النفس وان يشعر الرجال بوجوب احترام الجنس الآخر وان يتاح للمراة لان يكون لها تاثير فى التشريع ويستغرب ان يرى مجتمعا اوربيا يسمح بالتعدد ، ولعل هذه القفزة النفسية اللاشعورية تتنكر لواقع اعترف به كثير من علماء وكاتبات وفلاسفة أوربا ، ولنفرض ــ جدلا ــ ان القوانين اثرت فى النفس وان الرجال احترموا الجنس الآخر وان النساء سيطرن على التشريع ، فهل يستطيع كل ذلك ان يقضي على الاسباب السالفة ؟ ثم ان وسترمارك يستغرب من ان تكون اوربا تعترف بالتعدد قانونا وشرعا ولكنه لا يجد اي استغراب فى التعدد غير الشرعي المنتشر فى اوربا ، على انه نفسه يعترف بعدم جدوى القانون اذا تلاشت العواطف المتأصلة فى الزواج .

ولسنا من الذين يقولون بمنع التعدد ولا ممن الذين يدعون هذا النظام حرا طليقا بل ممن يتخذه ذريعة للاستهتار انما يجب ان يظل كعلاج للمشاكل الناشئة عن الاسباب السالفة ، لكن فى حدود تضمن قيمته وفاعليته فى نهضة الامة وسيرها السير الحسن ، ولذلك ، يجب ان توضع قيود تشريعية مستمدة من مبادىء التشريع العامة وان تكون هيئة اسلامية بمعنى الكلمة تشرف على تطبيق هذا التشريع ولا ترخص لمن يريد التزوج باكثر من واحدة الا لضرورة وبمسوغات وجيهة ، ويجب ان تكون هذه الهيئة المؤمنة مكونة من خبراء فى الطب والاجتماع والنفس والشريعة الاسلامية .

وهذا الاجراء ضروري حتى نحمي الاسرة من الفوضى ونحمي المراة من استهتار بعض الجهال الذين يسيئون الى الاسلام باستغلالهم هذا المبدأ استغلالا منكرا ، ثم قبل كل شيء يجب ان يربى الشعب تربية اسلامية تؤهله لفهم مبادئه حتى يدرك اسرار تشريع الاسلام فلا يذهب فى التطبيق مذهبا يصادم روح دينه واهداف التنظيم الاجتماعي التي يريدها الاسلام .

اما منع التعدد فانه يرضي ــ من الناحية النظرية ــ المثالية ولكنه سيفضي الى نتائج خطيرة تتخبط فيها اوربا فى الوقت الحاضر .

وقد يغضب هذا بعض فتياتنا المثقفات ولكنهن يستطعن القضاء على هذا النظام لو تم لهن اجماع النساء على عدم التزوج برجل متزوج .

(البحث بقية)

اخترت العدالة . . .

اخترت العدالة ، كي ابقى وفيا للارض

البير كامو

أبحاث ومقالات

النظام القضائي في المغرب

للأستاذ : موسى عبود

في خامس نونبر الاخير القى الاستاذ موسى عبود المستشار بوزارة العدل محاضرة قيمة بمركز التوجيه المغربي بالرباط حول « النظام القضائي في المغرب » .
وقد رجونا من الاستاذ عبود تحرير ملخص لهذه المحاضرة فتفضل مشكورا بموافاتنا بهذا الملخص الهام
دعوة الحق



يؤلف موضوع هذا الحديث مادة مستقلة تدرس في كلية الحقوق المغربية خلال سنة دراسية كاملة فمن العسير ـ ان لم نقل من المستحيل ـ ان اعرض عليكم في ساعة واحدة ما القيه على الطلبة خلال سنة ، لكنه قد قيل منذ القدم ان ما لا يدرك كله لا يترك جله .

فالنظام القضائي في كل بلاد ـ كغيره من الانظمة والمؤسسات العامة ـ مرتبط ارتباطا وثيقا بالاحداث التاريخية ، والتاريخ وحده يفسر لنا الكثير من الاوضاع الحاضرة والمؤسسات القائمة . فلنفهم النظام القضائي الحاضر في المغرب لابد لنا اذن من العودة الى التاريخ او على الاقل الى تاريخ هذا النظام نفسه لندرك مراحل تطوره التي انتهت الى الوضع القائم .

ومما لا شك فيه أن عهد الحماية يؤلف في هذا الموضوع مرحلة تمتاز عما قبلها وعما بعدها بميزات تجعل منها مرحلة فاصلة يمكن الاستناد عليها لتقسيم تاريخ هذا النظام الى ثلاثة اطوار : قبل الحماية ، وفي عهد الحماية ، وبعد الحماية .

الطور الاول ـ قبل الحماية :

كان القضاء قبل الحماية متجسما في محكمة القاضي الشرعية التي يشمل اختصاصها مبدئيا النظر في جميع القضايا المدنية والجنائية . لكن الولاة من باشوات وقواد كانوا يفصلون عادة في المسائل الجنائية نظرا لما لهم من السلطة للضرب على أيدي معتادي الاجرام ؛ وفي بعض القضايا المدنية ، والجارية منها بنوع خاص ، كانوا يتدخلون لحمل المتخاصمين على الصلح اكثر منه لاصدار احكام نافذة لكن الباب كان مفتوحا دائما في وجه الخصوم لنقل قضاياهم الى محكمة القاضي التي كانت وحدها صاحبة الحق في اصدار الاحكام بالمعنى الكامل

والى جانب المحاكم المغربية كانت توجد « المحاكم القنصلية » المبنية على ما كان يعرف باسم « الامتيازات الاجنبية » التي كان معظم الاجانب يتمتعون بها في المغرب قبل عهد الحماية ، والتي كانت تخولهم الحق في

التقاضي لدى قناصل دولهم وبمقتضى قوانينهـــا ومصدر تلك الامتيازات معاهدات ابرمت بنوع خـاص خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . وكان هذا القضاء القنصلي بمثابة دول داخل الدولة المغربية همه الاول والاخير السهر على مصالح الرعايا الاجانب .

وخلاصة القول ان القضاء فى المغرب خلال العهد السابق مباشرة للحماية كان يشتمل على محاكم عادية هي محاكم القضاة الشرعية ، ومحاكم استثنائية على نوعين : محاكم الولاة والمحاكم القنصلية ، يضاف اليها نوع ثالث هو القضاء الاسرائلي للاحوال الشخصيـــة الخاصة بالاسرائيليين المغاربة .

الطور الثاني ــ عهد الحماية :

امتاز النظام القضائي فى هذا العهد بميزات ثلاث : اختلاط السلطات وتعدد المحاكم وتعدد التشريعات .

فاختلاط السلطات الموروث من العهد السابــق تفاقم فى عهد الحماية بتحويله من قضاء استثنائي الى قضاء عادي . وكان يتجلى بنوع خاص فى المحاكـــم المخزنية كما سنرى فيما بعد .

ويتجلى تعدد المحاكم فى ناحيتين : اولا ــ فى اقامة نظام قضائي فى كل من المناطق الثلاث ــ ثانيا فى اقامة عدة انواع من المحاكم تستقل باختصاصها بعضها عـن بعض على اساس الميز العنصري .

ويقابل هذا التعدد فى المحاكم تعدد فى التشريعات يتجلى ، كتعدد المحاكم ، فى ناحيتين ايضا : اولا ــ فى وجود مجموعة تشريعية خاصة بكل منطقة . ثانيا ــ فى وجود تشريعات متعددة داخل كل منطقة تختلــف باختلاف المحاكم التي تطبقها .

وبما ان ضيق الوقت لا يسمـح باستعـــراض تفاصيل هذا النظام فى المناطق الثلاث سنكتفي بعرض النظام الذي كان معمولا به فى الجنوب .

أ ــ المحاكم الشرعية :

بعد ان كانت صاحبة الاختصاص العام فى العهد السابق اصبحت فى عهد الحماية مقتصرة على النظر فى الاحوال الشخصية والاملاك . ولم تكن لتعار لها العناية الكافيـة مـن حيث نظامهـا الداخلي ولا مـن حيـث المسطرة القضائية ، مما جعلها تتخبط فى فوضى كبيرة.

ويلاحظ انها ظلت فى الشمال ذات اختصاص اوسع منها فى الجنوب ، اذ بقيت تنظر فى القضايا المدنية كلهــا والجنائية ايضا . ونظمت على درجتين : محاكم القضاة والمجلس الاعلى للاستئناف . وكانت تطبق احكـــام الشريعة الاسلامية حسب المذهب المالكي .

ب ــ المحاكم العرفية :

هي محاكم اوجدتها ادارة الحماية فى قسم كبير من المغرب بمقتضى ظهير 16 ماي 1930 الذي عرف باسم الظهير البربري ، وسميت الدوائر التي اقيمت فيها هذه المحاكم « دوائر العرف . وكانت هذه المحاكم تحكـــم بمقتضى الاعراف والعادات المحلية بدلا مــن تطبيـــق احكام الشريعة الاسلامية . وجعلت على درجتيـــن : محاكم ابتدائية ومحاكم استئنافية .

ج ــ المحاكم الاسرائيلية :

وقع تنظيمها ايضا على درجتين : المحاكم الاولية والمحكمة العليا . كما انشئت مجالس للاحبار المفوضين فى المدن التي لم يكن فيها محكمة ابتدائية .

د ــ المحاكم المخزنية :

عمدت الحماية الى العمل القضائي الذي كـان يباشره الولاة بصفة استثنائية فاضفت عليه صبغـــة قانونية وجعلت منه قضاء جديدا عرف باسم « القضاء المخزني » او « المحاكم المخزنية » . فكانـت المحكمـــة المخزنية عبارة عن مجلس يعقده الباشا أو القائد او أحد خلفائهما للفصل فى الدعاوي واصدار الاحكام . فجـاء هذا التدبير خطوة الى الوراء فى سبيل فصل السلطات واستقلال القضاء لان الباشوية والقيادة وخلافتهمـــا وظائف سياسية يراعى فى تعيين اصحابها المصلحـــة السياسية قبل كل شيء ، فضلا عن خضوع متوليها الى السلطة الادارية وائتماره باوامرها. فلم يكن هذا القضاء المبنى على اختلاط السلطة الادارية والقضائية وجمعهما فى يد واحدة ليقدم للافراد اية ضمانة لاشخاصهـم ولا لمنازلهم ولا لاموالهم .

وفى سنة 1944 وقعت أول محاولة لفصل القضاء فتأسســت فى سبع مدن محاكم ابتدائية أطلق عليها اسم محاكم الحكام المفوضين حدد لها نطاق ضيق تعمل فى دائرته باستقلال عن الباشا المحلي . لكن اختصاصهـــا كان منحصرا فى دائرة محدودة من المسائل المدنية دون

الجنائية . اضف الى ذلك أن احكامها كانت تستأنف لدى هيئة ثلاثية يراسها خليفة الباشا . فكانت النتيجة اختلاط السلطة في درجة الاستئناف .

وفي اواخر سنة 1953 انشئت في المدن الكبرى محاكم اقليمية . لكن دائرة اختصاصها كانت ضيقة بحيث لم يسند النظر اليها في القضايا الجنائية الا اذا كانت الجناية توجب عقوبة بالسجن لمدة تزيد على السنتين . ومع ذلك فقد تركت للمندوب المخزني الحق في احالة النازلة الى محكمة الباشوية حتى ولو كانت العقوبة التي تستلزمها تزيد على السجن لمدة سنتين . وعلاوة على ذلك فانه لم يكن من حق المحكمة الاقليمية ان تنظر على وجه الاستيناف في الاحكام الجنائية التي تصدر عن خلفاء الباشوات في نفس مركزها بل كانت تلك الاحكام تستأنف الى المحكمة العليا الشريفة .

وكانت هذه الاخيرة تحكم على وجه الاستيناف في الدعاوي المرفوعة اليها من المحاكم الاقليمية والباشوية وتحكم ابتدائيا ونهائيا في الجرائم .

هـ ـ المحاكم القانونية :

نص الفصل الرابع والعشرون من الاتفاق الفرنسي ـ الاسباني المبرم بتاريخ 27 نوفمبر 1912 على ان الحكومة الفرنسية والحكومة الاسبانية تحتفظان بالحق في أن تقيم كل منهما في منطقتها منظمات قضائية مقتبسة من تشريعها الخاص . كما نص الفصل 48 من الاتفاقية المعقودة بشأن طنجة بتاريخ 18 دجنبر 1923 على اقامة محاكم مختلطة في المنطقة المذكورة .

وتطبيقا لتلك النصوص تاسست محاكم فرنسية في الجنوب سنة 1913 ومحاكم اسبانية في الشمال سنة 1914 ومحكمة مختلطة في طنجة سنة 1923 .

واهم ظاهرة تستلفت النظر في هذه المحاكم هي قيامها على اساس الميز الجنسي ، اي ان جنسية المتقاضين هي التي تحدد الاختصاص ، لانها في الواقع انما جاءت لتحل محل المحاكم القنصلية . ولذلك فقد عقب اقامتها تنازل الدول الاجنبية عن امتيازاتها القضائية ، ما عدا انجلترا في المنطقة الشمالية والولايات المتحدة في المغرب كله، فانهما لم تتنازلا عنها الا بعد اعلان استقلال المغرب .

وكان تنظيم هذه المحاكم متشابها في المناطق الثلاث فهي تشتمل على عدة محاكم صلح وتليها المحاكم الابتدائية وعلى راسها محكمة استيناف واحدة لكل من المناطق الثلاث مقرها في الرباط وتطوان وطنجة .

وكانت الاحكام التي تصدر عن محاكم الجنوب تقبل الطعن على وجه النقض لدى محكمة النقض بباريس والتي تصدر عن محاكم الشمال لدى المحكمة العليا بمدريد . اما التي تصدر في طنجة فلا تقبل النقض .

هذا والحق يقال ان هذه المحاكم كانت تتمتع بتنظيم صحيح واستقلال مهني تام ، فضلا عن تزويدها بمجموعة من القوانين العصرية ، كل ذلك مما حمل وزارة العدل على اتخاذ نظامها اساسا للاصلاح القضائي الذي قامت به .

و ـ المحاكم القنصلية :

بعد اقامة المحاكم القانونية اخذت الدول التي كانت تتمتع بامتيازات في المغرب تتنازل عنها باستثناء دولتين : الولايات المتحدة الاميريكية التي لم تتنازل عنها الا بعداعلان استقلال المغرب، وانكلترا التي ظلتمحافظة عليها في الشمال حتى اعلان الاستقلال ايضا وحينئذ تنازلت عنها .

الطور الثالث ـ عهد الاستقلال :

منذان احرز المغرب استقلاله توجهت عناية جلالة الملك والحكومة المغربية الى معالجة النظام القضائي لاستئصال جذور العيوب التي كانت تشوبه في العهد السابق ، بحيث يصبح قائما على مبدا فصل السلطات وتوحيد المحاكم وتوحيد التشريع .
وقد اتخذت لهذه الغاية سلسلة من التدابير التي اسفرت عن اقرار مبدا فصل السلطات وقطع خطوات عديدة في سبيل توحيد المحاكم وتوحيد التشريع .

اولا ـ اقرار مبدا فصل السلطات :

كان فصل السلطات اول مسألة استرعت اهتمام الحكومة المغربية . وقد اعلن جلالة الملك عن وجوب الاخذ بهذا المبدا في اول خطاب القاه غداة عودته من

المنفى ؛ وخلال الشهر الاول الذي عقب اعلان الاستقلال صدرت ثلاث ظهائر شريفة جعلت منه حقيقة ملموسة.

واول تلك الظهائر مؤرخ فى 7 مارس 1956 أي بعد اعلان الاستقلال بخمسة ايام لا غير . وقد قضى بالغاء السلطات القضائية المخولة لخلفاء الباشوات « لكونها حسبما جاء فى حيثيات الظهير ـ تخالف مبدأ الحكومة المغربية الرامي الى فصل السلطات » .

وتلاه الظهير الشريف المؤرخ فى 19 مارس 1956 الذي قضى بالغاء كل مراقبة عامة او خاصة راجعة لشؤون العدل ، ثم الظهير الشريف المؤرخ فى 4 ابريل 1956 بشأن تنظيم المحاكم العادية وينص هذا الظهير على مبدأ انتقال السلطة القضائية من ايدي رجال السلطة الادارية (أي الباشوات والقواد) الى المحاكم المذكورة ، كما يحدد مهمة النيابة العامة ناصا صراحة على انه لا يجوز لممثلها ان يسير مناقشات المحكمة ولا ان يتدخل فى الحكم .

وتاكيدا لمبدأ فصل السلطات نص الظهير المذكور على انه متى تم تنصيب محكمة عادية فى احدى الدوائر تلغى محكمة الباشا والقائد فى تلك الدائرة وفى واقع الامر لم تنته سنة 1957 حتى كان الفصل بين السلطتين قد اصبح حقيقة راهنة فى المغرب كله .

غير انه من الواجب ان يفهم فصل السلطات على حقيقته لكي لا يصبح سببا للانعزال والانكماش من جهة ومصدرا للتنافس بين ممثلي السلطتين من جهة اخرى.

الغاية من فصل السلطات هي ان تتمتع السلطة القضائية باستقلال مهني فى تادية مهمتها دون ان تتأثر بتوجيهات السلطة الادارية امعانا فى المحافظة على الحقوق الاساسية للافراد . ولكن هذا لا يتنافى مع التعاون بين السلطتين فى سبيل المصلحة العامة لا بل ان هذا التعاون أمر واجب ، ووزارة العدل من جهتها ما فتئت توجه المنشورات الدورية لرجال القضاء فى مختلف انحاء المملكة حاثة اياهم على وجوب هذا التعاون . كما عقدت فى عدة مناسبات اجتماعات فى رئاسة الوزارة ووزارتي الداخلية والعدل ضمت ممثلين عن الوزارتين للبحث فى كيفية تحقيق هذا التعاون المثمر .

ومن جهة اخرى يجب على رجال السلطة الادارية الا يعتبروا ان الفصل يقصد به الحد من نفوذهم او الحط من شأنهم أو ان صدور حكم قضائي مخالف لرايهم تحقير سلطتهم بل عليهم ان يتفهموا تطور الحياة وحقيقة الوضع الحاضر والمصلحة العليا للوطن واخذ البلاد بركب الحضارة الحديثة التي تعتبر فصل السلطات من القواعد الاساسية التي تقوم عليها سلامة المجتمع من الظلم والاستبداد .

ثانيا ـ توحيد المحاكم :

يتعذر علينا فى هذا المجال الضيق ان نتعرض لجميع النصوص التشريعية الصادرة منذ الاستقلال للخروج من الوضع السابق الذي قامت فيه تلك المجموعة المتنوعة من المحاكم الى وضع موحد لا يعرف فى الاصل الا نوعا واحدا من المحاكم يطلق عليها اسم المحاكم العادية تكون هي صاحبة الاختصاص العام للنظر فى جميع القضايا مهما كان نوعها ومهما كانت جنسية المتقاضين بحيث لا تبقى الى جانبها من محاكم استثنائية الا ما تدعو اليه حاجات استثنائية ايضا . وهذه هي الغاية التي تسعى اليها الحكومة المغربية وقد قطعت فى سبيل ادراكها شوطا بعيدا ، بحيث اصبحت المحاكم المسماة « بالمحاكم العادية » وهي التي انشأها ظهير 4 ابريل 1956 هي الاصل وبقية المحاكم الاخرى هي محاكم استثنائية منها ما الغي ومنها ما هو مدعو ليصبح فرعا منها ومنها ما ادمج بها ومنها ما هو سائر فى طريق الادماج بها .

فالمحاكم العرفية قد الغيت ومحاكم القضاة وهي ما كانت تعرف بالمحاكم الشرعية تسير فى طريق الضم الى المحاكم العادية حيث تؤلف غرفة ذات اختصاص معين وهذا الضم قد تحقق اداريا فى درجة الاستئناف حيث اصبحت الغرفة الاقليمية للاستيناف تابعة اداريا للمحكمة الاقليمية . وفى طنجة ادمجت المحاكم العصرية بالمحاكم العادية وفى الشمال تقرر هذا الادماج بظهير شريف وفى الجنوب تم ادماج المحكمة العليا الشريفة بمحكمة الاستيناف بالرباط التي اصبحت تشمل بنفوذها المحاكم العادية الاقليمية والمحاكم العصرية الابتدائية وانشيء فى قمة القضاء المجلس الاعلى الذي يشمل بنفوذه جميع المحاكم الموجودة بالمغرب .

وقد اصبح التنظيم القضائي فى المغرب بعد اجراء هذه الاصلاحات يشتمل على المحاكم الاتي بيانها :

1 ــ **المحاكم العادية :** يطلق عليها هذا الاسم كمقابل « المحاكم الاستثنائية » للدلالة على أنها هي صاحبة الاختصاص للنظر فى كل قضية لم يسند البت فيها بمقتضى نص صريح الى محكمة اخرى وهي على درجتين : محاكم السدد والمحاكم الاقليمية .

فمحكمة السدد تتالف من مسدد ونائب واحد او عدة نواب . ويصدر الحكم عن واحد منهم فقط . ويمثل النيابة العمومية لديها اما نائب عن وكيل الدولة واما نائب مسدد يعهد اليه بتمثيل النيابة المذكورة .

وتتالف المحكمة الاقليمية من رئيس وعدة اعضاء وتشتمل على هيئة للحكم وقاضي للتحقيق ونيابة عامة وكتابة للضبط . وتنقسم هيئة الحكم الى غرفة او عدة غرف وتنعقد جلساتها بحضور ثلاثة اعضاء .

وتنعقد المحاكم الاقليمية كمحاكم جنائية فى دورات يعينها وزير العدل وهي اذ ذاك تتكون من ثلاثة قضاة يضاف اليهم اربعة مستشارين محلفين يكون لهم حق التصويت ويقع اختيارهم بطريق القرعة من القائمات المحررة كل سنة . وبمقتضى ظهير 20 شتنبر 1958 يجب ان تسند هذه المهمة الى مواطنين مغاربة سواء لدى المحاكم العادية او العصرية وانما يجوز ان يكون بعضهم اجانب ــ دون ان يتعدى عددهم النصف ــ فيما اذا كان المتهم اجنبيا .

2 ــ **المحاكم العصرية :**

استحدث هذا التعبير بعد الاستقلال لتسمية المحاكم المؤسسة بمقتضى ظهير 12 غشت 1913 وكذا المحاكم المشابهة لها التي احدثت فى الشمال بمقتضى الظهير الخليفي المؤرخ فى فاتح يونيو 1914 وقد نص ظهير 12 غشت 1958 على الغاء هذه الاخيرة وضمها الى محاكم السدد والمحاكم الاقليمية وترك لوزير العدل امر تقرير تنفيذ هذا الادماج .

اما المحاكم المؤسسة بمقتضى ظهير 12 غشت 1913 والتي لم تدمج بعد بالمحاكم العادية فهي على درجتين :

محاكم الصلح والمحاكم الابتدائية :

فمحاكم الصلح تنعقد بحضور قاض واحد والمحاكم الابتدائية تنقسم الى غرف كالمحاكم الاقليمية وتنعقد بحضور ثلاثة اعضاء .

وتختص هذه المحاكم للنظر فى القضايا التي يكون فيها الطرفان او احدهما اجنبيا وكذا للنظر فى قضايا العقارات المحفظة وحوادث السير وبعض انواع اخرى من القضايا التي اسندت اليها بمقتضى نصوص خاصة .

3 ــ **محاكم الاستيناف :** يوجد الان فى المغرب محكمتان للاستيناف واحدة بالرباط والاخرى فى طنجة

أ ــ محكمة الاستيناف بالرباط ــ كانت هذه المحكمة تشمل اولا بنفوذها المحاكم الابتدائية العصرية فقط لكنها اصبحت بعد ظهير 21 شتنبر 1957 تشمل ايضا المحاكم الاقليمية بحيث تتالف من قسمين : قسم عصري وقسم عادي .

فالقسم العصري يشمل بنفوذه المحاكم الابتدائية وينقسم الى عدة غرف والقسم العادي يشمل المحاكم الاقليمية وينقسم بدوره الى عدة غرف وتنعقد كل غرفة بحضور ثلاثة مستشارين .

وتقوم لدى هذه المحكمة نيابة عامة تحت رئاسة محام عام واحد .

ب ــ **محكمة الاستيناف بطنجة :** تشتمل هذه المحكمة على ثلاث غرف وتشمل بنفوذها المحاكم الاقليمية بطنجة وتطوان والناضور والمحاكم الابتدائية بتطوان والعرائش والناضور .

ولديها نيابة عامة تحت رئاسة محام عام .

4 ــ **محاكم القضاة :** تختص هذه المحاكم بالنظر فى قضايا الاحوال الشخصية للمسلمين المغاربة وقضايا العقارات غير المحفظة وهي على درجتين : محكمة القاضي الابتدائية والقسم الاقليمي للاستيناف.

فمحكمة القاضي الابتدائية تنعقد بعضو واحد اما القسم الاقليمي للاستيناف فينعقد بحضور ثلاثة اعضاء وهو يبت على وجه الاستيناف فى القضايا التي تفصل فيها ابتدائيا محكمة القاضي .

وقد جهزت هذه المحاكم بمقتضى ظهير 16 دجنبر 1957 بمسطرة جديدة عصرية منقولة بتبسيط عن المسطرة المدنية المتبعة لدى المحاكم المؤسسة سنة 1913.

5 ــ **المحاكم العبرية :** تنظر هذه المحاكم فى الاحوال الشخصية والارث للمغاربة الاسرائيليين وتتالف من الهيئات الاتية :

ا ـ محاكم الحاخامات الحكام المفوضين .

ب ـ المحاكم العبرية الاقليمية .

ج ـ المحكمة العبرية العليا بالرباط .

6 ـ **المحاكم العسكرية :** نظم القضاء العسكري بمقتضى الظهير المؤرخ فى 10 نونبر 1956 واسند الى محكمة يطلق عليها اسم « المحكمة العسكرية الدائمة للقوات المسلحة الملكية » ومركزها فى الرباط .

وتختص هذه المحكمة بالنظر فى الجرائم العسكرية وفى الجنايات والجنح العادية متى كان مرتكبها من العسكريين وفى بعض الجرائم الاخرى التي تعينها قوانين خاصة سواء كان مرتكبها مدنيا ام عسكريا .

7 ـ **محاكم الشغل :** تختص هذه المحاكم بالبت فى المنازعات الفردية التي تنشا عن عقود العمل فى التجارة والصناعة والزراعة والمهن الحرة بين ارباب العمل من جهة والمستخدمين والعملة من جهة اخرى .

8 ـ **المجلس الاعلى :** يقوم هذا المجلس على قمة القضاء وهو ليس محكمة استئناف بالدرجة الثالثة بل ان مهمته السهر على تفسير القانون تفسيرا صحيحا بتوحيد اجتهاد المحاكم الاخرى من استينافية وابتدائية .

فالدور الذي اسند اليه هو الفصل فى طلبات النقض التي تقدم من اي طرف كان فى الدعوى ضد الاحكام والقرارات الصادرة نهائيا .

وزيادة على هذا الدور يلعب المجلس الاعلى فى التنظيم القضائي المغربي دورا آخر على جانب كبير من الاهمية اذ انه يقوم فى آن واحد بدور محكمة نقض وابرام ودور مجلس شورى الدولة اي انه مناط به ايضا الفصل فى طلبات الغاء المقررات الصادرة عن السلطة الادارية بدعوى الشطط فى استعمال السلطة .

يشتمل المجلس فى الوقت الحاضر على اربع غرف وقد نص الظهير على انه يمكن لكل غرفة ان تنقسم بدورها الى اقسام بموجب قرار من وزير العدل وهكذا نرى ان الغرفة الاولى قد قسمت بموجب القرار المؤرخ فى 23 دسمبر 1957 الى ثلاثة اقسام .

1 ـ قسم لقضايا الاحوال الشخصية والمواريث والعقارات .

2 ـ قسم مدني

3 ـ قسم جنائي

اما الغرفة الرابعة فهي غرفة ادارية اي انها تمارس الاختصاصات المسندة الى مجلس شورى الدولة فى الدول التي يوجد فيها مثل هذا المجلس .

ثالثا ـ توحيد التشريع

1 ـ سياسة التدوين ـ ان سياسة التدوين التي تنهجها الحكومة المغربية عن طريق وزارة العدل باعتبارها مكملا ضروريا للاصلاح القضائي تقوم على المبادىء الاتية :

اولا ـ توحيد التشريع فى كافة مناطق المغرب ولدى مختلف انواع المحاكم .

ثانيا ـ تجهيز المغرب بمجموعة من القوانين الحديثة التي تؤهله لمسايرة الحياة العصرية وحاجاتها .

ثالثا ـ جعل التشريع المغربي منسجما مع مبادىء الشريعة الاسلامية لاسيما فيما يعود للاحوال الشخصية .

2 ـ **القوانين التي صدرت :** تنفيذا للسياسة المذكورة سابقا صدرت لحد الان القوانين الاتية :

أ ـ مجموعة القوانين المتعلقة بالتنظيم القضائي نفسه .

ب ـ قانون المسطرة لدى محاكم القضاة الذي عوض المسطرة القديمة بالمسطرة العصرية .

ج ـ مدونة الاحوال الشخصية .

د ـ قانون الجنسية .

هـ ـ قانون تسليم المجرمين .

و ـ قانون تنظيم مهنة المحاماة .

ز ـ قانون المسطرة الجنائية .

3 ـ **القوانين المعدة للصدور او الموجودة قيد الاعداد :**

ا ـ قانون المسطرة المدنية

ب ـ قانون العقوبات

ج ـ قانون الاموال

الخلاصة :

يمكننا ان نستخلص من هذا العرض الوجيز ان المغرب قد شق طريقه خلال المدة القصيرة التي مرت على اعلان الاستقلال نحو اقامة نظام قضائي صحيح تراعى فيه المبادىء الاساسية للتنظيم القضائي على العموم وحاجات العصر بالخصوص ، وتجهيز هذا القضاء بمجموعة من النصوص الشرعية التي توفق بين التراث الفقهي الاسلامي والمبادىء القانونية العصرية ، وانه قد خطا خطوات كبيرة دون تردد ولا حيرة فى سبيل تحقيق سياسته القضائية الموفقة بفضل الارشادات الحكيمة التي ما فتىء صاحب الجلالة الملك يغدقها على المتولين امور العدالة والقضاء .

نصوص تاريخية :

رسالة الكاتب بن أبي الخصال التي نال فيها من كرامة الموحدين .

للأستاذ : عبد الله كنون

عرف المرابطون بالحلم والتسامح والاغضاء حتى انهم لم يريقوا محجم دم في غير ساحة القتال ، وموقف يوسف بن تاشفين من المعتمد بن عباد معروف ، بل ومن غيره من ملوك الطوائف ورؤساء الاندلس الذين سلموا فسلموا ، بعد ما كان منهم ما كان من الشغب والخلاف على اثر واقعة الزلاقة الشهيرة ، مما كاد يودي بحياة الشعب العربي في الاندلس مرة اخرى لولا مسارعة يوسف بتلبية رغبة هذا الشعب في النجدة والانقاذ .

وقد ادت تصفية ملك الطوائف على النحو المعروف في التاريخ الى اثارة حملة شعواء على المغاربة عموما والمرابطين خصوصا من طرف العناصر الموتورة والفئات التي كانت تستغل الوضع الفاسد الذي كان قائما في الاندلس لمصلحتها الخاصة ، ومن هؤلاء جماعة من الادباء المنحلي الاخلاق الذين كانوا يجدون ما يرضي غوايتهم عند سادة العهد البائد ، وآخرون من ذوي الطموح السياسي الذين لم يرضوا الترضية الكافية فلجأوا الى التشنيع والتقول على الدولة الجديدة .

ولعل صاحبنا ابا عبد الله بن ابي الخصال كان من الفريق الثاني ، اذ لا نستطيع ان نصمه بانه كان منحل الاخلاق ، وهو الى ان يعد في العلماء واهل الرواية والحديث اكثر من ان يعد في الادباء فضلا عن اصطناع المرابطين له واستكتابهم اياه من قديم وهم لم يكونوا يقربون الا اهل المروءة والدين من العلماء والادباء . يقول ابن الابار في ترجمته من المعجم : « محمد بن ابي الخصال واسمه مسعود بن طيب بن فرج بن خلصة الغافقي ابو عبد الله ذو الوزارتين .. سكن قرطبة واوليته من قرية بشقورة تسمى فرغليط وبها نشا ومنها تردد في طلب العلم والادب » وذكر جملة من مشايخه ثم قال :

« وعني بالحديث فاتقنه واما البلاغة فاليه انتهت وعليه قصرت وبموته فقدت » . وصفه بهذا ابو القاسم بن حبيش . وقال فيه ابن بشكوال مفخرة وقته وجمال جماعته . قال : « وكان متفننا في العلوم مستبحرا في الاداب واللغات عالما بالاخبار ومعاني الحديث والآثار والسير والاشعار احد رجال الكمال» . وسمعت شيخنا ابا الربيع موسى يقول سمعت ابا الحسين عبد الرحمن ابن ابا عامر الاشعري يقول سمعت الفقيه ابا مروان بن مسرة يقول لم ينطلق اسم كاتب بالاندلس على رجل مثل ابي عبد الله بن ابي الخصال ... وحكى لنا شيخنا ابو الحسين ابن السراج ان خاله ابا بكر بن خير وابا القاسم بن بشكوال وابا القاسم بن غالب المعروف بالشراط قصدوا ذات يوم قبر ابي عبد بن ابي الخصال وقد وعدوا احد تلاميذهم ان يقرأ هناك عليهم قصيدته البائية التي وسمها بمعراج المناقب ومنهاج الحسب الثاقب قال : « وكنت فيمن صحبهم لاخذها عنهم فسمعتهم يترحمون عليه ويقولون عند انتهائهم : السلام عليك يا زين الاسلام » قال ابن الابار : « ومع كماله لم يحظ من امراء عصره بآماله ، وهي عادة الايام العادية في امثاله ، تواري لما بهى ، وخفى اضعاف مما ظهر ، وصار اخوه ابو مروان بالكتابة عنهم اشهر ، والذي قعد بابي عبد الله هو قيام ابن الحاج امير قرطبة على ابن تاشفين وثورته التي نكب عنها ، ونجا ، ولكن كيف نجا منها ؟ وكان حينئذ اوثق حاشيته واسبابه ، والصق وزرائه به وكتابه مع ان اختصاصه لم يكن الا بابنه ابي يحيى ابي بكر بن ابي عبد الله حتى وسمه بذي الوزارتين فجرت عليه تخصيصا بعنايته ، ومكافاة لكفايته ، فكم جلى من تلك الخطوب الجلائل ، وابلى باليراع والرسائل مكان ذوات العمود والحمائل ، ولما استقل ابن الحاج وولى ما ولى من اعمال المغرب ..

عاد ابن ابي الخصال لصحبته هناك هو وابو بكر بن عبد العزيز وطائفة انضوت من حرمته الى الحصن الحصين والحرز الحريز . وذلك لشفوف هذا الامير على اترابه، وخفوق ذاته الراجحة في حقوق اصحابه ثم انهم انتقلوا بانتقاله الى سرقسطة ام الثغر الشرقي حين حلها ذابا عن ارجائها ومجاهدا لاعدائها ، حلول البر التقي ، واذ حمت شهادته قافلا من غزاته في التاريخ المرسوم ؛ كسد ما نفق في ايامه من بضائع العلوم وناصع المنثور والمنظوم فلزم ابو عبد الله داره خائفا من تلك الاحقاد القديمة وراضيا بالاياب اليها من الغنيمة وفي اكثر عمره ارتد على العقب ماموله وامتد بطول مدة ابن تاشفين خموله ... الى ان حمت منيته بالفتنة الحمدينية فاستشهد رحمه الله ودفن يوم الاحد الثالث عشر من ذي الحجة سنة 570 ... ومولده سنة خمسين وقيل سنة 463 » .

فهذه الاطوار التي تقلب فيها كاتبنا الكبير تدل على انه كان ذا نفس قوية وانه لم يستعن بالعلم بل تشوف الى الظهور عن طريق السياسة ، ومن ثم شارك في ثورة ابن الحاج بقرطبة . وابن الحاج هذا هو ابو عبد الله محمد بن داود بن عمر اللمتوني امير قرطبة من رجالات يوسف بن تاشفين وذوي السابقة في الجهاد بالاندلس ، وكان قد دفع امرة على ابن يوسف وتلكأ عن بيعته لاول ولايته سلطان ابيه وملاه الملا من اهل قرطبة، مشيختها وفقهائها وذلك سنة 500 ثم نكب وقبض عليه وفسد تدبيره وهرب من كان معه من الاعيان الى ان رضي عنه علي بن يوسف وولاه مدينة فاس وما اليها من الاعمال ثم نقله الى ولاية سرقسطة وبلنسية من شرق الاندلس حيث استشهد سنة 508 وكان ابن ابي الخصال يصحبه في هذه المدة كلها ويكتب له ؛ ويظهر انه صحب ابنه ابا بكر الملقب بابن يحيى قبل صحبته لابيه وخدمه كما خدم اباه وهو الذي لقبه بذي الوزارتين كما سبق عن ابن الابار ، ثم التحق بعد ذلك بخدمة امير المسلمين علي بن يوسف وعلى ما يفهم من اسجاع الفتح بن خاقان كان تلقيب الامير ابي يحيى له بذي الوزارتين في حالة سكر ايام قيامهم على علي بن يوسف ؛ وابن خاقان وان نوه به كثيرا فان كلامه عنه لا يخلو من مغامز .

وعلى كل حال فنحن نعتقد انه بعد وفاة مخدومه الاول الامير ابن الحاج خدم علي بن يوسف كاتبا مع اخيه ابي مروان عبد الملك كما عند (المعجب) وربما كان اخوه هذا هو الذي سعى في استدعاء امير المسلمين له اذ يظهر من عبارة ابن الابار انه كان محظوظا عندهم وعالي المكانة لديهم ؛ واذن فقد اخطا ابن الابار في قوله ان صاحبنا لزم داره بقرطبة بعد وفاة ابن الحاج خائفا من تلك الاحقاد القديمة الخ ... فان امير المسلمين كان قد عفا عن ابن الحاج وعن جميع اتباعه وهو منهم فلم يكن لديه ما يخاف منه ولو كان يريد الانتقام منه لما امتنع عليه ، واعظم من هذا اننا نرى عبد الواحد المراكشي في (المعجب) يذكر انه كتب لعلي بن يوسف مع اخيه ابي مروان ولا يكون ذلك الا بعد عطلة من العمل ، وفي هذه الاثناء كتب رسالته المشهورة في التشنيع على المرابطين التي استفزت حلم امير المسلمين فعزله عن كتابته وحينئذ يكون لزوم داره متخوفا من تلك الاحقاد على حق في هذا التخوف

وسياق الخبر كما يستفاد من (المعجب) ان علي ابن يوسف كان قد استدعى كاتبنا فيمن استدعاهم من اعيان الكتاب الاندلسيين للكتابة عنه وانه كان من انبههم عنده واكبرهم مكانة لديه كما قال ابن الابار في اخيه ابي مروان : « فلم يزل ابو عبد الله هذا واخوه كاتبين لامير المسلمين الى ان اخر امير المسلمين ابا مروان عن الكتابة لموجدة كانت منه عليه سببها انه امره واخاه ابا عبد الله ان يكتبا عنه الى جند بلنسية حين تخاذلوا وتواكلوا حتى هزمهم ابن ردمير لعنه الله هزيمة قبيحة [1] وقتل منهم مقتلة عظيمة فكتب ابو عبد الله رسالته المشهورة في ذلك ، وهي رسالة كاد اهل الاندلس قاطبة ان يحفظوها ، احسن فيها ماشاء ، وقد منعني من ايرادها ما فيها من الطول ؛ وكتب ابو مروان رسالة في ذلك الغرض افحش فيها على المرابطين واغلظ لهم في القول اكثر من الحاجة فمن فصولها قوله : (اي بني اللئيمة واعيار الهزيمة ؛ الى م يزيفكم الناقد ويردكم الفارس الواحد ؟)

---

[1] انظر عن حروب ابن ردمير والمرابطين ما اورده كتاب القرطاس اثناء ترجمة علي بن يوسف وبالخصوص حوادث سنتي 512 و 513 التي سقطت فيها مدينة سرقسطة بيد ان ابن ردمير وبلاد اخرى من شرق الاندلس ، وهي الحوادث المعنية بهذه الهزيمة التي صدرت فيها الرسالة على ما نظن . وابن ردمير هو الفونس الاول ملك اراغون .

فليت لكم بارتباط الخيو
ل غانا لها حالب قاعد

لقد آن ان نوسعكم عقابا ، والا تلوتوا على وجه نقابا ، وان نعيدكم الى صحرالكم ، ونطهر الجزيرة من رحضائكم) في امثال لهذا القول ، فاحنق ذلك أمير المسلمين واخره عن كتابته وقال لابي عبد الله اخيه كنا في شك من بغض ابي مروان للمرابطين والآن قد صح عندنا ، فلما راى ذلك ابو عبد الله استعفاه فاعفاه ورجع الى قرطبة بعد ما مات اخوه ابو مروان بمراكش واقام هو بقرطبة الى ان استشهد في داره رحمه الله اول الفتنة الكائنة على المرابطين (2) .

وهذا النص ان كان افادنا سبب كتابة الرسالة التي نحن بصددها فان فيه تخليطا على ما يظهر وبيانه :

1 — ان امير المسلمين كلف الاخوين معا بان يكتب كل منهما رسالة في الموضوع فكتبا رسالتين مقذعين ، ولكن التي كتبها ابو مروان كانت افحش من التي كتبها ابو عبد الله والعجيب ان التي اشتهرت وطارت كل مطار هي التي لهذا الاخير ، مع ان الامر ينبغي ان يكون على العكس وهو ان تشتهر الرسالة التي هي اكثر فحشا والتي كانت السبب في عزل صاحبها ، ثم لم يكلف امير المسلمين الكاتبين معا بكتابة هذه الرسالة ؟ اكان في شك من كفاءتهما فهو يريد ان يمتحنهما ؟ .

2 — ان الفصل الذي اثبته المراكشي وقال انه من فصول رسالة ابي مروان هو في رسالة ابي عبد الله كما وجدناه في نصها الكامل باحد المجامع الاندلسية من مخطوطات مكتبة الاسكوريال تحت رقم 538 منسوبة الى ابي عبد الله ، وسيراه القارىء في هذه الرسالة التي سنثبتها فيما يلي ، وهو قد اقتضبه اقتضابا وتصرف فيه بالتقديم والتاخير مما يدل على انه اثبته من حفظه وليس من نسخة كانت عنده .

3 — ان احدا من المؤرخين لم يذكر عن ابي مروان شيئا مما يفيده كلام المراكشي وانما يفيد كلاهم عنه انه كان يحل من امير المومنين بمنزلة المحب المكرم ، وانه الذي نبا به المنزل عنده هو ابو عبد الله وهو في قول المراكشي نفسه صاحب الرسالة المشهورة التي كاد اهل الاندلس ان يحفظوها ، ثم هو الذي نزح باتفاق معه من مراكش الى قرطبة وانزوى ببيته فيها خائفا من نتيجة عمله ، على حين ان ابا مروان توفي بمراكش فلم لا يكون توفي وهو في خدمة اميره متمتعا برضاه لانه لم يعلق قط بما يوجب تنحيته عن الخدمة ويسبب له سخط رئيس الدولة . . .

4 — ان المراكشي لم يشر الى ان رسالة ابي عبد الله كانت مدحا او ذما ، ومقتضى سيرورتها وحفظ الاندلسيين لها انها من القبيل الثاني ، فلم لم يعاقب ابو عبد الله بشيء وهو صاحب الرسالة السابقة في الخروج والتضامن مع الثائر ابن الحاج ؟ . . .

ففي نظرنا ان المراكشي وقع له وهم في هذا الخبر لانه كتب من حفظه بعيدا عن وطنه ، وليست هذه باولى غلطاته التاريخية التي نبهنا عليها في ترجمته من الذكريات (3) ، وان القريب الى الصواب ان تكون الرسالة من انشاء ابي عبد الله ، وانه هو الذي قال فيه امير المسلمين لاخيه ابي مروان : « لقد كنا في شك من بغض ابي عبد الله المرابطين والآن صح عندنا » لا العكس الذي جاء في عبارة (المعجب) ، واذ ذاك استعفى ابو عبد الله فاعفى ورجع الى قرطبة ولزم داره وبقي ابو مروان في منصبه حتى توفي .

والآن نرجع الى الرسالة التي قلنا انا عثرنا عليها في مجموع اندلسي من مخطوطات المكتبة الاسكوريالية فنقول انها تقع في صفحتين من هذا المجموع وثلث الصفحة وكل صفحة تحتوي على 21 سطرا وخطها كباقي المجموع اندلسي واضح ، وان كان لا يخلو من تحريف ، وهي مسبوقة برسالة صادرة عن تاشفين ابن علي الى اهل بلنسية لم يسم كاتبها ومتبوعة برسالة اخرى من انشاء كاتبنا مما كتب به عن امير المسلمين عند جوازه من سبتة للجزيرة الخضراء ، والمهم انه في نهاية رسالتنا هذه وردت هذه العبارة : « كمل ما كتب به الفقيه الاديب الكاتب البليغ الاديب ذو الوزارتين ابو عبد الله بن ابي الخصال عن امير المسلمين فلم يبق شك في انها لصاحبنا ابي عبد الله لا لاخيه ابي مروان ، وبما ان العبارة التي اوردها صاحب المعجب ونسبها

(2) المعجب ص 176 طبعة دار الكتاب
(3) هي وبقية حلقات هذه السلسلة تنتظر الناشر الذي ياخذ حظه ويعطي حق غيره . . . وهذا هو جوابنا لكل من يسألنا عن سبب توقف نشر الذكريات من المواطنين وغيرهم .

لابي مروان هي من رسالة صاحبنا هذه فقد ترجح بذلك ان ليس هناك الا رسالة واحدة في الموضوع وانها من انشاء ابن عبد الله لا غير .

وسيرى القارىء لهذه الرسالة ان كاتبها افحش فيها غاية الافحاش وتناول المرابطين بالقدح في دولتهم والطعن في اصلهم . فجعلهم من بقايا بني الاصفر وهم — كما علم — ينتسبون في صنهاجة الى حمير — ثم عيرهم بالجبن والبداوة واللؤم ، وجعل دخولهم للاندلس نكبة ووبالا عليها ، وانها بحاجة الى التطهير منهم ، ولم يدع سبة ولا كلمة تنال من كرامتهم تصريحا او تلويحا الا رماهم بها ، كانه كان يهتبل هذه الفرصة ليعبر عن حقد دفين عليهم ، ومع ذلك يقال انه لم يحظ عندهم ولم ينل ما يستحقه من العطف والتقدير ، فالعجب كيف سلم بجلده بعد هذه الفعلة الشنعاء ، واقتصار امير المومنين مع ذلك على اعفائه من الكتابة عنه لهو في نظرنا مغربة الاخبار في الحلم والسماحة والصفح فلو صدر بعض ما في هذه الرسالة من الذم والهجاء من احد كتاب الاندلس او شعرائها في احد ملوك الطوائف الذين يقال انهم كانوا يبرون الادباء ويكرمونهم ويوفون لهم حقهم ، لما كان جزاؤه الا القتل ، لا ان يستعفى ويذهب لحال سبيله فياوي الى بيته خائفا يترقب على ما قيل ؟ . .

ومما يؤكد ان صاحبنا كان ناقما على القوم لسبب ما ، وربما كان هو خيبته السياسية كما قدمنا . انه توفي مقتالا في فتنة ابن حمدين الذي اراد ان يغتنم فرصة انحلال الدولة المرابطة فدعا لنفسه في قرطبة ولم يتم له امر بدخول الموحدين اليها وقضائهم عليه وعلى رؤوس الفتنة جميعا ، فهل شارك هو ايضا في هذه الفتنة بما اوجب اغتياله ؟ . . .

وبعد فهذا نص رسالته رحمه الله وعفا عنه، وكنا نود ان نشرحها بما يوضح معناها للعموم فرأينا ذلك يطول وحبذا لو وقع ضبطها بالحركات في الطبع على ما ضبطناها في الخط فذلك مما يعين القارىء المتوسط على فهم اغراضها البعيدة المرمى ، ولاشك ان امير المسلمين ادرك جميع معانيها الخفية حتى تاثر بها وسرح كاتبها من خدمته ، وهذا وحده مما يكفينا للدلالة على ما كان عند الامراء المرابطين من ثقافة عربية متينة :

« من امير المومنين وناصر الدين اما بعد يافرقة خبثت سرائرها ، وانفكت مرائرها ، وطائفة انتفخ سحرها ، وغاض على حين مده بحرها ، فقد آن للنعم ان تفارقكم ، وللاقدام ان تطا مفارقكم ، حين ركبتموها جلواء عارية ، واصبحتم في ادراع عارها امثالا سوائية، واختلط المرعى منكم بالهمل ، فما يتميز الا نقص من الاكمل، فطاطاتم لها رؤوس عشائركم، وعضيتم بالقولة على سائركم ، لا جرم ان قد صرتم سم الندى ، والاحاديث الملفقة بالغداة والعشي ، بما خامركم من الجبن والخور ، واستهواكم من لقاء عدوكم بالجانب الازور ، لا تواجهونهم طرفة عين ، ولا تعاطونهم حمة حين ، بل تعطونهم الضمة هنيا مريا، وتتخذونهم وراءكم ظهريا ، والرماح نحوكم لم تشرع ، والخيل لم تسرع ، والنفوس في حياض المنية لم تكرع فانكم تلة ذئابهم ، وفريسة انيابهم ، قد تقهوا في بوسكم ، وناهضوكم بلبوسكم وحاربوكم عاما على اثر عام ، وحتى الزقوكم بالرغام ، وتركوكم اسلح من حباري واشرد من نعام ، فالان حين ملاتم ايديهم متاعا، ووادبهم سلاحا وكراعا ، قد غزوكم في عقركم ، واذاقوكم وبال امركم، فلذتم بالجدران، وبؤتم بالندامة والخسران يا بقايا بني الاصفر ، وسجايا ذوات الدل والخفر ، اكرهتم رحافهم ، وكنتم — علم الله — اضعافهم ، انى لكم بالمعذرة واين ، وقد فرض الله الواحد منكم بالاثنين، فقال ان تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين . هذا وكلمتكم العليا ، وحلوبتكم الحياة الدنيا . ما شئتم من صارم وطرق ونحض وركائب وسوام ، ونضائد وخيام، فيا اسفا للحق يدمغه الباطل ، والحالي يبهره العاطل، لا بالحنيفية تحزرتم ، ولا الى الحفيظة والانابة تحيزتم. ليت شعري بماذا تقلدتموها هندية ، واعتلقتموها سمهرية خطية ، وركبتموها جردا سوابق ، وملكتموها مغارب ومشارق ، ثاوين في غير عدادكم ، منتزين على اضدادكم ، يؤدون الاتاوة اليكم ، حين اشرقتموهم بالهوان ، وانتم فيهم غرباء الوجه واليد واللسان ، وصيروكم عبيد العصي ، وليسوا بالاكثر منكم حصا (4) بل شرذمة قليل نفعها ، كثير نجعها فيا

4) بالاصل : ولستم بالاكثرين منهم حصا ، والتصحيح من الطرة ، لكن ان ناسب المعنى الذي قبله فليس يناسب الذي بعده ، والعبارة على كل حال مقتبسة من قول الشاعر :

ولست بالاكثر منهم حصا ❋ وانما العزة للكاثر

عجبا لامولكم ، شبانكم وكهولكم ، تاكلون تمرها ، ولا تصلون جمرها ، وتذهبون بحلوائها ، ولا تصبرون على لاوائها ، اي‌بني اللئيمة واعيارالهزيمة ، الى م يزيغكم (5) الناقد ، ويردكم الفارس الواحد :

الا هل اتاها علــى نايهــا
بما فضحــت قومهــا غامــد

تمنيتــــم مائتــي فــــارس
فردكـــم فـــارس واحـــد

فليت لكـم بارتبـاط الخيـو
ل ضـانـا لهـا حالب قاعــد

ومن لرعاة الابل ، بالجد المقبل ، لقدما ما أذهبتم التالد والطارف ، وعجت عجيجا بمز جذامي المطارف ، وانتم قد قدحتم في ملكنا ، وآذنتم بانتثار سلكنا ، فلولا من لدينا من ذويكم ، وضراعتكم الينا فيكم ، لالحقناكم عجلا بصحرائكم ، وطهرنا الجزيرة من رحضائكم ، بعد ان توسعكم عقابا ، ونحل ان لاتلووا (6) على‌وجه نعابا ؛ فاللوم تحت عمائمكم ، والوهن والفشل طي عزائمكم ، لكل ما جبلنا عليه من الاناة ، وتوخيناه قدما من ايقاظ ذوي الهيآت بكفنا عن استيصالكم ، ويحملنا على شحذ نصالكم ، واستفــــروا يا بغات الهيجاء واستتيـــــــروا بعد الرجاء ، واحذروا حلما اغضبتموه ، وواديا مــــن الصبر انضبتموه ، وتوقوا صدرا احرجتموه ؛ وليثا من اجمته اخرجتموه ، وايم الله نقسم انذارا بكم واعذارا لكم ، لتوردن الفار منكم من الزحف ، ما عافه من مورد الحتف ، ولتتجاوزن السوط الى السيف ، ولتبدلــن المعدلة فيكم بالحيف ؛ فليعلم المحجم منكم عن الاقدام ؛ انه سلم من الحمام الى الحمام ، وتخطى مسرع الاسد الباسل ، الى جزع مائل وبشهادة الابرار ، الى مشهد الذل والصغار ، كما ان من اصيب منكم في حرب ، او ابلى بطعن او ضرب خلفناه في الاهل والولد ، وبعناه الاثرة والكرامة يدا بيد ، فاختاروا لانفسكم واعقابكم ، وانضوا ثوب الخزي عن رقابكم ، والســلام ، على من حمـــــــى الاسلام ! .

---

(5) بالاصل : يزيمكم والتصحيح عن المعجب فضلا عما يقتضيه لفظ الناقد من التزييف .
(6) بالاصل : تلوا فلعل الواو الثاني سقط عند النسخ وفي المعجب تلوتوا وهي احسن .

الســـعـــادة

الســعادة هــي اكبــر انتصــار علــى‌ما يعترضنــا من حظ سيء .

البيــر كـامــو

شخصيات مغربية

أبو اسحاق التادلي الرباطي

للأستاذ : عبد الله الجراري

ابو اسحاق التادلي هذه الشخصية تعد في طليعة الشخصيات العالمية اجتهادا واطلاعا ــ فهو العلم النادر ، والآية الكبرى في المضمار الثقافي ، والحقل العلمي ــ فبعدما تغذت افكاره بالمبادىء الصحيحة وتقعد في اسسها الهامة ــ عن رجال مصره ــ رباط الفتح ــ عاصمة المملكة المغربية طمحت نفسه الوثابة لاشباع نهمه العلمي تحقيقا لقول الرسول الاكرم صلوات الله عليه : **(منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا)** فشد الرحلة الى عاصمة العلم فاس الفيحاء ولازم اساتذتها طوال خمس عشرة سنة درس فيها كل ما كان يروج في ابهاء جامعتها الخالدة من علوم في الاصول والفروع ، والمنقول والمعقول ، والرقائق والفنون ، ثم منها الى مكناس حيث ازال ما علا بعض مقروئه من غموض والتباس .

وهكذا يرى الرجل كلما تقدمت به المعرفة الا وتجددت مطامحه ، وتضاعفت لذاته ، فخطا خطوات نحو الشرق العربي في تكرار رغبة في ارواء غلته ، وانماء معارفه آخذا عن افذاذه الذين كان العصر ضانا بخلق نظائرهم في غير بقاع الوحي والهداية التي كانت ارجاؤها تعج بعباقرة المعرفة على اختلاف اشكالها وافانين الوانها .

فعقب ما حصل الفقه اصولا وفروعا ، وغدا مصدرا هاما من مصادر المذهب ــ تشوفت علميته الحرة لدراسة فقه باقي المذاهب غير قانع بمعرفة مذهبه المالكي الذي كان يعد الاقتصار عليه قصورا من رجال الثقافة ــ لهذه الظاهرة العالية لم يقف جهوده الجبارة راضيا بمدارك مذهبه ، واختلاف دراسيه رايا ومذهبا بل حلق في اجواء باقي اختصاصات المذاهب اشرافا على الغاية التي يصبو اليها الائمة في فهم نصوص الكتاب والسنة وتطبيقها على ما جد من حوادث وطرا من نوازل ، وهدف كل في وجهته التي افرغ وسعه فيها رغبة في تحصيل علم أو ظن أثناء بحوثه .

وتجده في حال اخرى يدرس التفسير على اخصائيين من رجال الشرق تطلعا منه الى الطريقة التي يسلكها المفسرون في تناول الآي الكريمة ، وتحليل مفرداتها ، ومعرفة ما تحمله فقراتها من معان قصد التوصل الى ادراك المدلول الكلي للفاصلة القرءانية وما يجلب للبيان والايضاح من نفس الكتاب او السنة ، ثم ما ينتج عن ذلك من استنباط واستفادة يلهمهما فقهاء النفس واحرار التفكير الذين يستخدمون العلم مطبقين كلياته الاساسية لاستكمال لذة المعرفة ، صادفين عن ترك القضايا جامدة خمة في الاذهان .

فاي قيمة ياترى لقواعد العلوم يحرف الطالب في اخذها حقبا ليست بالقصيرة يضعها في زاوية الاهمال قانعا بمعرفتها معرفة سطحية غير عاملة .

فالمترجم التادلي في مراحل حياته العلمية يعد في الرعيل السابق لميدان الكفاح الثقافي الصحيح فلا تلفيه الا واثبا وثبات نادرة لا يلوي فيها على غير الدراسة ــ من المغرب الى الشرق ثم منه الى اوربا يبحث علومها ــ ولغاتها فهو اذ حل باسبانيا طفق لوقته يشتغل باخذ اللغات الاجنبية من فرنسية وانجليزية

وتركية وفارسية وبربرية كاتبا حولها شارحا ما تحتويه تراكيبها من علم وفن وجمال . وليس فى استطاعة اي مثقف ان يخرق هذا المسلك الوعر ويسلك مناهجه الشائكة دون ان يتوفر على مبادىء اللغة ويحذق مراميها تركيبا وذوقا ولو فى المام قريب بمدلولات الالفاظ العلمية والاصطلاحية ، فى هذا الظرف الحاسم يرمي به ولوعه الخاص وقد ساعدته مذاهبه الخاصة الى خوض غمار اللسان الغريب مستعذبا مشاق البحث الثقيلة فى سبيل الوصول الى غريب العلوم والفنون بواسطة اللغة ، وليس هذا ببدع فان الجهود الصادقة لا تكذب ــ فكم حصل المترجم فى بحوثه من فنون ــ فى الرياضة والجغرافية ، وعلوم البحر والملاحة وحساب عروضه واطواله وتقدير عمقه ، ومعرفة رياحه ــ غير واقف عند حد فهم ذلك وادراك اسراره بل توفق فى نفس الحال لتسجيل منتوجاته والتحرير حولها ابتغاء الشيوع وعموم النفع ــ طابع خالد عرف به التادلي منذ ما يقرب من سبعين سنة ، ومما يزيد المستطلع على حياته تقدير شخصيته النادرة تلك الظاهرة الفنية التي جددها علماء الاستشراق او تواطأ المترجم فى معالمها مع بعض خبرائهم فى الشرق والغرب الذين كانوا يتجردون للبحث ولو فى التافه فى نظر القاصر فهم كلما أدتهم خاتمة المطاف لحلول قطر من الاقطار الا وخالطوا ابناءه عادة ولغة محللين كل ما يبدو غريبا عن مألوفهم بعيدا عن متناولهم ، مقارنين ماله صلة بمتعارفهم ومحيط بيئاتهم فلا تمضي على الباحث ايام وايام حتى يطلع على امته بمجلد حافل بالمشاهدات والملاحظات يدهش لها المواطن الغافل مغرقا فى الغرابة فى حياء امام انتاج الاجنبي فى ترابه ناعيا على نفسه جهلها بخيرات بلاده ومكنوناتها الغالية .

فعلى هذه الطريقة كانت بحوث أبي اسحاق واتجاهاته فى رحلاته وتنقلاته يسجل فى مذكراته ما يلفت نظره ويهز لوعته نحو الفن وجماله .

فهو شيخ الرباط والمجدد للقرن لا يبرح التوفيق حليفه فى الكتب والتحرير خصوصا فى جد العلوم ومفيد العموم ــ فتجده يكتب على (مزهر السيوطي) فى علوم اللغة وفقهها ، وهو ما هو اعتصاء وقوة فيحل مغلقاته ، ويحلل مشكلاته بقلم سلس وتعبير سهل ما شئت فى التذييل من امثال وشواهد للبيان والاكمال يفتحان فى وجه القارىء مغلق كل عويص يعترضه فى تلقي اللسان العربي الذي كان خريج الثقافة يعجز عن حل ما اكتنز فى مسالك فصوله ، واختبأ بين ابوابه وسطوره مضيفا الى ذلك عنايته الخاصة بمعجم الفيومي ومصباحه المنير موضحا ما اشكل ، مستدركا ما فات واغفل ــ بحواشي قيمة ليتها حفظت والى جيلنا المتعطش قدمت .

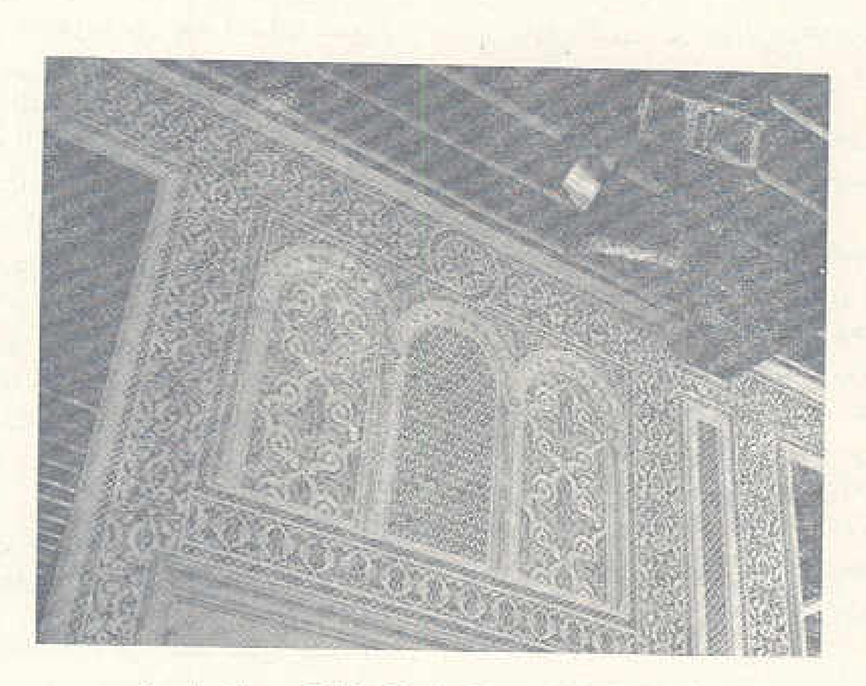
ثم ليس الغريب مجرد الكتب على هذه المصنفات بل الغريب المدهش الاقدام على الخوض فى ذلك وهو لا يتصور الا من قدير عركته المعرفة وعركها وتجاذبا الاردان ، وتراكضا الافراس فى الميدان ــ مظاهر غريبة امتاز المترجم بها عن معاصريه فى العلوم والفنون والكتب عليها بما يزيح الستار عن مدفون فلزها المكنون ليصور لنا فى ذات الوقت شخصية السيوطي ثاني مرة متقمصة فى شخصه العالم فاذا كان السيوطي دائرة معارف القرن العاشر فشيخ الرباط التادلي معلمة هذا القرن ومجدده ــ بل آيته الكبرى فى عصر النهضة الحسنية فقد بلغت تآليفه ما ينيف على المائة وعشرين تاليفا ضاع جلها ضحية الاهمال الا بقية نثرت هنا وهناك ــ نلوح الى بعضها : حواشي على المكودي غير مخرجة ، وحواشي على تصريح الازهري غير مخرجة ، وشرح على التسهيل والكافية لابن مالك وشرح على فريدة السيوطي لم يتم ورسالة فى علم الاشتقاق وشرحها لم يكمل ، وحواشي على المحلى ، واخرى على البيضاوي ، وحاشية على الخرشي ، وحواشي على المذاهب ، وحواشي على الجلالين واخرى على رسالة ابن ابي زيد ، وحواشي على ملتقى الابحر فى فقه الحنفية ، وحواشي على نظم الزبير لابن وسلان فى فقه الشافعية ، وشرح الكرة فى علم التوقيت ، وشرح الاسطرلاب ، ورسالة فى استخراج المواقيت ــ بحساب الجيب ، وحاشية عن ابن الشاطر فى علم التعديل ، ورسالة فى علم البحر (زينة النحر فى علوم البحر) ورسالة فى الموسيقى (اغاني السقا فى علم الموسيقى) اسفرت عما كان عليه التادلي فى دراسة الفن للفن لا سيما مارق منه كالموسيقى التي كان المجموع يزدريها ومتعاطيها معا جهلا بمضامين جمالها وما تنطوي عليه فى عالم الرقة وتليين الشعور بل وشفاء الادواء والاسقام بما جدده العلم الحديث اليوم واصبحنا نرى له المعاهد والمدارس مفتوحة فى وجه عشاقه حتى كأن ما حبس عليه من طرف اسلافنا للطب النفساني والعلاج العقلي لم يكن فى يوم من الايام تجري نغماته والحانه فى قاعات المارستانات بفاس وغيره .

وكان شيخه فى الموسيقى هو الاستاذ حدو بن جلون الفاسي كما صرح به فى ترجمة نفسه بقلمه ، ولا أطيل بسرد باقي التحريرات والمصنفات ، وقد أدرك

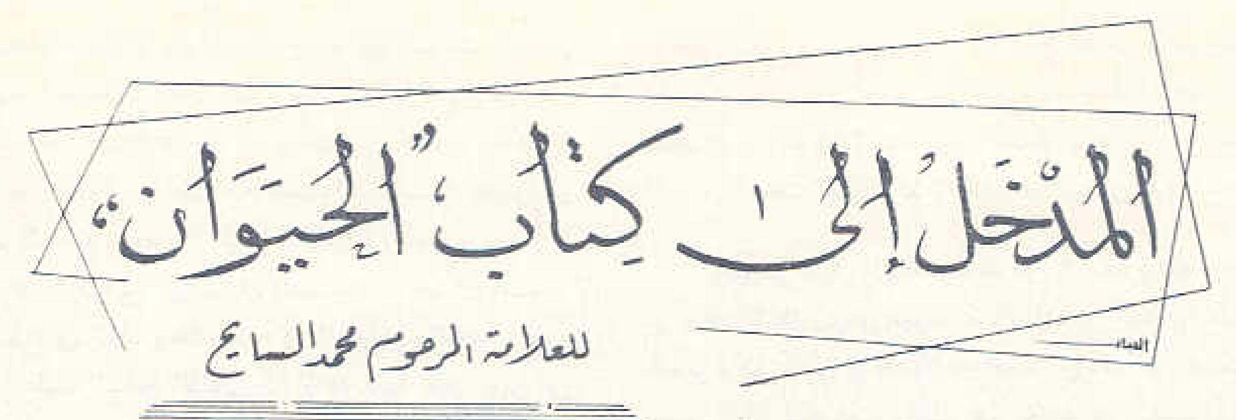
رحمه الله سر الاساليب واعاجيبها فى التقريب على الافهام والاذهان فكان كلما وضع مؤلفا الا وجعل منه ثلاث طبقات ـ ابتدائية ، ووسطا ، وعالية ـ شاعرا بتفاوت القارىء واختلاف مستواه حسبما يجري فى بنود المناهج الحديثة اليوم محللا كل غموض تحتويه عبارات الاقدمين من رجال التصنيف ، نعم ان هذا الاتساع فى العلم وتلك القوة فى التحرير والتاليف التي توفر عليها الشيخ التادلي لم ار له فيها نظيرا غير ابي زيد الفاسي صاحب الاقنوم ، والسلاسة فى علوم السياسة وهكذا ، على ان مترجمنا قد امتاز باختصاصات الحقته باكبر رجال الاستشراق كما ألمعنا له آنفا .

وقد ابهر علماء الشرق فى دروسه واملاءاته وقوة عارضته كما اشار لذلك الشيخ رشيد رضا فى كتابه (اخاء اربعين سنة) ذاكرا أن شيخ الديار المصرية محمد عبده حضر بعض دروسه بالشام فكان من المعجبين به بيد انه لاحظ كون الشيخ التادلي أفرغ تلك القوة فى ابحاث لسانية قد لا يكون لها غناء فى المجموع .

وتعرض لذكر حياته جماعة من تلاميذه فى مقدمتهم ابو حامد البطاوري فى فهرسته ، والشيخ الصوفي فتح الله بن بوبكر بناني فى طبقاته ، واديب الرباط ابو العباس جسوس فى كنانشه ، والشريف محمد بن الحسني فى بعض تقاييده ، والاستاذ الرياضي محمد المهدي متجينوش فى بعض مؤلفاته ، وكان له فى سلوكه مبدا خاص ينطوي على مناقب شريفة ، ومبادىء قويمة دعامتها الايمان الصحيح ، وطريقها الصراحة فى الحق لا يحابي احدا ، ولا تأخذه فى الله لومة لائم يصدع بالحق ولو على نفسه .



زخرفة ونقوش عصرية بفندق منارة حسان بالرباط



ان في التعارف بين الشعوب واقتباس كل من الآخر لنتائج غريبة وفوائد قيمة فان لكل شعب خصائصه ومواهبه وتفكيره . وبالاتصال بين الشعوب وفتح الاجواء بينها يتسع افق التفكير ويتشكل بانواع من الكيف غريبة كما ان ابتعاد كل شعب عن الآخر وانكماشه في زاويته من رقعة الارض مما يسبب ركود الافكار وسئامة المعتاد، ووقوف تيار التجديد المنشط، وقد راينا اثر الاتصال بين الشرق والغرب في عصرنا الحاضر وما انتج من نوابغ وما هذب من افكار وما ثقف من شباب وما ابرز من آراء انفتح بها امامنا مجال واسع في المعرفة والاطلاع على اسرار الكون . ولقد فعل ناموس الامتزاج فعله في دولة العرب وفي عهد اتصالها بشعوب الارض فاستمدوا من معارفهم وافكارهم ما ارتقت به حضارتهم الى ذلك المستوى الذي لا تزال تشرئب اليه الاعناق وتتطاطىء له الرؤوس وان اعظم شخصية يتجلى فيها اثر ذلك الامتزاج بعلمه الغزير وآرائه الموفورة شخصية ابي عثمان الجاحظ وان كتابته لمرآة صقيلة نبصر فيها ما كان في ذلك العهد من معلومات وآراء ومذاهب وان من اقربها متناولا كتاب الحيوان فلذا كانت غايتي من هذه الكتابة الموجزة الكشف عما فيه من علوم كبرنامج لها او كتوقيف على مواضعها لمن يحاول درسها دراسة واسعة والاستزادة منها والله الموفق سبحانه .

الوسط الذي نشا فيه الجاحظ واستمد منه معارفه وتاثر به تفكيره

الجاحظ نشا بالبصرة في العهد الذي بلغت فيه الحضارة العربية اوجها او زخر فيه بحر العلم والحضارة بالعراق مهد الدولة العباسية بما انحدر اليه من روافد علوم الشعوب المختلفة وحضارتها المتنوعة في العهد الذي نقلت فيه الى العرب علوم اليونان والفرس والهند وغيرهم من الشعوب التي دخلت تحت لوائهم ودانت بحكمهم ، في العهد الذي امتزجت فيه شعوب الارض المختلفة من عرب وفرس وسريان وغيرهم وتلاقحت معارفهم فانتجت كل غريب واكتسى التفكير العربي حلة مزركشة تنطلق منها اشعة غريبة وزاد الجاحظ على ذلك بنشاته بالبصره قبة الاسلام كما كان يسميها عمر ومحط رحال اهل الشرق والغرب من مجاهل الصين الى مفاوز الصحراء الكبرى ، بلدة جاشت بمختلف الآراء كما جمعت بين مختلف العناصر وانسجمت فيها الحضارة والبداوة وكما قال فيها الخليل بن احمد :

زر وادي القصر نعم القصر والوادي
في منزل حاضر ان شئت او باد

تربه السفن والظلمات حاضرة
والضب والنون والملاح والحادي

ولذلك نرى الجاحظ وقد اضطلع بمعارف واسعة واطلع على مذاهب متنوعة ودرس ذلك المجتمع الافيح فشاب منه بكل غريب وافاده ذلك دهاء وحنكة في التفكير وبسطة في العلم والنظر الصحيح وشنف اسماعنا باخبار العرب والعجم ومختلف المذاهب والنحل والاذواق والعقليات فيقول مثلا عن الفرس انهم اهل نفخ وتزيد وعصبية فيما يزيد في اقدار الاكاسرة وانهم يحبون الامن ويكرهون الورد لان الورد لا يدوم والامن يدوم ، ويدرس دراسة عميقة ويحدثنا عن آراء اهل الهند فيه ويخبرنا عن ديانة الفرس وعن شيع المذاهب المختلفة .

وكتابه الحيوان وان كان الفه برسم الحيوان ووضع عليه عنوانه فهو في الحقيقة كتاب الحيوان وكتاب الادب وكتاب اللغة وكتاب الشعر وكتاب اخبار العرب وبعبارة صادقة كتاب علوم شتى ودائرة معارف

واسعة لعلوم العرب والعجم وفيه من علم الطبيعة والكيمياء (1) وعلم النفس وعلم الحياة (2) الشيء العجيب ، وان كان بالحيوان والادب امس وبدرس الحياة العربية اعلق ، فاننا نراه يصور لنا حياة العرب في باديتهم تصويرا دقيقا ويصف حالتهم الاجتماعية وعقليتهم واذواقهم من الكبير الى الصغير ومن الجليل الى الحقير من حروبهم الى لعبهم من علومهم الى مزاعمهم واعتقاداتهم واوهامهم كزعمهم أن من علق عليه كعب ارنب لم تصبه عين وان تعليق الحلي وخشخشة الخلاخل مما يفيق به السليم ويورد من اشعارهم الكثيرة الوافرة ما يسجل به تلك الاحوال والشؤون وتلك السجايا وتلك المزاعم ، ومن الجدير بالالتفات انك تجد كتابه هذا مادة قيمة لدرس الامم في طور نشأتها وفجر تمدنها وبرزخ تطورها ، وكما يجيد شرح حياة العرب وهم بين الشيح والقيصوم يحدون الابل ويحترشون الضباب كذلك يحسن تصويرها باسلوبه الرصين وانشائه المتين وهم ملوك على الاسرة يتقلبون على طنافس الديباج ويتفيهقون باراضي الخصب والرخاء ، ويتمتعون بالفالوذج والجنيص ، ويمعنون في نخوة الملك وبهائه ، يذكر لنا ان جعفر بن سليمان احضر على مائدته بالبصرة يوم زاره الرشيد ، البان الظباء وزبدها ولباها فاستطاب الرشيد جميع طعومها وسأل عن ذلك لما اخذته نشوة السرور فغمز جعفر بعض الغلمان فاطلق عن الظباء ومعها خشفانها حتى عرت تجاه عين الرشيد ويحدثنا عن امير المومنين المنصور انه اجتمع لديه من الفيلة ما لم يجتمع لاحد من ملوك الاسلام ولاشك ان هذا مما قلدوا فيه ملوك العجم فقد كان عند بعضهم الف فيل تسجد لخروجه وكملك الصين الذي كتب لمعاوية وفي عنوانه من ملك الصين الذي على مربطه الف فيل ، كما تستفيد منه ما كان بين تلك الشعوب التي ضمها الحكم العربي من التعصب والمنافرة كاحتقار العرب للموالي وللفرس ، والعجم للانباط ، يذكر لنا ان جران العود قرى ضيفه ضبابا فعيره ابن عم له بقوله :

وتطعم ضيفك الجوعان ضبا
وتأكل دونه تمرا بزبد

وكان ابن عمه هذا يغمز في نسبه فهجاه جران بقوله :

فلولا ان اصلك فارسي
لما عبت الضباب ومن قراها

وهذه النبوة كانت في كثير من العرب في العصر الاموي (3) وكان لها اثرها السيء وعاقبتها الوخيمة فبسببها كان خروج القراء مع ابن الاشعث (4) وبسببها نشات الشعوبية وبسببها دكت اركان الدولة الاموية وكان الحجاج ممن ينفذ هذه السياسة المبنية على الفرق العنصري المخالفة لروح الدين بعنف وقسوة (5) ؛ وقد صدر مثل هذه الجفوة والنبوة من دولة الترك في جنب العرب (6) وكان لها اثرها السيء .

---

1) السيكولوجيا

2) من عجيب ما فيه من علم الحياة قوله ج 5 (الانسان يحيى ويعيش حيث تحيا النار وتعيش) وقد حاول علماء الحياة (البيولوجيا) تقريب الحياة بالنار وتشبيهها بها واختلج بافكارهم احتمال أن تكون معناها وكلامهم في ذلك معلوم .

3) من المشهورين بها عقيل بن علفة الجهني وكان جافيا ومن اخبار جفائه ما رواه ابن ابي الحديد في شرح النهج ج 1 ص 440 نقلا عن ابن قتيبة قال : خطب هشام بن اسماعيل المخزومي والي المدينة خال الخليفة هشام بن عبد الملك الذي قال فيه الفرزدق بيته المشهور :

وما مثله في الناس الا مملكا ... ابو امه حي ابوه يقاربه

خطب الى عقيل بن علفة ابنته فرده وقال :

رددت صحيفة القرشي لما ... ابت اعراقه الا احمرارا

يريد ان فيه شبها للعجم وعرقا منهم فلم يزوجه لذلك وكان هشام ابيض اشقر فهو مظنة ان يكون اعجمي الاصل والعرب تسمي العجمي احمر انظر كتاب الكامل للمبرد .

4) انظر الكامل لابن الاثير .

5) انظر الكامل للمبرد وحال المنقوشين .

6) الكلام فيها شهير ومن افيده ما عند الزياني المؤرخ المغربي في الروضة السليمانية .

النـــاس كالنـــاس والايـــام واحـــدة
والدهر كالدهر والدنيـــا لمن غلبـــا

عود الى الحديث عـن الجاحـظ

ان تدقيق الجاحظ فى النظر وتطويفه فى الافـاق اكسـبه التفاتا الى شؤون خاصة فى الحياة والى احوال اجتماعية دقيقة والى نفسيات غريبة ككون الانسان اذا ازعج للفرار فر من شق الشمال واذا قطعت يده لم يجد العدو ، وكان ذلك من توهم السقوط وعدم وجود مـا يتقي به ، فى امور كثيرة تذكي شعورنا وتحركنا الـى الانتباه الى شؤون علم النفس والاجتماع البشري يقول ان الفارسي اذا تطرف تساكت والنبطي اذا تطرف اكثر الكلام والرجل اذا ضرب بحضرة الاكفاء والاصدقـاء والاعداء صبر بخلاف ما اذا ضرب فى خلوة وان الجبن يرى الجبان ان عدوه على رجليه انجى من الركـوب وليس فى الارض انسان الا وهو يطرب من صوت نفسه ويعتريه الغلط فى شعره وفى ولده وترى فى كتابه الشيء الكثير من سيكولوجية الحيوان ولا سيما فى مباحـث الديك والكلب والحمام ، كل ذلك نستفيده من غضون كلامه ومن ثنايا ابحاثه، ومن تفكيره القيم ماقاله فى ارتباط العالم بعضه ببعض وان تمام الحكمة فى اجتماعه وافاض القول فى ذلك الجزء الاول فى الرد على من عاب المفاضلة بين الديك والكلب ومن كلماته الذهبية به قوله : (فلا تذهب الى ما تريك العيـن واذهب الى مـا يريـك العقل (7) وللامور حكمان حكم ظاهر للحواس وحكـم باطن للعقل والعقل هو الحجة) كما نرى منه عمقا فى التفكير ودقة فى النظر ولا شك ان ذلك نتيجة ما درسه من الفلسفة وما راض فكره عليه مـن علـوم عصـره العقلية ولاسيما ما تلقاه عن استاذه ابي اسحاق النظام الذي هو عمدته فى علم الكلام وقد قال (لولا مكـان المتكلمين لهلكت العوام من جميع الامم ولولا مكـان المعتـزلـة ، لهلكت العـوام مـن جميـع النحـل فان لم اقـل ولـولا اصحـاب ابراهيـم وابراهيم لهلكت العوام من المعتزلة فاني اقول انه قد نهج لهم سبلا وفتق لهم امورا واختص لهم ابوابا ظهرت فيها المنفعة وشملتهم بها النعمة زيادة على ثقافتـه الفارسية التي حذقها من كتب ابن المقفع وغيره زيادة على مخالطته لكثير من الطوائف واتصاله بجميع الطبقات ودراسة احوالهم ومعايشتهم دراسة الخبير النافـذ البصيرة ، كما يدربنا على تمحيص الاخبار وحكها على محك النقد ويقرر لنا ان التقريب غير الموجب ومن ثم قال ابن العميد : (ان كتب الجاحظ تعلم العقـل اولا والادب ثانيا) فتراه يمحص الاخبار تمحيصا ويعرضها على محك العقل المالوف وكثيـرا ما يورد الخبر الذي يعتقده مورد الشك والتبري من تبعته ومن غريب زهوه انه كثيرا ما يورد كلام صاحب الحيوان او صاحـب المنطـق وهو ارسطـو الحكيـم اليوناني الشهيـر ويمزج نقده بشيء من التنديد والاستبعاد وارسطـو هو أكبر عقل برز للوجود كما يقولون واننا نتلمس من نقد الجاحظ وامتحانه لكلام ارسطو انه يرى ان عقله اكبر وان تفكيره اعمق ولما حكى كلامه فى الخلق المركب المتلاقح بين نوعين قال : (وما يليق بمثله ان يخلد على نفسـه فى الكتب شهادات لا يحققها الامتحان ولا يعرف صدقها اشباهه من العلماء) وربما اعتذر عنه بغلـط الناقل . ولا نستغرب هذه الظاهرة فى دولة العرب التي كان تطورها فوق نواميس الكون فان امة نفح فيها مثل الجاحظ تفكيرا وتصنيفا ونقدا ودراسة للنفسيـات والمجتمع وليس بينه وبين نقل العلوم ونشاة التصنيف الا زمن يسير ممـا يقضى بالدهشـة ويحمـل مثـل الجاحظ على أن يندد باعظم حكماء اليونان ، واني ارى ان الجاحظ اول من كتب فى نقد الاخبار وتمحيصها فى دولة العرب ثم جاء بعده بعصور الداهية ابن خلـدون الذي وفى هذا الموضوع حقه من الدراسة فى مقدمتـه التي لم يؤلف فى دولة الاسلام مثلها .

(يتبـع ...)

---

7) فى هذا الكلام التفات الى الخلاف المعروف بيـن الفلاسفة فى قضية المعرفة هل اساسهـا العقـل والحواس ؟

سبتة في تاريخ المغرب القديم والحديث

للأستاذ عبد اللطيف الخطيب

في اليوم السادس والعشرين من شهر ابريل سنة 1860 تم التوقيع بمدينة تطوان على معاهدة الصلح المبرمة بين المغرب واسبانيا عقب الحرب التي دارت بينهما . ونظرا لما كان لمدينة سبتة من دور هام فقد رأينا ان نقدم هذا البحث التاريخي بمناسبة الذكرى المئوية الاولى التي تحل في هذا العام .

دعوة الحق

سبتة مدينة بشمال المغرب يسكنها ما يقارب ستين الفا من الاسبانيين ويقيم بها وبالقطاع التابع لها ثلاثة عشر الفا من المغاربة المسلمين . وهي تابعة لمدينة الجزيرة الخضراء في مجال القضاء وتوجد بها كنيسة يقوم عليها احد الاساقفة . وتعتبر من مقاطعة قالص التي هي احدى المقاطعات الاسبانية الخمسين . فما هي هذه المدينة ذات الاثر القوي الفعال في تاريخنا القديم والحديث وما هي مكانتها في ذلك التاريخ ؟ .

قال الحجاري في « المسهب »

« اول من سكن بر العدوة وبر الاندلس من ولد نوح بعد الطوفان سبت واندلس ابنا يافت بن نوح . فنزل في آخر المعمور من بر العدوة وبنى له منزلا في موضع سبتة فدعيت باسمه» . وقيل انها سميت سبتة لانقطاعها في البحر لان سبت النعل يعني قطعه . وقد قال ابن عذاري المراكشي في « كتاب البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب » لدى الحديث عن فتح الناصر لدين الله الاموي مدينة سبتة « انها توجد على بحر الزقاق من بر العدوة التي هي نظام باب المغربين ومفتاح باب المشرقين . وهي على ما قيل مجمع البحرين قاعدة البر والبحر واللؤلؤة الحالة من الدنيا بين السحر والنحر » .

اما موقعها بالتدقيق فهو عند تقاطع خط العرض 35 درجة و 53 دقيقة و 3 ثوان المار شمال خط الاستواء مع خط الطول 7 درجات و 33 دقيقة و 20 ثانية غرب غرينوش . وهي واقعة ضمن قبيلة انجرة كما يتبين ذلك في الخريطة المتضمنة للقبائل الواقعة باقصى الشمال . وهي شديدة التاثر بالرياح التي تهب على البوغاز . أما المعدل السنوي للحرارة فلا يتعدى 16 درجة مئوية واربعة اخماس بينما المعدل السنوي للامطار 591 لتر للمتر المربع الواحد واربعة اخماس ايضا (1) .

واذا نحن انتقلنا من هذه النظرة الجغرافية الى التاريخ وجدنا ان فتح سبتة كان على يد موسى بن نصير الذي اختلف في السنة التي ولي فيها افريقية والمغرب وان كانت سنة 87 هجرية هو القول الراجح .

---

1) بحث «الحرارة والامطار بالاقليم الشمالي» نشرته مجلة « الانوار » للكاتب في عددها العاشر الصادر في شهر فبراير 1949 مصحوبا بلوحة بيانية تتضمن المعدلين السنويين لمختلف محطات الارصاد بالشمال فجاءت النتائج المحصلة منسجمة ومكملة للخريطة المناخية التي وضعها مسيو « جورج رو » رئيس مصلحة الطبيعيات والمناخ التابعة للمعهد العلمي بالرباط سنة 1943 لما كان يعرف آنذاك بالمنطقة السلطانية وتم بذلك العمل توحيد المغرب من الناحية المناخية على الاقل في ذلك الوقت .

فقد خرج موسى غازيا وتتبع البربر وقتل فيهم قتلا ذريعا ثم توغل فى جهة المغرب حتى انتهى الى السوس الادنى على قول صاحب « الاستقصا » . ثم تقدم الى سبتة فصانعه صاحبها يوليان الغماري بالهدايا وأذعن للجزية وكان نصرانيا تابعا للملك « لذريق » فاقره عليها . وقد ولى طارق بن زياد الليثي على طنجة فلما استقرت له القواعد بالمغرب أمر طارق بغزو الاندلس فعبر البحر من سبتة الى الجزيرة الخضراء فصعد الجبل المنسوب اليه يوم الاثنين 5 رجب سنة 92 التي وافقت السنة الحادية عشرة من القرن الميلادي الثامن .

وكان سكان سبتة ابان فتحها بربرا او متبربرين نصارى فدخلوا فى الدين ودخلت سبتة معهم فى عصر الازدهار والرقي واصبحت دار علم وادب وحضارة واقترن وجودها بعصور العز فى تاريخ الوطن . يقول الاديب ابو الحكم مالك بن المرحل فى مطلع قصيدة مشهورة له .

سلام على سبتة المغرب
اخية مكة او يثرب

قال لسان الدين بن الخطيب

حييت يا مختط سبت بن نوح
بكل مزن يغتدي او يروح
مغنى ابي الفضل عياض الذي
اضحت برياه رياض تفوح

وقد ولد القاضي عياض بمدينة سبتة فى النصف من شعبان عام ستة وسبعين واربعمائة .

وتعرض لسان الدين بن الخطيب لسبتة فى «مقامة وصف البلدان » فقال :

« قلت فمدينة سبتة ؟ . قال تلك عروس المجلى وثنية الصباح الاجلى . تبرجت تبرج العقيلة ونظرت وجهها من البحر فى المرآة الصقيلة واختص ميزان حسناتها بالاعمال الثقيلة ... وهي خزانة كتب العلوم والآثار المنبئة عن اصالة الحلوم . الا انها فاغرة الافواه الجنوب للغيث المصبوب عرضة للرياح ذات الهبوب عديمة الحرث فقيرة من الحبوب . ثغر تنبو فيه المضاجع بالجنوب . وناهيك بحسنة تعد من الذنوب . فاحوال اهلها رقيقة وتكلفهم ظاهر مهما ظهرت وليمة او عقيقة . واقتصادهم لا تلتبس منه طريقة . وانساب نفقاتهم فى تقدير الارزاق عريقة ولا يفضلون على مدينتهم مدينة . الشك عندي فى مكة والمدينة » .

وقد ظلت سبتة على هذا الحال الى ان اخذها البرتغاليون سنة تسع عشرة وثمانمائة . فقد نزلوا بها واستولوا عليها خدعة سنة خمس عشرة واربعمائة والف عندما كان ابو سعيد بن احمد المريني سلطانا على المغرب . وقد امتد حكم المرينيين من سنة تسع وستين ومائتين والف الى السنة الخمسين من القرن السادس عشر .

وقد قال شهاب الدين احمد بن محمد المقري التلمساني صاحب « ازهار الرياض فى اخبار عياض » فى استيلاء البرتغاليين على سبتة .

« وبعد ان بلغت سبتة ما ذكرناه من احوالها وبقيت مدة آمنة من شرور الدنيا واهوالها واطلعت فى سمائها نجوما كانت علومها للمردة رجوما كعياض المؤلف فيه هذا الكتاب وهؤلاء الشرفاء الذين لا يمتري فى فضلهم ولا يرتاب . وبني العزفي المشاهير الذين برزوا فى ميدان السبق على الخاصة والجماهير وحازوا رياسة الدين والدنيا وفازوا بالمكانة السامية والمرتبة العليا وغيرهم ممن لا يحصى كثره ممن كان لهم تقديم واثره عدا عليها الدهر بعدوانه وسقط شرفها من ايوانه واستولى عليها العدو الكافر فى قضية يطول شرحها وعظم على اهل الايمان قرحها واعضل اطباء الملوك الى الآن جرحها ولم يزل بنفوس المؤمنين شجوها وبرحها »

وقد نجح البرتغاليون فى صد الهجمات التي قام بها سلطان المغرب بمساعدة ملك غرناطة سنة 1418 لاسترجاعها . وظلت فى حكم البرتغال الى حدوث وقعة وادي المخازن يوم 4 اغسطس سنة 1578 التي صرع فيها الملك « دون سيباستيان » فاصبحت البلاد البرتغالية من غير ملك وارث فورثها « فيليبي الثاني » ملك اسبانيا ودخلت سبتة بحكم ذلك الارث فى قبضة الدولة الاسبانية سنة ثمانين وخمسمائة والف . وعند ما استرجع البرتغال استقلاله عام 1640 ظلت سبتة فى ملك اسبانيا بمقتضى المادة الثانية من معاهدة الصلح المبرمة فى لشبونة يوم 13 فبراير 1668 .

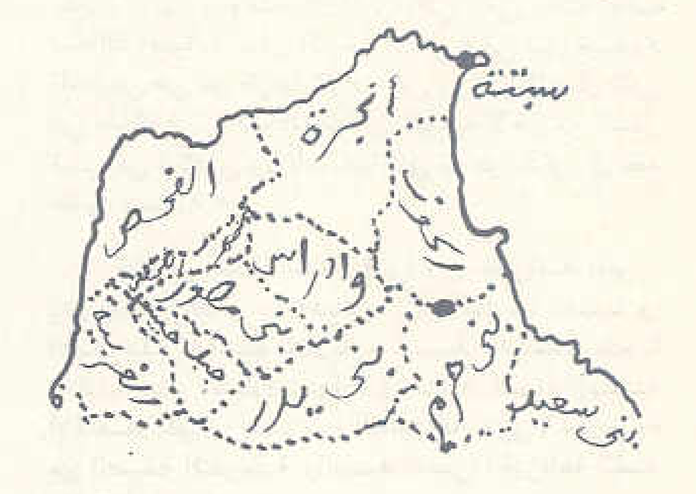
ونحن فى غنى عن القول بان البرتغاليين لم يكادوا يسيطرون على سبتة حتى طردوا جميع سكانها المسلمين وشرعوا فى بناء الحصون من حولها وأحاطوا تلك الحصون والاسوار بخنادق يجري فيها الماء فكان لها الاثر القوي والدور الفعال فى صد حملات الاسترجاع واحباطها . وقد برز الاسطول فى اسناد الدفاع وضمان التموين خلال سنوات الحصار العديدة المتجددة . ونحن اذا نظرنا فى التاريخ الاسباني وجدنا ان معاهدة الصلح المبرمة بلشبونة لم تنص على بقاء سبتة فى قبضة اسبانيا بعد استقلال البرتغال الا بعد اجراء استفتاء بين سكانها وان معظمهم آثر الانتساب الى اسبانيا فكانت تلك المشورة اول استفتاء جرى فى تاريخ العالم كله .

وقام المولى اسماعيل سنة 1693 بمحاصرة سبتة في ثلاثين الفا من رجاله فضيق عليها الخناق دون ان ينال منها شيئا . وعندما قامت حرب الاستخلاف باسبانيا سنة 1701 عاد المولى اسماعيل الى تجديد المحاولة فلم يكتب لها النجاح ايضا رغم استمرار الحصار سبعة وعشرين عاما . كما لم تنجح المحاولات التي قام بها السلطان مولاي عبد الله سنة 1732 والمولى يزيد سنة 1790 .

وعقدت بمدينة مراكش يوم 28 ماي 1767 معاهدة الصلح والتجارة بين المغرب واسبانيا . واذا كان السلطان مولاي محمد بن عبد الله قد امتنع في هذه المعاهدة عن توسيع قطاعي سبتة ومليلية فقد اعترف بمقتضى المادة التاسعة عشرة بوجودهما وضمان كيانهما .

وعلى اثر فشل المحاولة الاخيرة وقعت بمكناس معاهدة يوم فاتح مارس 1799 ثم اخرى بمدينة العرائش في اليوم السادس من نفس الشهر لسنة خمس واربعين وثمانمائة والف . وقد اقر المغرب في هاتين المعاهدتين الحدود السابقة لسبتة طبق المادة الخامسة عشرة من المعاهدة الاولى والمادة الاولى من المعاهدة الثانية .

واخذت اسبانيا بعد ان نجحت في صد حملات الاسترجاع المتتالية وحمل المغرب على الاعتراف بوجود سبتة ومليلية في قبضتها والتزامه بضمان كيانهما تحرص على توسيع القطاع التابع لهما بدعوى تيسير الدفاع عنهما . وقد اتجهت السياسة الاسبانية نحو تحقيق هذه الغاية فادت الى الحرب التي قامت منذ مائة عام والتي كان انهزام المغرب فيها سببا في قبوله لشروط مهينة منها توسيع قطاع سبتة في معاهدة الصلح المبرمة بتطوان .



قبيلة انجرة التي تقع سبتة داخلها تحيط بها بعض قبائل الشمال

كان العرف الجاري آنذاك يقضي باقتصار الاسبانيين على اقامة مراكز الحراسة في اكواخ خشبية . غير انهم عدلوا عنه وبنوا بيتا من حجر وحديد وجعلوا عليه شارة الدولة الاسبانية التي هي تاج يعلوه صليب . وغضب سكان الحدود من قبيلة انجرة لذلك العمل فاقدموا على تدمير البيت وتلويث الشارة . وقد اشتطت الحكومة الاسبانية في الاحتجاج وطلب الاقتصاص من المسؤولين فقدمت طلبا بتنفيذ الاعدام في اثني عشر شخصا من رجال القبيلة على مرأى ومسمع من باقي سكانها وعلى مقربة من حدود سبتة حتى يكفوا في المستقبل عن مناوشة حاميتها . وكان من المنتظر ان لا تقبل الحكومة المغربية هذا الوعيد فادت هذه الاستثارة المدبرة الى قيام الحرب التي عرفت بحرب الستين نسبة الى نهايتها في هذا العام من القرن المنصرم

تحرك الجيش الاسباني من سبتة وقوامه عشرون الف رجل منظمين مدربين ولهم السلاح الحديث الوفير وجعل يسير محاديا الشاطىء مستعينا بحماية الاسطول البحري له فتوجه نحو الفنيدق ثم الى نجر اسمير . وقد سلك هذا الجيش طريقة الزحف بينما انتهج سكان القبائل المجاورة طريقة الكر والفر . وقد قال ابن خلدون « ان طريقة الزحف اوثق » عندما تكلم عن قتال سكان المغرب من عرب وبربر . وكان هذا الجيش بقيادة اللواء « اودونيل » واللواء « بريم » وظل تحت امرهما منذ خروجه من سبتة الى ان تم احتلال تطوان وابرام معاهدة الصلح بها . وكان الجيش الاسباني يتابع زحفه على الخسائر الفادحة التي كان يصاب بها من طرف الجيش المغربي الذي كان بقيادة المولى العباس شقيق السلطان . ولم يكن يتابع الزحف الا بعد تحصين الاراضي المحتلة والعمل على استمالة اهاليها . وعزز زحفه بانزال فصائل من البحر بشاطىء مرتيل فاحتل برجه ودار الجمرك به . وقد استقر عدة ايام بمدشر « القلالين » يضمد به جراحه ويركز صفوفه قبل الانقضاض على تطوان . ولما تحقق بعض المقاتلين من ظهور الاسبان عليهم انقلبوا على اعقابهم فدخلوا المدينة وعاثوا فسادا فيها بالسلب والنهب كما فعل بعض البدو من سكان احوازها فكان الاقتتال فيما بينهم مقدمة لدخول الجيش الاسباني وللشروط المرهقة التي فرضها على المغرب مقابل انسحابه . وقد كان في طليعة هذه الشروط اداء تعويضات تبلغ قيمتها عشرين مليون ريال وتوسيع قطاع سبتة وتخويل اسبانيا قطعة ارض على البحر المحيط لاقامة مركز للصيد بها .

فقد نص الشرط الثاني من معاهدة الصلح المبرمة فى تطوان يوم رابع شوال 1276 الموافق ليوم 26 ابريل 1860 على :

« ان ارض سبتة المذكورة والمحدودة فى الشرط الثالث يعطيها سلطان مراكش لسلطانة اسبانيا لكون الصلح دائما وابدا وتثبت الصحبة بين الدولتين ويصفى الغبار بينهما » .

برياش والبرج الثاني بالاصبنيول فرنسيسكو ذي اسيس وبالعربية برج سيدي ابراهيم والثالث بالاصبنيول برج بنير بالعربية برج كدية ظهار الزنابدية والخامس بالاصبنيول برنسبي الفونسو وبالعربية برج واد اربات وكتتبع ذلك الواد حتى يخرج فى البحر من جهة اللباش من مدينة سبتة وكتعمل هذه المواضع كنصف دائرة التي تمت فى



اما الشرط الثالث فينص كما هو فى اصل المعاهدة على :

« ان سلطان مراكش يعطي لسلطانة اصبانيا الارض المذكورة وتكون تحت حكمها وتحت سلطانتها من البحر الذي يبدأ قريبا من الراس من جهة الشرقي من المرسى الاولى التي تسمى بالعربية خندق رحمة من ساحل البحر الذي هو شرش سبتة من الواد الذي يتم هناك ويطلع على جنب الشرقي من البلاد حتى راس الجبل المسمى بالاصبنيول الرنكاط وبالعربية جماع جامع برياش ومن ثم كيمشي على ذلك الطريق حتى تميل وتتفاصل على محاج من الحجار ومن ذلك العنق كيربط الى جنب الجبل الذي يميل من جبل العنابت بالعربي وبالاصبنيول من جبال بليونيس . وفى ذلك العلو هو الجبل الذي يذكر بالاصبنيول ازبل صكوند (اسابيل الثانية) وبالعربية برج جامع

مرسى برنسبي الفونسو بالاصبنيول وبالعربية مرسة اربات الذي هو فى ساحل البحر من جهة اللباش من مدينة سبتة . وهذه الاراضي التي تبقى تحت حكمة سلطانة اصبانيا . ان الارض التي تبقى بين حدود الجانبين هي من طرف الواد حتى رؤوس الجبال التي هي مقابلة من جانب البحر الى الجنب الآخر من البحر ليس هي لمراكش ولا لاصبانيا مثل ما هو مذكور فى عقد حدود سبتة » .

هذه هي مكانة سبتة المبرزة فى جغرافية المغرب وتاريخه فى القديم والحديث . واذا كنا قد رغبنا فى انتهاز هذه المناسبة التاريخية لنسوق الحديث عنها وكانت هناك اعتبارات هامة فى صلبه فقد اردنا الاقتصار على ما سبق من المعلومات حتى لا نخرج به عن الصيغة التاريخية والعلمية التي اخترناها له وافرغناه فى قالبها .

أزمة الثقافة القومية في المغرب

للاستاذ : عبد الحق بنيس

من المشاكل التي تقلق بال المهتمين بشؤون الثقافة والتربية الوطنية فى المغرب ، مشكلة توحيد التعليم وتعريبه ، واعطاؤه صبغة قومية ، تتناسب والبيئة المغربية والتاريخ المغربي . وقد كثر الحديث عن هاته المشكلة ، بمناسبة افتتاح السنة الدراسية الحالية ، سواء فى الصحف والمجلات او فى الاذاعة او فى كواليس وزارة التربية الوطنية ذاتها . والحقيقة ان الجميع متفق على اهمية المشكلة وخطورتها لما لها من علاقة بحاضر البلاد ومستقبلها الثقافي والاجتماعي فى آن واحد . ولعل ذلك كان من الدواعي التي دعت الى انشاء « المجلس الاعلى للتربية الوطنية » هذا المجلس الذي شاركت فيه عدا عن الشخصيات الرسمية ، شخصيات اخرى وطنية تستطيع بما لها من خبرة وسعة اطلاع ان تدلي بآراء ونظريات من شانها ان تساعد على ايجاد الحلول الناجعة لهذا المشكل الوطني العويص .

اذن لا ينكر احد منا ما تعانيه الثقافة القومية فى المغرب من مصاعب جاءت نتيجة لنظام الادارة السابق ، وما كان يرمي اليه هذا النظام من طمس لمعالمنا الذاتية وابقاء للمؤسسات التعليمية الدينية على ما هو عليه من جمود ، ومن انشاء مدارس سماها بالعصرية كان التعليم يلقن فيها بلغة أجنبية لا تمت الى البيئة المغربية بصلة . وازاء هذا النقيض رات المؤسسات الوطنية ضرورة انشاء مدارس حرة مكيفة تكيفا مكانيا وزمانيا مع الوسط المغربي الذي هو منبثق من الارومة العربية ومنسجم تمام الانسجام مع تعاليم الدين الاسلامي الحنيف . ولا ينكر احد ما قدمه هذا التعليم الحر من اطيب الثمرات للمجتمع المغربي اذ كان يهيىء كل سنة افواجا من الطلبة يتجه معظمهم الى معاهد الشرق العربي التي تجاري فى برامجها كل ما وصل اليه التطور العلمي فى اوربا من درجة عالية وشأو كبير . . .

جاء الاستقلال ، وتنفس طلاب هذا التعليم الصعداء واعتقدوا ان العهد الجديد انما هو انتصار لتعليمهم ولكفاحهم ، واذا بهم يصابون بخيبة أمل ، المشرفون على التعليم الحر قلبوا له ظهر المجن ليتقلدوا مناصب سامية فى الوزارات او ليخوضوا غمار السياسة ، والوزارة المعنية بالامر حاولت فى اول الامر ان تتبناه فانشأت له مصلحة خاصة به فى الوزارة ، ولكنها لم تلبث ان نفضت يدها منه لاسباب لا يعلمها احد .

وهكذا تعددت انواع الثقافة فى المغرب ، فالقيت هذا يشرق وذاك يغرب ، فاذا سالت المغربين عن امكانية التعريب اتهموا اللغة العربية بالقصور والجمود ، واتهموا اهلها بالبلادة وضيق افق التفكير ؛ ولست ادري هل ان هذا الاعتقاد راسخ فى اذهانهم لما سجلوه على العربية فى المغرب من انحطاط ، او انه جاء حفاظا على الوضع الراهن وما يرافق هذا الوضع من مصالح ذاتية ومنافع شخصية ؟

لعل كلا العاملين يلعبان دورهما فى تكوين مثل هذه الاعتقادات ، الا انني اعطي الاغلبية لعامل الشعور بالمحافظة على الوضع الراهن ، ذلك الشعور الذي يبدد معه كل شعور آخر بالنخوة العربية والشهامة الاسلامية ، ولا ينتج عنه سوى تبرير المواقف والاستشهاد بالواقع الذي فى الامكان اصلاحه وتعديله . على سبيل المثال اذكر انني ناقشت مرة احد الزملاء الذين خضعوا فى تكوينهم الثقافي وتربيتهم السياسية الى تاثير البرامج الدراسية الاجنبية كان موضوع الحديث « الثقافة الملائمة لمغرب اليوم » وقد حصل الاتفاق فى الهدف اي ان المواطن المغربي يجب ان يزود بثقافة من شانها ان تضمن له المساهمة فى بناء مجتمعه بكيفية فعالة ، الا ان اختلافا حصل فى الوسيلة ، اعني الاداة التي يجب استعمالها للتزود بالثقافة الصحيحة . قال صديقي : « لما كانت المعارف تنقسم فى خطوطها الكبرى الى علوم وآداب ، ولما كانت اللغة العربية لا تصلح فى الوقت الحاضر للعلوم ، فالافضل ان يلقن المواطن المغربي ثقافة

مزدوجة ، اي بلغتين احداهما خاصة بالعلوم وهي الفرنسية ، وثانيتهما خاصة بالآداب والمباحث الدينية وهي العربية وهذا ما يوافق بلدا كالمغرب ، له روابط ثقافية وتاريخية بفرنسا » ــ على تعبير محدثي ــ ولشد ما كان استغرابي عظيما من هذا التصنيف الفريد من نوعه ، ولهذا المنطق الصادر من مواطن يتمتع بحظه الوافر من الثقافة والمعرفة !

ولما كنت من اولئك الذين عاشوا في كنف الدراسة المجردة من قيود البرامج الاجنبية ، بدافع المحافظة على لغة البلاد الاصلية ، كان لزاما علي ان اتصدى للرد على صاحبي مدافعا ومنافحا عن خطل هذا الراي الذي لا يطابق الحقائق العلمية والوقائع التاريخية . والحقيقة ان هذا الصديق يمثل نوعا من التفكير المستولي على طائفة من الشباب المغربي الذي زاول دراسته الثانوية والعليا في المعاهد والجامعات الاوروبية . تلك الطائفة التي تجهل الشيء الكثير عن ثقافتها القومية وتاريخ بلادها الحافل بالامجاد والمآثر .

وقبل ان اشرع في الرد على هذا الرعيل من ابناء المغرب المثقف ، يجدر بي ان احلل فكرتهم بشيء من التفصيل ، وعند ئذ نحكم عليها اما بالصواب او بالبطلان متبعين في ذلك منهجا علميا يتصف اول ما يتصف بالتجرد عن الاهواء والعواطف ويبتعد عن الغرض والتحيز الى جانب معين او هدف مقصود . لذلك فان (المعتدلين منهم) ــ اقول المعتدلين ، لان هناك فريقا ينكر على العربية وجودها في المغرب من حيث الاساس وسوف لا ارد هؤلاء لانهم لا يعترفون الا بمنطق العاطفة ــ فالمعتدلون يقررون ان اللغة العربية انما هي للابحاث الادبية والدينية ليس غير ، فهي تصلح للتعبير عن عواطف ذلك الرجل العربي الذي كان يعيش في صحراء مترامية الاطراف محدودة الآفاق ، ذلك العربي الذي امتاز بعدم الاستقرار والتنقل بخيمته من مكان الى آخر باحثا عن العشب والكلأ ... وحتى اذا دعاه المطاف الى الاستقرار في قرية او مدينة ، كان همه ان يتعلق بادبه لذي جاه او نفوذ ليتكسب بادبه ويعيش عليه ، اما بقية شروط الحضارة العربية فهي عارضة في نظرهم لانها تتبع الحاكم بامره ، فاذا كان قويا ساد الامن والنظام ، واذا غاب تهدم بعده اركان البناء الشامخ الذي شيده فتسود الفوضى من جديد وينتظر العرب منقذا جديدا ... الى آخر ما هنالك من نظريات تلقوها عن اساتذة خبراء في فن تسميم الافكار وهكذا اذا جادلتهم في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور ، اجابوك بانه

من المستحيل على العربية ان تستجيب لمقتضيات التطور العلمي الحديث . انها ثقافتهم الاجنبية التي علمتهم ان يتنكروا لشخصيتهم التاريخية وكأنهم ليسوا عربا وكأنهم ليسوا مغاربة .. اقول هذا لانهم ينظرون بعين الاكبار الى لغة (روسو) و (فولتير) في حين انهم ينظرون بعين الازدراء الى لغة امرىء القيس وابي تمام !

اقول ذلك لانهم يدافعون عن اللغة الفرنسية بكل حرارة وكأنهم من ابنائها البررة ، في الوقت الذي يترحمون فيه على لغة الاجداد التي لاتصلح في نظرهم الا للادب والفقه !

اقول ذلك لانهم يحبذون ان تحتل الفرنسية المقام الاول في البلاد ، ويرضون عن احتلال العربية للمقام الثاني .

هذا ما يريده بعض ابناء المغرب للعربية وهذه هي الفكرة التي يحملونها عن العربية ! واني لست هنا بصدد الرد على هؤلاء بالعاطفة ايضا وانما بالحجة وبكل موضوعية :

لاينكر احد في الوقت الراهن ان اللغة العربية تندب حظها في المغرب ، وانها تعاني ازمة خانقة ، ولكنني انكر أن تتصف هذه الازمة بالديمومة ، فهي أزمة عابرة جاءت نتيجة لنظام استعماري هادف الى طمس معالم حضارتنا ليسهل عليه فيما بعد ضمنا للاتحاد الفرنسي فلما زال السبب ــ وهو النظام الاستعماري ــ كان من الطبيعي ان تسير الازمة الى الزوال ، ولكن مما يؤسف له ان رواسب العهد البائد لا زالت تلعب دورها ، ولازالت السموم التي نفثها الاستعمار تعمل عملها في العهد الحاضر ، عهد الاستقلال . هذا ما اقصده بالازمة التي تعانيها الثقافة القومية في المغرب . اذ كيف لا يقتنع افراد الشعب بصحة دعوى صديقي وهو يروي ما تحتله لغة الدخيل من شأو وما تلاقيه لغة البلاد من اضطهاد ؟ كيف لا يقتنعون بصحة الدعوى وهم يرون الموظف المغربي يصرح بانه لا يمكن الاستغناء عن اللغة الفرنسية في الادارة والا توقف الدولاب واصبحنا في حيص بيص .

تلك مظاهر بارزة للازمة التي تعانيها الثقافة القومية في المغرب ، ولكن هل تتخذ من هذه الازمة دليلا على عدم صلاحية لغة بلادنا لمسايرة التطور ؟ اظن ان في الاحتجاج دائما بالواقع مغالطة منطقية، ما دام في الامكان تغيير الواقع ، والا فما قولكم في قانون التطور التاريخي

الذي يعترف بالتغير المستمر للاحوال لابقائها على حال واحدة ؟ ان المسألة مسألة صراع بين لونين من الثقافة، ثقافة دخيلة تحاول ان تظهر على ثقافة اصلية ولكنها تحتاج الى من يمسح عنها غبار الخمول لتعود الى عهدها الذهبي ، وقت ان كانت لغة العلم والحضارة والعمران، اذن فنظرة قصيرة الى التاريخ كفيلة بان توضح للغافلين مدى خطأ رأيهم وقمينة بان تنبههم الى مدى قوة اللغة العربية وقدرتها على الاستيعاب سواء تعلق الامر بالافكار القديمة او بالحديثة، فالسر كل السر في الرجوع الى التاريخ، والامة التي تهمل تاريخها مثلها كمثل الفرد يفقد ذاكرته فيهيم على وجهه تابعا التيار الذي يجتذبه لا يدري اين يسير والى اين يقصد ! فاذا رسخ في ذهننا ذلك قلنا عن هؤلاء الذين يحكمون على اللغة العربية بالجمود ، بانهم فاقدون لذاكرتهم غير واعين من شؤون امتهم امرا .

ثم اننا اذا اتفقنا مع مؤرخنا العظيم ابن خلدون – وما اخالكم تعارضون – في وجوب الاعتبار بالتاريخ ، كما يفهم من مؤلفه الضخم : « كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في اخبار المغرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر » جازلنا ان نذكر بحوادث وقعت في الماضي لامة اصابها ما اصابنا اليوم من سيطرة لغة اجنبية على لغتها الاصلية ، وكيف انها استطاعت ان تتغلب على الصعاب – وان تسترجع شخصيتها القومية التي كانت في طريق الضياع . ففي مستهل القرن الثامن للميلاد استطاع العرب المسلمون ان ينطلقوا من جزيرتهم المحدودة الآفاق الى تأسيس امبراطورية شاسعة على انقاض امبراطورتيي الفرس والروم (او البيزنطيين) حتى وصلت الفتوح الى بلاد الصين شرقا والى اواسط فرنسا (بواتييه) غربا . ورافق ذلك الفتح العظيم حضارة متلالئة الجوانب موطدة الاركان ، انارت بسناها الظلمات التي كانت مخيمة على اوربا آنذاك ، وفي هذا الصدد يقول الدكتور عبد الكريم اليافي الاستاذ في كلية الآداب من جامعة دمشق – في كتابه « تمهيد في علم الاجتماع » ص 121 ، ما نصه : (**... وكانت اوربا جميعها في ظلمات دامسة ، على حين كان العرب ساسة الدنيا وهداتها ، ثم اتصل الاوروبيون بالعرب في مناطق مختلفة فوجدوا الفرق كبيرا بين النور والظلام ، وبين العلم والجهل ، وبين التقدم والتأخر ، فاقتبسوا جذى من النور والعلم والتقدم ، وحملوها الى بلادهم وتعهدوها بالرعاية والعناية والايقاد ، حتى خرجوا من الوهدة التي كانوا فيها الى الدرجة التي صاروا عليها ، على حين شرع العرب بالتواري والانحدار حتى بداية تنبههم الحاضر ووعيهم الحديث ...**) من هذا الكلام يتضح لنا ان الحضارة الغربية ليست كلها من صنع الغرب واذا رجعنا الى اساسها وجدناه اسلاميا في شتى مظاهره ، ولقد اصبح من حقائق التاريخ الناصعة ان علوم العرب من طب وفلك وفيزياء وكيمياء وفلسفة وموسيقى – كما اثبت مؤخرا الاستاذ محمد الفاسي عميد الجامعة – هذه العلوم انتقلت كلها الى اوروبا بواسطة عرب الاندلس وعرب صقلية وبواسطة الاحتكاك الذي حصل بين الشرق والغرب في زمان الحروب الصليبية، الا ان اهم واسطة لها علاقة ببحثنا هي الاندلس ، تلك الارض التي اشتهرت بحضارتها وعمرانها عبر التاريخ، ان حالة الاندلس (او اسبانيا الوسطى والجنوبية) في القرنين التاسع والعاشر وما بعدهما ، فقد شابهت الى حد كبير حالة المغرب في الوقت الراهن ، فكما دخلت الجيوش العربية غازية فاتحة – مع الفارق في الهدف طبعا – محاولة فرض الشخصية العربية على اسبانيا ، كذلك فعلت الجيوش الاسبانية والفرنسية في مستهل هذا القرن ، وكما عانت اللغة الاسبانية واللغة اللاتينية من جراء الفتح العربي ازمة خانقة كذلك حصل للغتنا ازاء المستعمر ، وهذه هي النقطة الجديرة بالملاحظة في هذه الحوادث التاريخية ، اذ اتى على اسبانيا حين من الدهر سيطرت فيه اللغة العربية على كل مرافق حياتها ، واضحى طالب العلم من الاسبان لا يتسنى له ان ينال حظه الوافر من الثقافة الصحيحة الا اذا انكب على دراسة اللغة العربية لان المؤلفات العلمية كانت كلها بالعربية ، وكانت اللغة القشتالية او اللاتينية قابعة في الاديرة والكنائس لا تتعداها . وقد حز في نفس رجال الكنيسة ان تحتل العربية المقام الاول في اسبانيا، وخافوا على الشعائر الدينية من الضياع ، فنظموا حملة واسعة النطاق للتنديد بهذا الخطر المحدق وكرسوا الجهود لنقل جميع المؤلفات العربية الى لغة البلاد الاصلية ، فهذا جربرت (Gerbert) الذي تعلم في جامعات المغرب (القرويين) والاندلس والذي تربع على كرسي البابوية باسم سلفستر الثاني (Silvester II) يقوم حوالي سنة (930) للميلاد بنقل الارقام العربية الى اوروبا فحلت محل الارقام الرومانية المعقدة ، وبذلك سهل علم الحساب وتوطدت اركانه عند الغربيين وهذا اسقف طليطلة الدوق ريموند و (Don Rimondo) في القرن الحادي عشر للميلاد ، يقوم بجمع العلماء في ظلال قصر الزهراء ويطلب اليهم ترجمة الكتب العربية ثم يدخل تدريسها في برامج التدريس المسيحية ، وعلى سبيل المثال نذكر من المترجمين حنا الاشبيلي الذي

ترجم كتبا عديدة ولاسيما للكندي والفارابي والغزالي وابن سيناء ، وكان يساعده في ذلك رفيقه دومينغو غوند يسلافو (Dominggon dislavo) وقد ذكر مؤرخ العلوم المعاصر سارتون (Sarton) ان هذين المترجمين ترجما كتابا في الطب وثلاثة عشر كتابا في الفلك وكتابا في الرياضيات وسبعة كتب في الفلسفة ومن اشهر الكتب العربية التي ترجمت كتاب الجبر للخوارزمي على يد الانكليزي روبيرت من شيستر (Robert of chester)

وذكر سارتون المترجم جيرار الكريموني : (Girard Dierémons) ترجم سبعة وثمانين كتابا من العربية الى الاسبانية ومن اهم الكتب التي ترجمها جيرار كتاب (التصريف) لابي القاسم الزهراوي ، ذلك الكتاب الذي بقي اساسا في الدراسات الطبية في جامعة اوكسفورد حتى سنة 1778 .

والشيء الذي يجب الاشارة اليه في هذه الحركة ان القائمين عليها وقفوا امام العلم العربي والحضارة الاسلامية مشدوهين حيارى وظنوا في اول الامر انهم يعجزون عن مضاهات العرب في علومهم وحضارتهم ولكن الشعور بالواجب القومي دفع العاملين على الترجمة الى مواصلة السير مؤمنين بصلاحية لغتهم لمسايرة التطور الحضاري ، بل لم يضرهم احيانا ان اخذوا بمصطلحات عربية بعينها ، وهاكم بعض الامثلة على ما اقول :

ففي ميدان الفلك نذكر العقرب (Aerab) والجدي (Algédi) والطائر (Altaïr) والذنب (Deneb) وابط الجوزاء (Betelgeuse) والسمت (Zémith) والنظير (Nadir) وفي ميدان الرياضيات نجد الجبر (Algèbre) واللغاريتم (Logarithme) والصفر (Zéro) و (Chiffre) التي تدل على الرقم . وفي مجال الحياة الاجتماعية نشير الى هذه الكلمات التي تدل على مدى تاثير العرب في حياة الاوروبيين الاجتماعية ، فهناك القبة (Coupole) والقطن (Coton) والقطران (Goudron) والجلاب (Juleps) والشراب (Sirop) والشربة (Sorbet) وامير الماء (Amiral) والكحول (Alcool) والتعرفة (Tarif) وحتى الالعاب الرياضية لم تعدم تاثرا ، ولربما استغرب القارىء اذا علم ان كلمة (Raquette) الفرنسية من اصل عربي هو الراحة ! . وكل هذا قليل من كثير وينتظر من التاريخ ان يكشف عن اشياء اخرى في المستقبل .

اذن فالثقافة ليست مقصورة على قوم دون آخرين وانما هي نتاج شارك في تطويره جميع البشر حتى وصل الى الذرة والاقمار الاصطناعية ، وما اللغة الا وسيلة من وسائل التعبير ، يتخذها قوم ليتميزوا بها عن سواهم ! وكل قوم يسجلون مآثرهم ومفاخرهم بلغتهم ، فماذا اعددنا لانفسنا وماذا اعددنا لاجيالنا القادمة ؟ ان في مثال اسبانيا برهانين ، فمن جهة عرفنا ان اللغة العربية ليست لغة ادب وفقه فحسب ، ومن جهة اخرى شرحنا كيف واجه الاسبان مشكلة سيطرة اللغة العربية على سائر مرافق حياتهم الحضارية والعمرانية وقاموا ينقلون ويترجمون الى لغتهم جميع ما وصل اليه العلم العربي من درجة ورفعة . ويمكن القول بالنسبة للازمة التي تعانيها الثقافة في المغرب بان مرحلة الترجمة قد طواها اخواننا العرب في المشرق فلم يبق علينا اذن الا تبني جميع المصطلحات التي اوجدتها المجامع اللغوية في كل من القاهرة ودمشق وبغداد ، ولم يبق الا الايمان بان لغتنا غنية جدا، وان في امكانها ان تعالج جميع الافكار قديمها وحديثها .

فعسى ان يجد هذا المقال آذانا صاغية وقلوبا واعية فيقبل شبابنا بجد على دراسة اللغة العربية لكفالة الانسجام في التفكير بين ابناء الوطن الواحد ، واذ ذاك سنضع اليد في اليد لنتعاون جميعا على بناء اركان المجتمع المغربي الحديث على اسس قومية وعصرية في آن واحد ، وما ذلك على اولي العزائم الطيبة والارادات الحسنة بمستحيل .

عبد الحق بنيس
مجاز في التاريخ من جامعة دمشق

هكذا نعرب

للأستاذ ابراهيم حركات

يؤلمنا بعد اربع سنوات من الاستقلال ان نرى اللغة العربية ما تزال دون المكانة التي كان يجب ان تتبواها سواء فى التعليم او فى المعاملات الادارية ، اما فى التعليم فقد اصطدمنا بمشكلة نقص اغلبية المعلمين وهم الذين يقع على كاهلهم عبء التعريب فى مرحلة اساسية من مراحل التعليم ، واما فى الميدان الاداري فقد كان من السهولة بمكان ان تحل اللغة العربية محل اللغة الاجنبية فى اكثر المرافق ، وان تفرض حتى على الشركات والمؤسسات .

لكن ، يجب ان نعرف اولا ، لماذا نعرب :

ان عناصر الوطنية معروفة لدينا جميعا ، واقصد بهذه العناصر ، مقومات الوطن التي هي : الجنس ، واللغة ووحدة التراب والتاريخ المشترك . . الخ .

ومعنى هذا بوضوح ان الاغلبية الساحقة من سكان المغرب ، تجمع بينهم وحدة الاصل واللغة وباقي مقومات الوطن ، ولغتنا هي العربية ، فلا يليق باحد من المغاربة ان يتنكر لهذه اللغة التي لولاها لكنا اليوم ابعد الناس عن الحضارة ، واخيرا فنحن اذا تنكرنا للغة العربية ، فسيكون معنى ذلك ان جزءا اساسيا من مقومات الوطنية ينقصنا ، ولنفرض ان العربية اسوأ لغات الدنيا ، لكن كيف تسمح لنا أنفسنا ان نتنكر لها ، بل كيف يقبل بعضنا ان يحاربها ويحتقر اهلها ؟ انني اتخيل هذه الفئة وهى تفعل فعل الغراب الذي حاول ان يقلد مشية الطاووس فعجز ، حتى اذا حاول الرجوع الى مشيته الاصلية نسيها فلا هو يجيد هذه ولا تلك .

اننا نود ان تنتصر قضية التعريب ، لان العربية هي كما ذكرت ركن اساسي من اركان الوطنية ، والذي يحارب التعريب كمبدا وغاية هو فى نظري خائن لوطنه لا يقل جرمه عن جرم الذي يتملق الى الاعداء على حساب مواطنيه .

والآن ، ماذا يمنعنا من التعريب ؟

لقد كان ضعف اكثرية المعلمين فى المواد العلمية اهم سبب فى تاخير التعريب ، ونحن اليوم نفكر من جديد فى وضع التعريب موضع التنفيذ فى المرحلة الابتدائية ، ويوجد فى الوقت الحاضر ، ما لا يقل عن 7 الاف مدرس يدرسون اللغة العربية فقط ، فهل هم جميعا مستعدون لتلقين المواد العلمية فى الاقسام الابتدائية ؟ اني ارى ان عددا كبيرا منهم — وكثير غيري يرى ذلك ايضا — لا يتوفرون على معلومات كافية فى مواد اللغة العربية نفسها ، وعوض ان نستغني عن هؤلاء ، يتعين ان نعمل على رفع مستواهم الثقافي باعداد برامج واسعة تسبيا لشهادة الكفاءة التي يجب ان يسبقها تكوين واسع كذلك ، بواسطة المحاضرات والمراسلة والدروس المسائية .

والواقع اننا قد ضيعنا اربع سنوات من أعمار هؤلاء المعلمين الناقصين التكوين ، اي فترة الاستقلال التي اجتزناها حتى الآن ، والتي كان يمكن اعدادهم خلالها حتى لتدريس المواد العلمية .

اما مدارس المعلمين فالفترة التي يجتازها الطلاب فيها غير كافية لتكوينهم ، اذ يجب ان ترفع مدة التدريب الى ثلاث سنوات تنمي فيها معلوماتهم خلال السنتين الاوليين ، وتخصص السنة الاخيرة للميدان التطبيقي والبيداجوجي .

ومن الضروري ان يضاف الى مواد امتحان الكفاءة مادتان اساسيتان : الحساب والعلوم ، ولو فى مستوى يوازي او يفوق بقليل مستوى الشهادة الابتدائية ، فنحن نرى معلمين يرسمون وهم يجهلون بالمرة هاتين المادتين ، ثم نطالبهم غدا بتدريسهما ونحملهم وحدهم مسؤولية عجزهم ، وان تقرير الحساب والعلوم فى الامتحان الكتابى لشهادة الكفاءة سيهيب بالمعلمين الناقصين فيهما الى ان يبذلوا كل ما فى وسعهم لتدارك نقصهم ، وما دامت المسألة تهم مستقبلهم

ومستقبل النشء الذي يكونونه فان الوزارة اولى ان تعمل على رفع مستواهم باعطاء شهادة الكفاءة المكانة التي تستحقها، والا فان ترسيم كل معلم يجهل الحساب والعلوم سيكون معناه اننا سنضحي باجيال من ناشئتنا طالما كان هذا المدرس يكونها .

ويجب ان تزاد مدارس المعلمين حتى تسع اكبر عدد ممكن من الطلاب مع تمديد مدة التدريب الى ثلاث سنوات كما تقدم .

اما مشكلة الكتب ، فهي مشكلة اشبه بالخيال منها بالحقيقة ، اذ يكفي تكوين لجان من المربين الاكفاء . لتضع لها حدا في ظرف قصير ثم ان الوزارة احوج ما تكون الآن الى احداث قسم للتاليف والترجمة والنشر، يسهر على اعداد وتعريب الكتب الدراسية والقصصية والادبية التي تساير مراحل التعليم المختلفة ، فخزائن مدارسنا تشكو فقرا مهولا في الانتاج المغربي . ولا اظن ان هذا الانتاج سيتحسن او يتسع مداه ما لم تاخذ وزارة التربية بيده ، وترصد لتشجيعه المبالغ الكافية . ويجب ان يسهر على هذا القسم اشخاص تتوفر فيهم شروط الامانة والغيرة الوطنية ، والعمل المتواصل لا الذين يتخذون منه طريقا الى الثروة او يجدون فيه وسيلة لقتل الوقت ، وما اكثر الكسالى بين الذين تناط بهم المسؤوليات ، ونظرة واحدة على الكتب والنشرات التي ترد على خزائن المدارس الثانوية باللغة الفرنسية تكفي لان تحرك فينا روح الغيرة وتذيبنا خجلا ، وقد كنا نحمل الاستعمار مسؤولية فقرنا في الانتاج ، فماذا دهانا الآن وقد تخلصنا منه ؟

وخلال المرحلة التي نجتازها لتعريب التعليم الابتدائي سيكون لدينا مجال واسع لاعداد اساتذة في العلوم والرياضيات باللغة العربية ، على ان نستعين في تكوينهم باساتذة من الشرق ، لكن ليس يليق بنا ان نترك للاجانب تدريس التاريخ والجغرافيا اللذين سيهل تعريبهما منذ السنة القادمة . ويتوفر الشرق على اساتذة كثيرين لهاتين المادتين ، على انه يمكن اختيار مدرسين مغاربة للتاريخ والجغرافيا ولو بواسطة مباراة شبيهة بمباراة اختيار اساتذة اللغة . واعتقد ان المبادرة بتعريب المادتين المذكورتين سيكون من ورائه نتائج ذات اهمية بالغة :

1 ـ ستزداد ثروة التلاميذ اللغوية بتلقي دروس التاريخ والجغرافيا بالعربية .

2 ـ ان طريقة تدريس التاريخ والجغرافيا لدى المغربي او المدرس العربي ، هي غير طريقة المدرس الاجنبي ، فبينما الاول يصور للتلميذ عظمة تاريخ اجداده وقيمة بلاده الجغرافية ، يحاول الثاني غالبا ان يصور للطلاب عظمة وطنه هو ، ويبرز اهميته الجغرافية وبين الطريقتين بون شاسع ، ونحن على كل حال احوج الى تكوين جيل يؤمن بمغربيته وعروبته منا الى تكوين نشء يقدس تاريخ قوم ليس منهم وليسوا منه .

3 ـ سيشعر التلاميذ بان الوزارة بتعريب التاريخ والجغرافيا تعطي للعربية الاهمية التي تستحقها وسيقتنعون بان الدولة تتطلب منهم ان يقدروا قيمة هذه اللغة .

هذا فيما يرجع الى ميدان التعليم ، اما فيما يخص الميدان الاداري فاجهزة الدولة كلها تشكو التهاون في التعريب ، فما معنى اعداد محاضر الشرطة مثلا بالفرنسية ؟ وما قيمة الدروس العربية الاجنبية تسيطر في كل مكان : في اسماء الشوارع والازقة وفي لغة التخاطب وفي البلديات ومصالح الدولة والمؤسسات والشركات

واعتقد ان وزارة التربية الوطنية اولى الوزارات باجبار المسؤولين والموظفين على احترام لغة البلاد . وذلك بنشر جميع الرسائل والقرارات والمنشورات باللغة العربية ، ولا ينشر باللغة الاجنبية الا ما كان خاصا بالاجانب وحدهم .

ان هناك حقيقة يجب ان نعرفها جميعا : ان الاجانب كلما راونا نضع اللغة العربية في مرتبة ثانوية توهموا انها عاجزة عن القيام مكان اللغة الاجنبية ، وكلما راوا مواطنين مغاربة يقدسون اللغة الاجنبية على حساب العربية ، شعروا باعتزاز في انفسهم ، ولكنهم في الواقع يحتقرون هؤلاء المواطنين المتنكرين لعروبتهم .

واذا كانت قضية التعريب اول قضايا التعليم التي تستدعي حلا عاجلا ، فليس معنى ذلك ان الدعاة الى التعريب يكرهون اللغة الاجنبية ويتعصبون للعربية تعصبا أعمى ، واذا كانت المعاملات الادارية تحتاج الى تعريب شامل ، فان هذا لا يعني انه يجب ان يبعد الاشخاص الذين لا يتقنون غير الفرنسية رغم كونهم مغاربة ، فالمسؤولون منهم يمكن ان يحيطوا انفسهم بكتاب يتقنون العربية، عوض المئات العديدة من الاجانب الذين يخيل الى اننا نضحي بلغتنا القومية من اجل كثير منهم

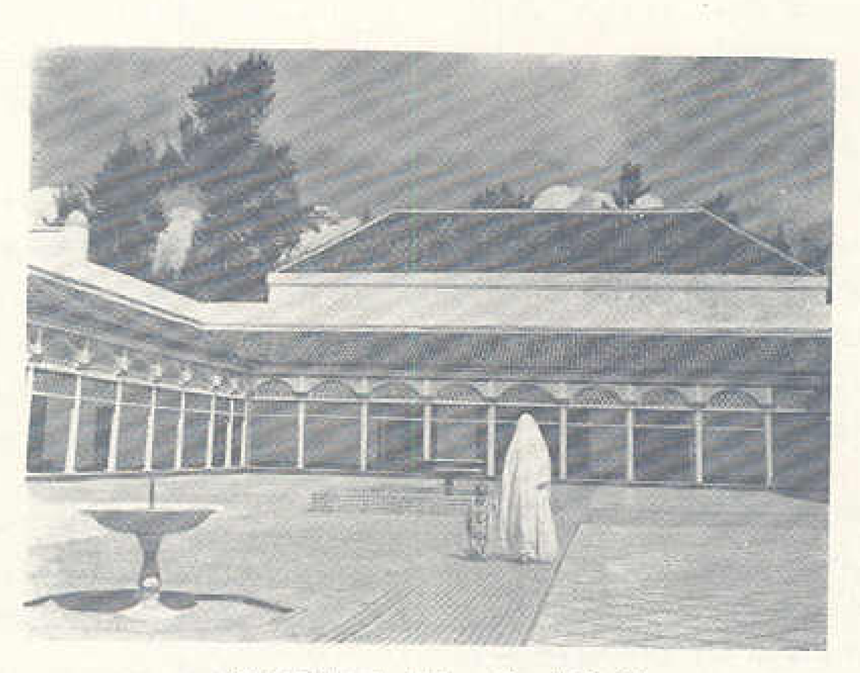
لكن الشيء الذي لا يليق ان نتهاون فيه هو موقف بعض الناس الذين يصرون على ان تظل اللغة الاجنبية سيدة في هذه البلاد وهم اكثر ما يكونون تعصبا لحضارة الاجانب وتقديسا للغتهم . فهؤلاء يجب ان تقتنع بانهم سيظلون حجر عثرة في سبيل التعريب . يصورون للناس ان العرب بوجه عام والمغاربة بوجه خاص اضعف الناس عن مجاراة الاجانب لغة وعلما .

اني لا اتصور ان يكون احدنا مغربيا حقيقيا وهو يحارب لغته القومية فضلا عن كونه يجلها او يكاد . . .

وهذه الدعوة البغيضة الى التفرقة بين البربر والعرب ، والتي يذكي نارها بين آن وآخر ، افراد يشتهون هذه التفرقة لغير صالح البلاد ، أليس من الواجب ان نحاربها بنشر اللغة العربية في بوادي المغرب وجباله ؟ ان هذه المناطق تكون اربعة اخماس المغرب . وبودنا لو ان كل مدشر تتوجه مدرسة تنقذ ابناءه من الجهل وتنشر بينهم لغة العرب التي لن تقضي على الدعوة العنصرية بدونها .

ويجب ان تكون حصة اللغة العربية واسعة في المدارس الاجنبية ببلادنا . فالى هذه المدارس يوجه كثير من المواطنين ابناءهم . وهم ان حمدوا فيها التعليم الصحيح والتربية الحسنة ، فلن يحمد اكثرهم ان تظل العربية بها ضئيلة الحصة فضلا عن كونها اختيارية . كما لن يحمدوا ان يدرس ابناؤهم تاريخ البلاد الاجنبية في توسع . ولا يدرسوا من تاريخ بلادهم وجغرافيتها الا ما يتفق وهوى المدرسين الاجانب فتاريخ المغرب والاسلام ، وجغرافيتهما يجب ان يضطلع بهما من يلمون بذلك من المغاربة والعرب .

ولست اكتم ان بعض الذين انيطت بهم مقاليد الامور بهذه البلاد قد شعروا بضرورة اعطاء اللغة القومية المكانة الطبيعية التي تستحقها لكن ليس من مصلحة الامة ان يحطم المفسدون عمل هؤلاء بدعوى انه لا يوجد من يقوم مقام الاجانب في الوقت الحاضر .



ساحة الشرف بقصر الباهية بمدينة مراكش

أخطاء في فهم القومية العربية

بقلم : مصطفى الصباغ

فــي الاونه الاخيرة بدأنا نلحظ اهتماما من رجال القلم في المغرب بالقضية القومية العربية ، في مفهومها الفلسفي ، وعلى مستواها الفكري ، تمشيا منهم مع هذه الحركة الصاعدة التي يعيشها شعبنا العربي في المشرق ، والتي يجب على شعبنا العربي في المغرب ان يعيها عن علم ومعرفة ، خاصة بعد ان اصبح امام ضرورات كفاحية جديدة لتوحيد المغرب العربي في كيان متماسك بعيد عن التأثيرات الاستعمارية لانه يكون الجناح الايسر الفعال في وطن العرب الموحد .

والحقيقة ان ما كتب عن الفكرة القومية العربية في المشرق كثير وكثير جدا ، حتى ان فئة من مفكري امتنا العربية وفلاسفتها قد اوقفوا انتاجهم على هذه الناحية ، بالاضافة الى انهم التزموها التزاما بحيث اصبح اسمهم مقرونا في الذكر بالعمل النضالي الضخم ، من اجل الاهداف القومية للامة العربية ، تلك الاهداف المتمثلة في انجاز الاستقلال بمعناه الكامل للاقاليم العربية ، وتوحيدها في كيان متماسك فعال ، وتحقيق العدالة الاجتماعية والديمقراطية السياسية لهذا الكيان ... فمن هؤلاء شيخ العروبة ابو ساطع الحصري الذي اغنى المكتبة العربية بما الفه من كتب للتعريف بالقضية العربية وللدفاع عنها ، واذا كان بعض المتشددين يتهمونها بالسطحية ، فان الانتاج الفلسفي الذي قدمه الفيلسوف العربي الكبير ميشيل عفلق ما خرج عن كونه تعمقا في التحليل ، وتوسعا في العرض ، ونفاذا الى صلب المشكلة التي عرضها بشكل مبسط ساطع الحصري . يضاف اليهما الكاتب البليغ عبد الله عبد الدايم الذي التزم بالاضافة الى المبدا الاسلوب والمنهاج فاختط في مناقشاته وكتاباته الطريقة الرياضية ، العقلية المقنعة ، ولو اردنا الاطالة لا مللنا بسرد اسماء افراد هذه الجماعة ، التي تعمل جاهدة لتحقيق ما نطمح اليه من وحدة في النضال تؤدي حتما الى نضال للوحدة ، الا انه لابد لي من ذكر سليمان العيسى (شاعر البعث العربي) لانه ما قال بيتا في قصيدة الا وبروح عربية ، اما لاستنهاض الهمم ، او للتغني بالامجاد او لذكر الواقع المرير الذي نعيشه ، واقع الخذلان والتفرقة ، وله دواوين عديدة تفور بوجدانه العربي الثوري الحي ، وغير هؤلاء كثير ...

والمتتبع لهذا الانتاج يجد انه بالرغم من اختلاف الاساليب بين مفكري المشرق في طرح معضلات العرب وشرحها ووضع الحلول لها ، فهم يتفقون حول معطيات واحدة سواء في التفكير ، او في التعبير ، وهذه المعطيات هي بمثابة ابجدية الفهم القومي الصحيح للحركة العربية ، اذ بدونها تبقى اية محاولات من هذا القبيل مشوهة ، مدللة على ان صاحبها لم يحط بعد بالموضوع دراسة ، ولا بالفكرة دراية .

والمؤسف ان بعض كتابنا في المغرب لا يزالون يقعون في اخطاء ، من المستحسن العمل على تلافيها مستقبلا ، وخاصة اثناء المحاولات الدراسية لمظاهر الوثبة العربية ، لان اللغة المريضة لا تعبر الا عن تفكير مريض ... ولنضرب لذلك بعض الامثلة :

1 — الدعوة الفكرية والسياسية التي تعمل لمفهوم الشعارات العربية القومية من حرية ، ووحدة ،

وحياة كريمة ، تضع بالدرجة الاولى وحدة الامة العربية كواقع تاريخي حي لا يستطيع الواقع الفاسد الذي تحياه هذه الامة اليوم ان يطغى عليه ، ومن هذا فالتعبير يجب ان يلائم هذا الواقع محترما الكفاح الشعبي من اجل ذلك والا خرج عن كونه تعبيرا قوميا سليما . . .

وما دامت الجماهير التي تعيش بين الاطلس ، وخليج العرب ، تكون امة واحدة ، هي الامة العربية ، فلا يجوز ان نطلق كلمة امة على فئة من هذه الامة كان نقول : الامة المغربية ، او الامة العراقية ، او الامة التونسية ، هذا من وجهة النظر القومية خطأ واي خطأ ، اذ كيف يعقل بعد ان نقر بان العرب امة واحدة ، ان نعود لنناقض انفسنا ونقول بوجود (امم) عربية . . .

ثم اننا اذا رجعنا الى تعريف الامة فاننا نجد ان هذه الكلمة تعني في المفاهيم الفقهية ، والدستورية ، والقومية ، وغيرها ، مجموعة من الافراد يوحد بينهم الوطن الواحد واللغة الواحدة ، والمصير الواحد ، والتاريخ المشترك ، فاذا طبقنا هذه المقاييس على الناس الذين عاشوا او يعيشون تاريخ وآلام الوطن العربي وتكلموا او يتكلمون لغة الضاد فاننا نجدها تنطبق عليهم جميعا وتضيق عن ان تشمل غيرهم من الناس اي ممن ليسوا عربا . . .

2 — ومن التسليم بوحدة الامة العربية تاريخيا ، وحقيقة ، تنشأ وحدة الوطن العربي ، الذي هو المسكن الطبيعي لهذه المجموعة من البشر ، والمكيف لتفكيرها وفلسفتها ، والمحدد لمقدار نمائها الفكري ، وعطائها الانساني ، بل انه كما ذكرت يدخل في العناصر الاساسية لوحدة الامة ، فلا يصح اذن ان نطلق على هذه المنطقة التي تحد بجبال طوروس وجبال شتكوين والخليج العربي ، والبحر العربي وجبال الحبشة ، والصحراء الكبرى ، والمحيط الاطلسي ، والبحر الابيض المتوسط ، الا كلمتي (الوطن العربي) ومن الخطأ قوميا القول بوجود (اوطان) عربية ، لاننا نخدش بذلك وحدة الامة العربية ، وقدسية ايماننا بهذه الوحدة الا انه ما دام وضع الفرقة والتجزئة قائما بين اجزاء وطن العرب، والى ان ينتج النضال من اجل الوحدة يبقى تعبيرنا بكلمة قطر او الجزء المغربي او العراقي او اللبناني . . . الخ من الوطن العربي هو التعبير الجامع بين ايماننا بوحدة الوطن وبين العرف السائد حاليا .

هذا ما يحضرني من الاخطاء القومية التعبيرية الشائعة في الكتابات الصادرة عن المغرب ، اما اخطاء الفهم التي يقع بعض كتابنا فيها فهي: في الخلط بين طبيعة القومية العربية والقوميات الاوربية التي سبقتها ، وعدم الاعتراف بان لقوميتنا تجربة جديدة مخالفة تمام المخالفة ، لتجربة القوميات الاوربية ، وسأحاول ان اوضح وجهة النظر العربية القومية في هذه النقطة بالذات .

فالذين يخلطون بين ما يدرسونه عن تاريخ القوميات الاوربية وبين ما تريده قوميتنا العربية لنفسها ، وخاصة في المسألة الدينية ، يجب أن يتذكروا بان الحركة القومية في اوروبا ما قامت للقضاء على الاستعمار ، والرجعية ، والاقطاع ، ومن اجل تحقيق الاتحادات القومية فقط ، بل وفي كثير من الاحيان قامت ، لتحطيم العبودية الكنسية وتخليص الشعوب من استغلال الكهان . . . وهذا بخلاف الحركة القومية في الوطن العربي ، فانها ترتبط ارتباطا روحيا بالدين الاسلامي ، باعتبار انها تستمد خاصيتها المميزة من الروح ، وتدعو في الحاح الى وضع الحلول الناجعة للازمة الروحية التي يعانيها الشعب العربي ، بل انها هي وحدها الحركة الجدية الفعالة التي تستطيع في وقت واحد ، أن تبعد الخرافيين من صفوف الشعب، وتواجه في قوة الافكار الدخيلة التي تستهدف مسخ الارادة العربية ، والحاقها بالمعسكر المادي الشيوعي، حيث تخبو كل اشعاعة روحية نيرة لتبقي على الانسان العربي توازنه الطبيعي الذي دعا اليه الرسول (ص) في حديثه : **(اعمل لدنياك كانك تعيش ابدا ، واعمل لاخرتك كانك تموت غدا)** يضاف الى ذلك من الاسباب ان الوطن العربي كان مهبطا للديانات السماوية الثلاث ، وأن

الدين الاسلامي وهو آخرها ، كان عربيا في كتابه ، وفي نبيه ، بل وحتى في نظرته الى كثير من مظاهر الكون والوجود . . . ولسنا وحدنا نحن العرب المسلمون نقول بهذا او ندعو له تعصبا او مكابرة ، بل ان المتصفين المخلصين من رجالات العرب المسيحيين انفسهم قد عرفوا هذا الارتباط القدري بين العروبة والاسلام ، فاكبروه ، ودعوا مواطنيهم الى الاعتراف به ، لان الايمان بالعروبة ، وشرف الانتساب اليها ، يفرض عليهم ذلك، من ذلك هذه الصيحة للفيلسوف ميشيل عفلق : « قوميتنا كائن حي متشابك الاعضاء وكل تشريح لجسمها ، وفصل بين اعضائها يهددها بالقتل ، فعلاقة الاسلام بالعروبة ليست اذا كعلاقة اي دين باية قومية ، وسوف يعرف المسيحيون العرب ، عندما تستيقظ فيهم قوميتهم يقظتها التامة ، ويسترجعون طبعهم الاصيل ، ان الاسلام لهم ثقافة قومية ، يجب ان يتشبعوا بها حتى يفهموها ويحبوها فيحرصوا على الاسلام حرصهم على اثمن شيء في عروبتهم ، واذا كان الواقع لا يزال بعيدا عن هذه الامنية ، فان على الجيل الجديد من المسيحيين العرب مهمة تحقيقها بجراة وتجرد مضحين في سبيل ذلك بالكبرياء والمنافع ، اذ لا شيء يعدل العروبة وشرف الانتساب اليها » .

ويطول الحديث في اقناع الذين يخافون على الحركة القومية ان تتردى فيما آلت اليه القوميات الاوربية او انطلقت منه من عصبية ضيقة ، واستعلاء اممي ، الا ان ما اوردته كافيا لاقناع ذوي النيات الحسنة

وعند هذا الحد اجد نفسي امام الكثير من المتناقضات الفكرية لدى فئة ممن يكتبون في المغرب يطول المقام بسردها وتفنيدها ، فاعتبار القومية العربية حركة مرحلية تؤدي الى ما بعدها ، وهي الوحدة الكونية ، او الوحدة الافريقية ـ الاسيوية ، او غير ذلك من الوحدات الجغرافية او الدينية ، واعتبار الكفاح العربي عمل عاطفي اورد فعل سلبي ، الى غير ذلك من الادعاءات ، كل ذلك يحتاج الى كلام طويل يمكن ان نفرد له مقالات اخرى . . .

وان انس لا انس ما يجب التذكير به من امور ، والشعب العربي في المغرب يستعد في عزم اكيد لبناء كيان المغرب العربي الموحد . . . الا ان لي عودة الى ذلك في القابل ـ ان شاء الله ـ .

تصحيح الاخطاء

لن يتوقع اي انسان نسيان الاخطاء التي ارتكبها الا اذا بذل كل ما في وسعه لتصحيح هذه الاخطاء ، فكل بيان خاطيء يمكن تصحيحه ، ولكن جرح الشعور لا يداوى الا بالاعتذار الصادر من القلب ، وكل محاولة منك لاصلاح الخطا تساعد على القاء السيئات في زوايا النسيان .

و . ا ـ سانجستر



مصادر تمويل الدولة

للأستاذ محمد الصادق البقالي

يرى فريق من الاقتصاديين تقسيم مصادر تمويل الدولة لمواجهة نفقاتها العامة الى قسمين رئيسيين وذلك حسب توافر عنصر الاكراه والاجبار في الجباية او عدم توافره :

1 ـ ايرادات ناتجة عن قيام الحكومة بنشاط اقتصادي كذلك النشاط الذي يزاوله الافراد .

فالحكومة تحصل على ارباح ما تدره عليها منشآتها الصناعية او التجارية . كما تحصل على ريع (ايجار) اراضيها . وعلى فوائد ما تمنحه من سلف وقروض . وعلى فوائد ما تمنحه للشركات من حقوق استغلال للمناجم والمحاجر .

وهذه كلها ايرادات تقسم بصفة تجارية .

2 ـ ايرادات ناتجة عن سلطة الدولة ومبدأ سيادتها على رعيتها .

فسلطة الحكومة واسعة النطاق في فرض الضرائب والرسوم والغرامات وجبايتها بالجبر والاكراه

على ان هذا التقسيم معيب لتداخله في بعض الاحيان ، فالايراد الذي يعتبر متصفا بصفة الاكراه يحوي في الوقت نفسه عنصرا اقتصاديا والمثال على ذلك واضح ، فرسم تسجيل الملكية العقارية مثلا في الوقت الذي تفرضه الحكومة على كل من يريد تسجيل ملكية عقاره يكون هذا الرسم ميزة لصاحب العقار الذي يعتبر التسديد كنظير لتلك الخدمة التي قدمت له . وبالعكس قد يحصل ان يكون الايراد تجاريا كالبريد او النقل لكنه في الوقت نفسه يتصف بعنصر الاجبار والاكراه . . .

على انه يمكننا ان نجمل اهم موارد الدولة الرئيسية في الآتي :

1 ـ ايرادات ناتجة عن بيع السلع والخدمات التي تنتجها الدولة .

2 ـ الضرائب

3 ـ القروض بانواعها المختلفة

4 ـ زيادة اصدار أوراق النقد المتداول

5 ـ مصادر اخرى متنوعة

وقد اختلفت الاهمية النسبية لمصادر التمويل الرئيسية بمرور الزمن وتطورت بتطور الاوضاع الاقتصادية والسياسية في كل دولة .

على ان مصادر التمويل الرئيسية هذه تعد في وقتنا الحاضر اهم وسائل التمويل لخزانة الدولة حتى تستطيع مجابهة النفقات المتزايدة التي اتسمت بها الانظمة الحديثة في معظم دول العالم وذلك نظرا للاخذ بفكرة اصحاب (المذاهب الحر الحديث) الذين يرون ضرورة احلال المنشآت الحكومية محل المنشآت الخاصة في انتاج السلع وتأدية الخدمات للجمهور ، وذلك بتوسع الحكومة في النفقات العامة ما دام الدافع الى هذا التوسع هو الوصول الى اكبر نفع ممكن للمجتمع .

وقد كان الراي السائد قبل ازمة 1929 المعروفة (بالكساد العالمي) يدعو الى تحديد الوظيفة الاقتصادية للدولة وحصرها في اداء واجبات ثلاثة :

1 ـ حماية المجتمع من الاعتداءات الظالمة للدول الاخرى .

2 ـ كفالة العدالة بين المواطنين .

3 ـ تيسير التجارة ونشر التعليم .

وفيما عدا هذا النشاط ينبغي الا تتدخل الحكومة في الشؤون الاقتصادية غير ان ازمة الكساد العالمي ابرزت بعض مساوىء النظام الراسمالي فأخذت الحكومة ببعض مزايا الاشتراكية لمعالجة عيوب الراسمالية ـ وكان التوجيه والتدخل احد هذه الخطوات في المعالجة .

على ان هناك ما يسترعي انتباهنا عند الحديث عن اتساع المجال الاقتصادي للدولة والدعوة الى المزيد من تقديم الخدمات عن طريقها . وهو مدى المقدرة الانتاجية او الكفاية الحدية للمشروعات الحكومية فى تأدية خدماتها بأقل النفقات . . اذ الملاحظ أن المشروعات التي تديرها الحكومة لا تعادل عادة المشروعات الخاصة (التي تديرها الهيئات) فى حيويتها ونشاطها ، وتعتبر اقل منها مقدرة على النمو والتقدم . . لان دافع الربح ينعدم فى الاولى بينما يبرز فى الثانية ، ونحن نعرف جيدا ان الهدف الرئيسي للمشروعات الخاصة هو تحقيق اكبر ربح ممكن ، ومن اجل تحقيق هذا الربح تقوم بضغط نفقاتها ومسايرة التطورات الحديثة بل وتلافي اي تكلفة غير مرغوب فيها ومحاولة تحقيق الوفود بجميع صورها .

ومع ذلك فالمشروعات الحكومية ضرورية ولازمة بل نجدها تقوم بخدمات لا تستطيع الشركات الخاصة القيام بها اما لانها لا تدر ربحا يشجع . . او لانها تكلف رؤوس اموال طائلة لا طاقة للمشروعات الخاصة بها . .

وحتى لا نتشعب فى الوظائف التي يجب ان تقوم بها الدولة وآثارها نعود الى المصادر التي تعتمد عليها فى التمويل ونعطي لكل بند شيئا من التبسيط حتى نستخلص بفكرة موجزة عنها .

1 ـ ايرادات ناتجة عن بيع السلع والخدمات

تقوم الحكومة بواسطة شركاتها بانتاج بعض السلع أو تقديم بعض الخدمات لامداد الجمهور المستهلك **مقابل ثمن عام**

ويمكن تقسيم السلع والخدمات التي تقدمها الحكومة وتدر دخلا لها الى ثلاثة اقسام :

أ ـ السلع والخدمات التي تعتبر حكومية بطبيعتها والتي لا يمكن تركها للافراد :

كرخص قيادة السيارات ، ورسوم الرخص التي تمنح للصيادين ورسم نقل او قيد الملكية العقارية .

ولما كان عنصر المنفعة الشخصية المباشر يتوافر لهذا النوع من السلع والخدمات (أي أن الفرد يستفيد مباشرة منها) فان الحكومة تطالب **الافراد المستفيدين** بالمساهمة فى النفقات ، بشرط الا يؤدي ثمن هذه الرسوم الى تقييد الانتفاع بهذه المنتجات المثلة فى الخدمات والسلع وحصره على الطبقات الغنية دون الفقيرة .

اذ لابد أن يكون توزيعه عادلا واقتصاديا حتى تستفيدمنه الطبقات .

ب ـ السلع والخدمات شبه التجارية :

وهي تلك التي يمكن أن يقوم بها الافراد (القطاع الخاص) كما يمكن ان تقوم بها الحكومة (القطاع العام) وهي تفيد المجتمع بقدر ما تفيد الفرد نفسه . مثل التعليم ونشره لا يفيد الفرد فى حد ذاته بل يحقق للدولة قدرا كبيرا من الفائدة الاجتماعية .

وعندما تقوم به الحكومة تكون درجة الضمان اكبر اذ يتسنى لكل الطبقات الحصول على العلم ولا يبقى احتكارا للاغنياء .

ج ـ السلع والخدمات التجارية البحتة : ـ

مثل سائر المنافع العامة كالكهرباء والمياه والمواصلات والتلغراف والتليفون ـ وغالبا ما يكون الدافع لقيام الحكومة بهذا النوع من النشاط بالذات هو استبعاد حالة المنافسة وما قد تنطوي عليه من تبديد فى موارد المجتمع . كما لو قامت عدة شركات للسكك الحديدية تخدم نفس المنطقة فهذا ينطوي عليه تكرار الخطوط الحديدية واغراق رؤوس اموال ثابتة كبيرة فى انشاء الخطوط والمحطات . . فالاحتكار الحكومي اذن فى هذه الحالة يحقق اقتصادا فى رأس المال وخفضا فى التكاليف ويضمن بالتالي تحديد الثمن عند حد يتفق وحالة المستهلك . .

ويجب ان تكون الاثمان والرسوم هي افضل وسائل التموين لمثل هذه المشروعات على ان تجبى بطريقة تكون نفقة الجباية اقل ما يمكن .

2 ـ الضرائب :

هي اهم طريقة لتمويل الانفاق الحكومي ، فهي مساهمة اجبارية من الافراد فى اعباء الخدمات العامة التي تقدمها الحكومة ضمن برنامجها فى السياسة المالية . فتتحول بذلك القوة الشرائية من الافراد الى السلطة العامة فتقوم هذه الاخيرة بتأدية الخدمات العامة دون مقابل مباشر من الافراد .

وتتصف الضرائب بصفة الاجبار والاكراه . اذ ليس للافراد حق الاختيار بين الدفع او الامتناع ما داموا **قادرين على المساهمة .**

والخدمات التي تقدمها الحكومة في هذه الحالة تعتبر اساسية للغاية وهي غير قابلة للتجزئة ـ كالدفاع والامن الداخلي والقضاء فلا يعقل ان تجزء مثل هذه الخدمات على الافراد حسب مقدار ما يدفعونه من ضريبة .

كما انه لا يمكننا ان نقيس مدى استفادة كل شخص من وجود المحاكم او رجال الامن في البلاد التي يقطنها حتى نطالبه بمقابل لتلك الخدمة لانها خدمات جماعية غير قابلة للتجزئة كما قلنا وعليها نبني انتظام حياة الجماعة .

كما لا يمكن ان يتهرب احد من دفع الضريبة بحجة انه لن يحتاج الى القضاء او رجال الامن .

فالضريبة اذن **لا تدفع مقابل نفع يعود على دافعها بالذات مباشرة** بل هي مساهمة اجبارية منه بصفته عضوا في هيئة سياسية معينة . وسلطة الدولة فيها مطلقة غير مشروطة .

وقد اتسع مجال الضريبة وتطور هدفها بمرور السنين فبعد ان كانت في **ظل الاقطاع وسيلة** لتغطية نفقات السيد الاقطاعي اصبحت ثمنا للخدمات الجماعية التي تؤديها الدولة لصالح جميع افرادها .

وقد كانت تعتبر في عهد الثورة الفرنسية قسط يلتزم به **المواطنون مقابل** المزايا التي تؤديها الجماعة لهم ثم اخذت الاجيال والنظريات الاقتصادية تؤثر على فكرتها الاساسية حتى اصبحت اليوم تعتمد على **فكرة المقدرة على الدفع** وانتفت بذلك **فكرة المقابل** التي كانت سائدة في نظرية مونتسكيو ، فاصبح الهدف منها تحقيق العدالة الاجتماعية عن طريق اعادة توزيع الدخول والثروات ، وذلك باقتطاع جزء اموال الطبقات الغنية القادرة وتوفير الخدمات للطبقات الكادحة .

ولم يقف هدفها عند هذا الحد في تطوره بل صارت اداة لتحقيق الاستقرار الاقتصادي في المجتمع ـ فهي تحد من الرواج الزائد (التضخم) وذلك برفع معدل سعر الضريبة ـ وتنشيطها فترات الكساد والركود (الانكماش) بتخفيض المعدل .

كما ان الضريبة عامل مساعد على حماية الصناعات الناشئة المحلية عن طريق رفع سعر الرسوم الجمركية (ضريبة غير مباشرة) ومنح تلك الصناعات اعفاءات ضريبية لمدة معينة . حتى تقوم وتنمو وتقف منافسة للصناعات الاجنبية .

وتعتبر اداة توجيه لرؤوس الاموال في شتى ميادين الاستثمار اذ يكفي الحكومة ان تخفض سعرها بالنسبة للقطاع الخاص من النشاط الاقتصادي الذي تريد الحكومة التسع فيه كما انها تستطيع ان تحد من مدى اقبال رؤوس الاموال على ميدان معين من النشاط وذلك برفع سعر الضريبة. والمثال على ذلك واضح فعند ما تريد الحكومة التحول من النشاط الزراعي الى الانتاج الصناعي فانها ترفع من سعر الضريبة على الاراضي الزراعية وعلى الحاصلات بينما تخفض السعر الضريبي بالنسبة للارباح التجارية والصناعية حتى يقبل الممولون على توظيف رؤوس اموالهم في المشروعات الانتاجية الصناعية ويقل اقبالهم على القطاع الزراعي .

ومن هذا نرى كيف ان الضريبة تدرجت تحت نظريات وفلسفات ، حتى اصبحت في وقتنا الحاضر اداة التوجيه الاقتصادي ووسيلة من وسائل تحقيق العدالة في المجتمع .

3 ـ القروض ـ (السلف)

ان الحكومات كسائر الافراد والمشروعات الخاصة تقوم بالاقتراض اذا دعتها الضرورة الى ذلك . على ان دواعي الاقتراض عديدة بل وتختلف باختلاف **طبيعة النظام الاقتصادي** السائد منها . (1) فقد يكون النظام الذي تقوم عليه الدولة راسماليا . وفي هذه الحالة تقتصر مهمتها على حفظ الامن الداخلي والخارجي والتمثيل السياسي ومرافق القضاء اي (تلك الخدمات الاساسية) . (2) قد يكون قائما على مبدأ تدخل الدولة في جميع المرافق حتى تكفل تحقيق التوظف الكامل لموارد المجتمع من أيد عاملة وثروات طبيعية وخبرات فنية و . .

وهذه القروض التي تحصل عليها الحكومة قد تكون داخلية او خارجية .

أ ـ داخلية : ـ بمعنى ان الافراد هم الذين يقومون بتقديم الاموال المدخرة لديهم الى الحكومة مقابل الحصول على سندات تكون في الغالب معفاة من الضرائب على ان معدل ربحها يكون اقل من سعر الفائدة السائد في السوق ـ وهذا امر طبيعي ما دامت معفاة من الضرائب ؛ لان سعر فائدة الاوراق المالية الاخرى يكون مرتفعا حقا لكنها تخضع للضريبة وبذلك ينخفض سعر الفائدة الحقيقي الذي يحصل عليه المستثمرون .

وبصدد ذكر السندات الحكومية التي تمثل القروض العامة . فانه من المستحسن الا تلجا الحكومة الى الاقتراض من كبار المولين الذين اعتادوا استثمار اموالهم فى المشروعات المختلفة ولا من البنوك بل تشجع صغار المدخرين على الاستثمار .

وذلك باكتتابهم فى سنداتها ، وحتى لا يؤثر الاكتتاب فى هذه القروض على الاستثمار فى نواحي اخرى من النشاط الانتاجي .

وينتج عن هذه القروض ان وجهت الى الاستثمار حقا فى المشروعات الانتاجية فائدة سرعة تداول النقود بنقل ذلك الجزء من الاموال المكتنزة والمودعة ، بدون استثمار الى ايدي الافراد فى صورة اجور ومهايا فيقبلون على شراء السلع المختلفة . لان الحكومة عندما تقترض لتمويل مشروعاتها الانتاجية تنفق الاموال فى شراء المعدات الرأسمالية وتدفع كذلك الاجور والمهايا للعمال والموظفين الذين يعملون فى تنفيذ مشروعاتها . ، على ان الاموال التي يحصل عليها كل من يعمل بهذا المشروع سيستخدمها فى شراء لوازمه وقضاء حاجاته، وبذلك تنتقل هذه الاموال من يد الى يد اخرى وهكذا تتحول القوة الشرائية للنقود المقترضة من حالة ركود وثبات الى حالة تداول ونشاط ، ويترتب على ذلك رواج فى الاعمال .

2 ــ قروض خارجية : ــ وهي اوسع من الاولى واخطر . ورغم ما ينطوي تحتها من سم قاتل الا انها شر لابد منه ، وخصوصا بالنسبة للدول التي تعتبر متخلفة اقتصاديا وتعتمد على الزراعة فى نشاطها الاقتصادي ، ففي هذه الحالة يكون اعتماد الحكومة على الاقتراض من افرادها غير مجد لانخفاض مستوى الدخل من جهة ولفداحة المبالغ التي تلزم الحكومة لمجابهة الهزات العنيفة التي تنتاب ميزانيتها ، وبالاخص اذا كان اعتمادها فى التصدير على محصول واحد متأثر بالسوق العالمية .

وقد ترى بعض الحكومات المتخلفة النهوض بكيانها الاقتصادي باعداد المشروعات الانتاجية الضخمة والتخلص من خطر الاعتماد على الزراعة وحدها وذلك باقامة مصانع ومنشآت تخدم أغراض البلاد . للرفع من مستوى المعيشة والحد من خطر الاعتماد على الوارد من المصنوعات الاجنبية . واستغلال ثروات البلاد المتوافرة . وتوظيف الايدي العاملة العاطلة ويلزم تنفيذ هذه النهضة الشاملة والتحويل من نظام الزراعة البحتة الى التصنيع يلزم كل هذا رؤوس اموال طائلة ، ولا يتسنى الحصول عليها الا عن طريق القروض الخارجية ، اذ القروض العامة فى هذه الحالة لا تفي بالحاجة كما اسلفنا القول .

على اننا يجب الا نغفل ما ينتج عن القروض المتصفة بصبغتها السياسية من ارتباط وتبعية وقت ابرام العقد . او منازعات تأتي وقت السداد وما الى ذلك من امساس بكرامة الدولة المقترضة .

على اننا نحبذ تلك القروض المتصفة بطابع اقتصادي محض حيث يكون غالبا قائما على قدم المساواةوعلى اسس العدالة . ويكون لرؤوس الاموال الاجنبية المستوردة من الخارج فائدة عظمى لانها فى الغالب تأتي فى صورة آلات ومعدات وادوات ، وخبرات فنية . هي عناصر احوج ما تكون اليها الدول المتخلفة .

4 ــ التمويل عن طريق زيادة الاصدار

عندما تختل ميزانية الدولة وينتابها ضيق مالي فانها تلجا الى زيادة اصدار نقدها (اي زيادة الكمية المتداولة من النقود) لتواجه بتلك الزيادة ما طرا على ميزانيتها من عجز .

وتستخدم هذه الزيادة فى تحقيق برنامجها الانفاقي حسب ما يقتضيه الحال .

1 ــ فاذا كان النشاط الاقتصادي تسوده موجة تضخمه (اي وجود رؤوس اموال معطلة فى صورة آلات ومصانع وسلع) .

فان الحكومة تعالج هذه الحالة بالتوسع فى زيادة الانفاق على **السلع الاستهلاكية** حتى توازن الموقف .

2 ــ واذا كانت هناك حالة انكماش (اي وجود موارد غير مستغلة وايدي عاملة معطلة غير موظفة) فان الواجب يدعوها الى محاولة توظيف الاموال فى السلع الاستثمارية حتى تحد من حالة الانكماش السائدة فتزداد السلع المنتجة ويعم الرخاء .

ولو قارنا آثار زيادة الاصدار بآثار زيادة الضرائب لوجدناهما متماثلين .. غاية ما في الامر ان العبء في حالة زيادة الاصدار يقع على اصحاب الدخول الثابتة بينما في حالة الضرائب يمكن توزيع الاعباء العامة على الافراد جميعا توزيعا اقرب الى العدالة .

ويرى فريق من الاقتصاديين البلجيكيين المناداة بالغاء نظام الضرائب ، لانه عن طريق زيادة الاصدار ـ يمكننا ان نحقق ما يحققه النظام الضريبي .

5 ـ مصادر اخرى

وهناك عديد من المصادر يمكن ادخالها في الاعتبار وهي :

1 ـ الارباح التي تحصل عليها الحكومة من المشروعات الصناعية المؤممة .

2 ـ حصيلة بيع ممتلكات الحكومة ، وتلجا اليها عادة لتسديد النفقات الغير عادية .

3 ـ الهدايا والمنح المالية التي تقدمها هيئة الامم المتحدة ومنظماتها المختلفة بدون مقابل .

واخيرا وضحت لنا مصادر التمويل بانها مختلفة ومتعددة ..

فمنها ماله صفة الالزام (اي الاجبار)

ومنها ما له صفة الدورية (اي يتكرر)

ومنها ما تحصل عليه الحكومة مرة واحدة .

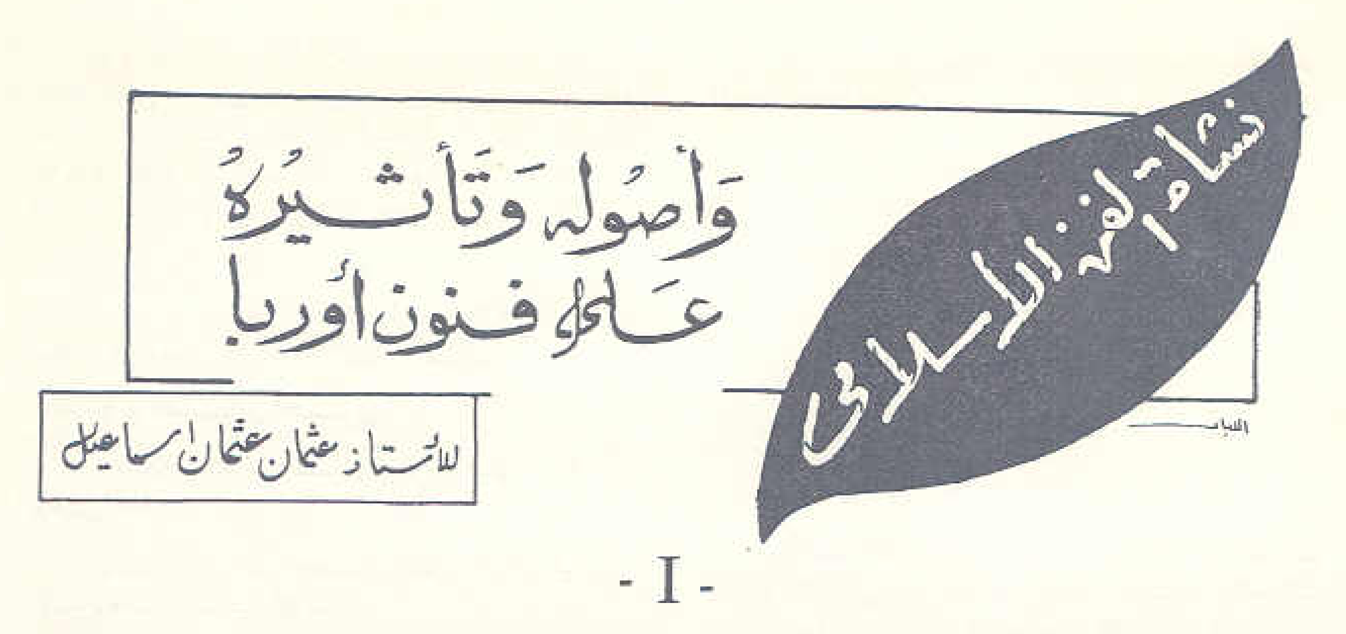
ومنها ما يسهل فرضه .

ومنها ما يلزم دراسة آثاره قبل فرضه .

واهمها جميعا هو دخل الدولة من بيع السلع والخدمات التي تقوم بانتاجها وزيادة الاصدار والضرائب ـ والقروض . على ان الاخيرين (الضرائب والقروض) هما الاهم من حيث وفرة الحصيلة وشيوع الاستعمال وقلة الآثار .



جناح من قصر الباهية بمراكش



- I -

نشأة الفن الاسلامي وأصوله :

خرج العرب من صحرائهم وليس عندهم من مقومات الحياة الاجتماعية ، الا عناصر بسيطة . وقد انتصروا بفئتهم القليلة وحضارتهم الساذجة على تلك الامم العظيمة العريقة فى القدم . وقد آثروا ان يبدأوا حضارتهم الجديدة من حيث انتهى السابقون عليهم ، فلم تستخفهم نشوة النصر الى القضاء على ما لم يكن مألوفا لديهم . بل تبنوا اركان النظم التي كانت سائدة بين الامم التي اخضعوها ، ما دامت لا تتعارض مع المثل العليا للاسلام . يقول فيليب حتى فى كتابه (تاريخ العرب) (فأبناء الصحراء قد ورثوا الحضارات القديمة وما فيها من تقاليد طويلة ، ترجع الى ايام اليونان والرومان ، والايرانيين والفراعنة والبابليين والآشوريين ولم يكن لدى العرب الاصليين اي شيء يعلمونه للآخرين وكان امامهم كل شيء ليتعلموه ، ولله ما كان اشدهم فهما ، ان اولئك العرب المسلمين بما فطروا عليه من رغبة شديدة فى العلم ، وبما انطوت عليه جوانحهم من قوى كامنة ، لم تثر بتاتا من قبل ، قد بدأوا الآن بفضل تعاونهم مع رعاياهم ، وبفضل مساعدة اولئك لهم ، يهضمون ويكيفون وينبشون تراثهم العقلي والفني) . فعندما ارتاح الفنيون من اهل الذمة الى تسامح العرب واعترافهم بمهارتهم الفنية ، قام الفن الاسلامي على اسس من الفن الساساني فى العراق وايران ، وعلى اسس من الفن البيزنطي فى مصر والشام وبلاد المغرب ، كما عاون الدين الاسلامي بما تضمنه من نظم وتوجيهات على نضوج هذه الحضارة ، وسمو ذلك الفن ، فكانت هذه هي الاسس الكبرى التي استمد منها الفن الاسلامي اصوله .

أما الفن الساساني الذي يعتبر مصدرا من المصادر الرئيسية للفن الاسلامي ، فهو فن دولة الاكاسرة ، التي تعتبر اعظم الدول التي حكمت بلاد العجم قبل الاسلام ، وكان لها فى نفوس الفرس مكانة لا تدانيها مكانة .

وتنسب الدولة الساسانية ، الى ساسان ، الذي كان قيما على معبد النار بمدينة اصطخر فى اقليم فارس . وقد كان ابنه بابك ، حريصا اشد الحرص على بعث القومية الايرانية ، التي كادت تموت بعد الفتح المقدوني . وقد نجح بابك كما نجح ابنه ازدشير ، فى التوسع على حساب جيرانه وتأسيس ملك عظيم عاصمته المدائن (التي تسمى فى الكتب القديمة والكتب الاوربية المعاصرة (اكتسيفون) . وقد يعد حكمه فى الواقع ختاما لعهد الفوضى ، ومبدءا لعهد مجيد ، اذ عمل هو وخلفاؤه على تشييد عظمة ايران ، تشييدا جديدا . وجعلوا من دولتهم فى حسن السياسة وتقدم العلوم ونضوج الفن ، مثالا صالحا استفاد به العرب على الخصوص ، الا ان الفن الذي احيوه لم يكن ايرانيا خالصا كما كان من قبل ، بل تسرب اليه الكثير من العناصر الفنية اليونانية ، عندما عمل الاسكندر على مزج الحضارة اليونانية بالحضارة الشرقية ، كما ان الحروب الطويلة بين الدولة الساسانية والدولة البيزنطية ، كانت من عوامل التبادل الفني بين الدولتين ، فتسرب الى بيزنطة كثير من الموضوعات الزخرفية الايرانية ، ولم تلبث ان اندمجت هذه الموضوعات فى الفن البيزنطي اندماجا تاما ، ثم انتقلت الى اقاليم البحر المتوسط ، التي كانت تابعة للدولة البيزنطية فى ذلك الوقت . كما تأثر الفن الساساني نفسه ببعض مؤثرات الفن البيزنطي .



صورة اعداء الاسلام بقصير عمره ونقرأ من اليسار قيصر ثم لودريق ثم كسرى ثم النجاشي ، وعلى اساسها تسب قصير عمره الى الفترة ما بين 92 و96 هـ. لاعتبار تلك الشخصيات اعداء الوليد بن عبد الملك خاصة .

ونلاحظ من الناحية الفنية ان تأليف الصورة ساساني ، وان رسم اليدين مرفوعتين الى النصف ومفتوحتين الى الامام من شارات الخضوع المعروفة في النقوش الساسانية ، كما ان طراز الصورة هلنستي لوجود الشبه بين الملابس وزخارفها ، وبين مثيلاتها في الكنائس والقبور السورية الهلنستية مما يوضح تأثير الفن الساساني والفن البيزنطي في الفن الاسلامي الاموي

وكان المصدر الثاني من مصادر الفن الاسلامي هو **الفن البيزنطي** ، وكلمة بيزنطة من بيزنطيوم ، التي كانت اسم ولاية اغريقية قديمة تقع على بحر مرمرة ، منذ القرن الثامن قبل الميلاد . وقد ظلت حتى اختارها قسطنطين سنة 330 م عاصمة للعالم المسيحي بدلا من روما ، وسميت العاصمة الجديدة « القسطنطينية » نسبة الى مؤسسها . ومع هذا فقد ظل الاسم القديم مستعملا ، الا ان استعماله في هذه الحالة لم يكن يعني موقعا جغرافيا ، بل لبس رداء الثقافة المسيحية التي بدات 330 ميلادية حتى مجيء الاتراك العثمانيين في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي ، حينما دخلوا القسطنطينية وسموها « اسلام بول » اي مدينة الاسلام.

وقد تضاربت آراء العلماء في تحديد زمان ومكان (الفن البيزنطي) ، ونتج عن هذا التعقيد ما يسمى (بمشكلة الفن البيزنطي) واعتقد ان احسن تعريف للفن البيزنطي ، يتضح لنا اذا عرفنا أن الفن الاغريقي ينقسم الى ثلاثة اساليب : الاسلوب القديم ، من القرن السابع الميلادي الى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد . ثم الاسلوب الكلاسيكي ، من منتصف القرن الخامس قبل الميلاد حتى وفاة الاسكندر سنة 323 قبل ميلاد المسيح ، وهو مصدر الفنون التي تلته مثل الفنون الرومانية وفنون عصر النهضة والفنون الحديثة . ثم الاسلوب الهلنستي الذي اتصل بفنون البلاد التي فتحها الاسكندر شرقا وانتشرت فيها الحضارة الاغريقية ، وقد عاش حتى 30 قبل الميلاد . بينما يسمى الفن الرمزي الذي ولد في الاطلال من الميلاد حتى سنة 330 ميلادية بالفن المسيحي الشرقي .

وبعد الاعتراف بالدين المسيحي كدين رسمي للدولة سنة 330 ميلادية على يد قسطنطين ، بدا الفن الذي صهر الاسلوب الكلاسيكي مع الاسلوب الشرقي

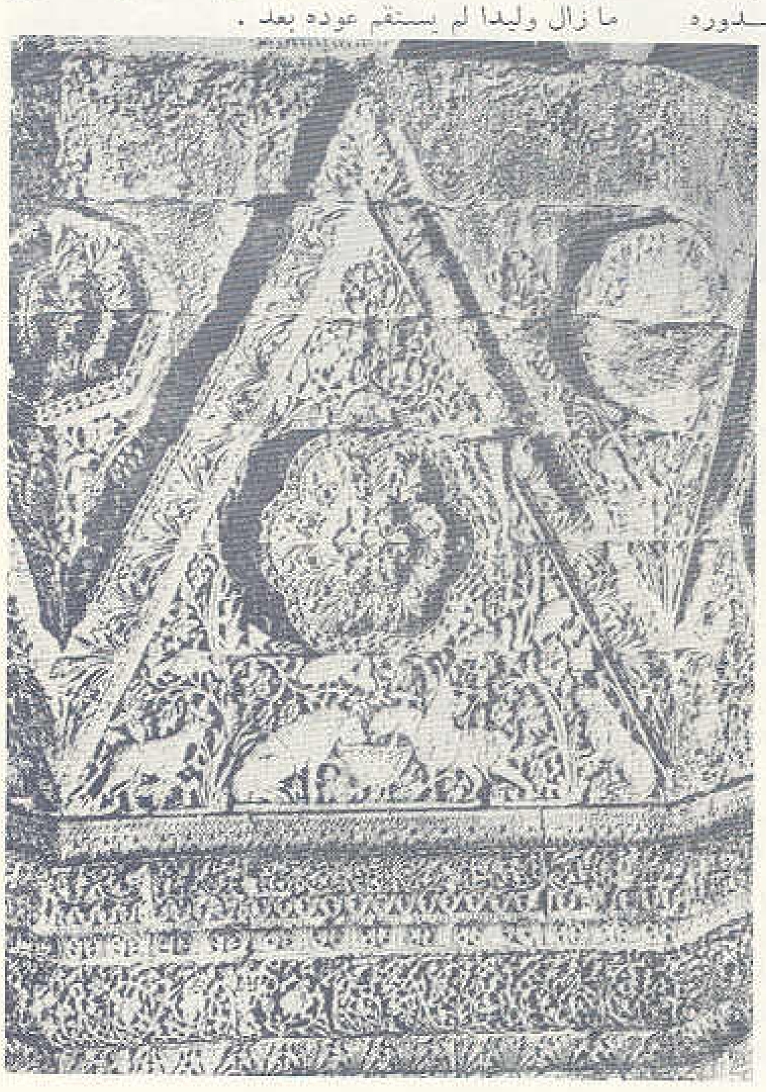
وقد ساعد الدين الجديد على هذا المزج . وعندما نقل قسطنطين معه من روما الى بيزنطة روائع الفن الامبراطوري الوثني ، ظل الفن الجديد في بيزنطة قرنين من الزمان ، حتى ساير روح الامبراطورية الجديدة ، فظهر الفن البيزنطي فعلا في القرن الخامس الميلادي وتم صوغه في منتصف القرن السادس على يد جرستنيان ، الذي يعتبر المؤسس الحقيقي لهذا الفن ، كما يتجلى في كنيسة ايا صوفيا بما فيها من قباب وفسيفساء وتصوير .

والغريب ان كثيرا من الغربيين حين ينسبون شتى العناصر الفنية الاسلامية ، الى بعض الفنون القديمة ، يلحون في ذلك . كأنهم يعملون على الحط من شأن العرب . والحق ان هذا ظلم فادح . فالامم

كالافراد لا تستطيع ان تحيط بكل شيء . وان طبيعة بلاد العرب وبداوتهم لم يكن من شأنهما ان يشجعا على ازدهار العمارة والفنون الزخرفية بين ظهرانيهم ، وقد قامت بينهم فنون اخرى كالشعر والخطابة والادب . كما استطاعت جحافلهم ان تخضع لسلطانهم الجزء الاكبر من العالم المعروف فى ذلك الوقت . وفضلا عن هذا ، فان سنة الفنون واحدة ، كل يأخذ من الفنون التي سبقته ، ولا يمنعه هذا من تكوين شخصيته ومميزاته . فقد امتاز الفن الاسلامي بتنوعه العظيم ، تنوعا اصاب نواحيه واشكاله ، وصناعاته وزخرفته واقاليمه ورجاله ، تنوعا بلغ من الشدة حدا يصعب فيه كثيرا ، ان نجد فيه تحفتين متماثلتين ، ومع ذلك فانه يمتاز بوحدته . ويؤكد الدكتور ديماند فى كتابه القيم عن الفنون الاسلامية ، هذه الظاهرة العجيبة فى الفنون الاسلامية وان هذا الفن العظيم الذي رضع فى طفولته شتى الالبان ، وهام بين مختلف انواع الفنون والجمال ، حتى استأثر باعجاب العالم الاوربي ، وغدا بدوره مصدرا من مصادر اقتباساتهم ، واقبل ملوك اوربا ورجال الدين فيها على ملء خزائن قصورهم وكنائسهم بروائع الفن الاسلامي ، هذا هو الفن الاسلامي اوسع الفنون انتشارا واطولها عمرا اذا استثنينا الفن الصيني

وما كاد العرب يضعون عن كواهلهم عتاد الحرب ، حتى تدفقت عليهم الثروة من كل حدب وصوب ، وهموا يخرجون عن بداوتهم . ولكن ابا بكر وعمر كانا لهم بالمرصاد ، فكبحا جماحهم ما استطاعا الى ذلك سبيلا . ثم جاء عثمان وكان حييا لينا ، فافلت الزمام من يده ، وكانت البيئات الجديدة التي استقر فيها العرب قد اخذت تؤثر فى نفوسهم وتغريهم بالحياة المترفة ، فاندفعوا مع التيار ، وحرصوا على الاستمتاع بالحياة ، فتانقوا فى ماكلهم وملبسهم ومسكنهم . لقد كان مسجد المدينة اول مسجد يلبس ثوبا من الجمال الفني ، على يد الخليفة الثالث عثمان بن عفان الذي اعاد بناءه بالحجارة المنقوشة والجبس ، وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بخشب الساج وحسنه ، وجعل منه اثرا فنيا جميلا . وهكذا ولد الفن الاسلامي على يد عثمان بن عفان .

واقبل المسلمون فى عصر الدولة الاموية على التشييد والتعمير ، وقد اتخذ الامويون دمشق عاصمة للعالم الاسلامي ، وكانت السيادة الفنية فى عصرهم للفنيين السوريين ، فكان طبيعيا ان تتحلى تحفهم ومبانيهم بزخارف الفن البيزنطى ، واصبح الطراز الاموي مرحلة انتقال بين الفنون المسيحية فى الشرق الادنى ، وبين الطراز العباسي . ومع هذا فلم يخل من الاساليب الفنية الساسانية التي كانت مزدهرة فى الشرق الادنى عند ظهور الاسلام . وان الاثار الاسلامية فى الشام ، وهي اقدم الاثار الاسلامية وجودا ، تفصح بتصميمها وزخارفها عن امتزاج عناصر من الفن البيزنطى ، بعناصر من الفن الساساني ، حيث كان الفن الاسلامي الصحيح ما زال وليدا لم يستقم عوده بعد .



زخارف محفورة من الحجر بواجهة قصر المشتى الاموي من اوائل القرن الثاني للهجرة قرب عمان . وتشير الزخارف النباتية كاوراق العنب وعناقيده الى التاثيرات الهلنستية ، كما ان رسم الكائنات الحية يظهر التاثير الساساني فى الحيوانات المجنحة والحيوانين المتواجهين تفصلهما شجرة الحياة التي انحدرت الى العصر الاسلامي فى الفن الساساني .

وعند ما آلت الخلافة الى العباسيين سنة 132 هـ ، نقلوا مقر الحكم الى العراق ، فاتخذ الفن الاسلامي اتجاها جديدا ، وغلب على الطراز العباسي الاساليب الفنية الفارسية . ثم نضج هذا الطراز وبلغ أوج عظمته في مدينة سامرا في القرن الثالث الهجري ، حيث كشفت الحفائر الاثرية بها ، عن زخارف جديدة لها طابع خاص يميزها عن غيرها ، قسمها علماء الاثار الى طرز شتى، وقد ذاعت هذه الطرز في معظم العالم الاسلامي على الجص والاخشاب ، والمنسوجات والزجاج ، واصبحت وسيلة تساعدنا على تاريخ ما قد يصادفنا من ابنية وتحف مجهولة التاريخ .

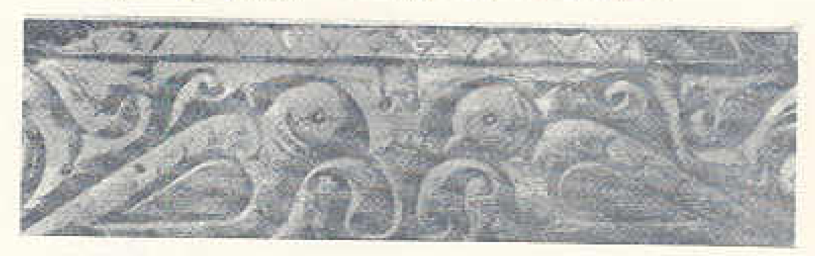
ضعفت الدولة العباسية وانقسم العالم الاسلامي الى دول كثيرة يجمعها الدين ، كما تجمعها اللغة احيانا. وبدات الفنون المحلية تتطور وتتضح وتنسق طرقها معتمدة على ما ورثته من تقاليد فنية قديمة ، وما اتى به المسلمون عند الفتح ، حتى اصبح لدينا طرز اسلامية شتى ، تختلف في مظهرها تبعا للوطن الذي نشأت فيه ، وتتفق في كمون الروح الاسلامية فيها ، فهنا الطراز المغربي والطراز الاندلسي ، وهناك الطراز المصري والطراز الايراني ، والطراز الهندي ، وغيرها من الطرز التي يفتقر كل منها الى بحث قائم بنفسه .

اما في الاندلس ، فقد ازدهر الطراز الاموي المغربي الى القرن الخامس الهجري وقد احتفظ بمعظم اساليب الطراز الاموي الشرقي وبعض الاساليب العباسية ، بينما احتفظت بلاد المغرب باساليبها الفنية القديمة فترة طويلة بعد الفتح العربي ، وكانت صلة هذه الاساليب بالفن الروماني واضحة الى حد بعيد . ولم تتاثر الاساليب المغربية باساليب الطراز العباسي الا تاثرا بطيئا لايكاد يظهر تماما قبل القرن الرابع الهجري . ثم اتيح للاندلس والمغرب ان يتحدا تحت حكم المرابطين الذين ضموا الاندلس الى دولتهم عام 483 هـ كما مد الموحدون سلطانهم على الاندلس ، وظلوا يجاهدون المسيحية فيها الى سنة 632 هـ ، عندما اقتصر نفوذ المسلمين على مملكة غرناطة . وعندما سقط بنو نصر سنة 897 هـ انتهى حكم المسلمين بالاندلس .

ومن الطبيعي ان المرابطين ثم الموحدين ، كانوا حلقة اتصال بين الاندلس والمغرب . فكان الجند المغاربة يرحلون للقتال بالاندلس ، بينما كان يحمل الصناع والفنيون من اهل الاندلس الى بلاد المغرب ،



زخارف جصية في القرن الثالث الهجري من سامرا

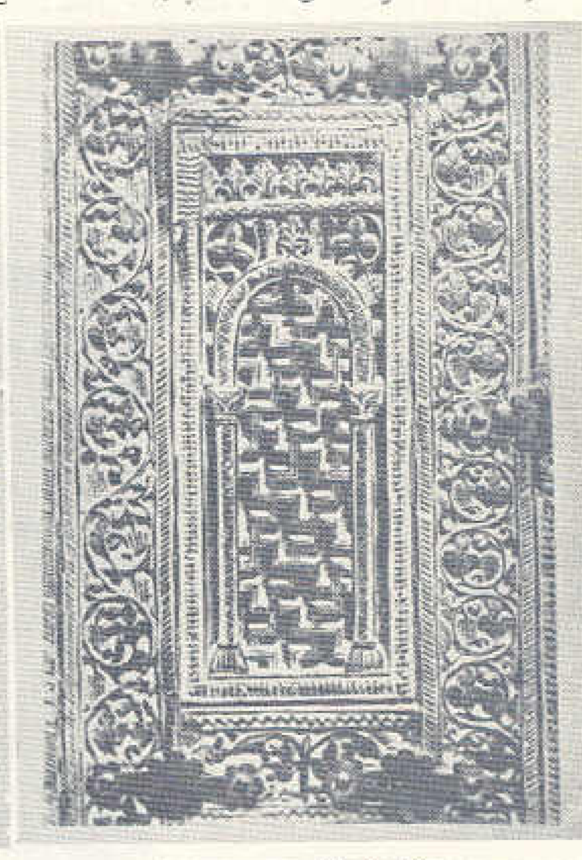


حفر على الخشب به طيور محورة عن الطبيعة القرن الثالث والرابع
وقد انتقلت طرز سامرا في الحفر والزخرفة الى مصر على يد احمد
ابن طولون . وتجلت في مسجده بالقطائع .

الاساليب الفنية التي ازدهرت في بلادهم . وهكذا اقام الطراز الاسباني المغربي على يد الموحدين في القـــرن الســادس الهجري ، وقد بلغ اوج عظمته في غرناطة في القرن الثامن الهجري .

وقد كانت الزعامة في هذا الطراز ، للاندلـــس ومراكش (المغرب الاقصى) ، الا ان مراكش امكنها ان تحتفظ حتى العصر الحاضر بكثير من الاساليب الفنية لهذا الطراز ، بينما دبت الاساليب التركية والاوربية في الجزائر منذ القرن العاشر ، وحاولت تونس ان تقاوم تلك الاساليب فترة طويلة من الزمن .

من ابدع التحف المغربية منبر المسجد الجامع بالقيروان 248هـ وتنقسم زخارفه الى قسمين :



زخارف نباتية تقوم على ورقة العنب التي يظهر فيها تاثير الفن الاسلامي في اواخر الدولة الاموية واوائل الدولة العباسية .

زخارف هندسية يتضح فيها تاثير الفسيفساء البيزنطية التي لا زال بالمغرب امثلة كثيرة منها .



علبة من العاج تحمل اسم المغيرة بن عبد الرحمن الناصر وتاريخ صنعها 357 هـ. وعليها زخارف نباتية تتخللها اشكال آدمية ، وطيور وحيوانات . ونرى فيها رسم شخصين جالسين بينهما عازف ، وتحتهما حيوانان متدابران .

وتذكرنا تلك الموضوعات بما نراه على العاج الفاطمي

أثر الديـــن في الفـــن :

وعندما ورث الاسلام فنون البلاد التي اكتسحتها جيوشه المنصورة ، **أثر الدين في مختلف نواحي** الحضارة المادية ، من صناعة وفن اثرا لا سبيل الى انكاره عن طريق : الحج ، والوقف ، والحسبة ، وموقف الاسلام من فنون الخط والزخرفة والنحت والتصوير .

اما الحج ، فهو احد الاصول الخمسة التي بني عليها الاسلام ، وهو فرض على كل مسلم يستطيع القيام به دون ارهاق . اي انه امر للاغنياء بالسفر الى مكة ، حيث يجتمعون بغيرهم من المسلمين فيرون الوانا شتى من الحضارة المادية ، ممثلة في السلع المختلفة المصنوعة من القماش او الخزف او الخشب او المعادن او العاج ، فيتبادل الحجاج هذه السلع عن طريق الاهـــداء او التجارة . وقد يجتمع رجال الصناعة بعضهم ببعض ويتشاورون في طرق الصناعة لديهم ، ويحملون معهم اسرار تلك الصناعات الى البلاد المختلفة ، فيؤثرون بذلك في مصنوعاتهم المحلية . وهذا وفقا لقوله تعالى **(واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا ، وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله)** .

والوقف ، نظام نشأ في الاسلام ، استنادا الى احاديث عدة أثرت عن النبي ،من اشهرها ذلك الحديث الذي ملخصه ان عمر بن الخطاب اصاب ارضا بخيبر ، فاتى النبي يستأمره فيها ، فقال له : « ان شئت حبست اصلها وتصدقت بريعها » . ومنذ عهد عمر ونظام الوقف مستمر . وقد اتسعت اغراضه فحبست الاعيان على المساجد والمدارس والبيمارستانات ، وعلى المساكين وعلى الذين وهبوا حياتهم للعلم او للدين . والذي يهمنا من هذا النظام ، هو ان اول قواعده هي عمارة الاعيان المحبوسة لضمان بقائها واستغلالها . فله الفضل فيما وصل الينا من روائع العمائر والتحف الاسلامية ، فضلا عما نجده في الوقفيات من وصف دقيق لهذه العمائر ، وما نعثر عليه من اصطلاحات فنية . والحقيقة ان هذا النظام ضمن استمرار نشاط الصناع والفنانين ، كما ضمن اضطراد حركة التطور في الفنون المختلفة . ولولا تلك الاموال التي اوقفت على العناية بالمنشآت ، لضاع هذا التراث العظيم .

والحسبة ، وظيفة اوجدها الاسلام عندما ادرك انه لكي يستقيم امر الجماعة لابد من ايجاد سلطة تلزم كل انسان حده ، ولا تترك مجالا للعبث بمصالح الناس ، ارضاء لشهوة جامحة او نزوة طارئة وقد استمدت وجودها من آيات قرآنية عدة نجدها مفصلة في كتب الحسبة . وقوام اعمال المحتسب ، جميع ما يتصل بحياة الناس المدنية والدينية ، فنجدها تدخلت في شؤون جميع الصناعات ، ورسمت للصناع السبيل السوي . فللنساج والنجار والخزاف وغيرهم منهج خاص عليهم ان يتبعوه ، حتى يأمنوا عقاب المحتسب في الدنيا وغضب الله في الآخرة . ولهذا اثره في تحسين المنتجات الصناعية والعمل على رفع مستواها ، فخطت الصناعات الاسلامية بفضل اشراف المحتسب خطوات واسعة في سبيل الرقي فسمت عن دائرة الصنعة المألوفة الى مستوى الفن الجميل .

هذا وقد وقف الاسلام مواقف سالبة واخرى موجبة بالنسبة لانواع الصناعات والفنون المختلفة ، ادت الى ابتداع الفنانين المسلمين لانواع وطرز جديدة من المصنوعات والتحف .

فبالنسبة للاواني المصنوعة من الذهب والفضة ، فالتحريم فيها ورد صريحا في الاحاديث ــ وان لم يرد في القرآن ــ وقد كان هذا التحريم دافعا للصناع على ابتداع الخزف ذي البريق المعدني (1) الذي امتزجت فيه دقة الصانع مع عبقرية الفنان ، والذي يتمتع من يستعمله بجمال الذهب ورونقه دون ان يخرج على احكام الدين .

اما الحرير ، فلم يحرم الدين لبسه كما يدعي كريستي خطا ، ولكنه نظم استعماله فاباحه للنساء دون قيد او شرط ، ورخصه للرجال اذا كان بالثوب قدر اصبعين او اربعة من الحرير ، وكان اثر ذلك ظهور طريقة « التابستري » في زخرفة المنسوجات ، وكان من أثر هذا التنظيم ، ان ملك المسلمون زمام صناعة الحرير وتجارته في مشارق الارض ومغاربها في العصور الوسطى

كما وقف الاسلام من فنون الخط والزخرفة والنحت والتصوير مواقف مختلفة

اما الخط فقد آثره الاسلام برعايته ، قال تعالى **« اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم »**

كما اقسم الله تعالى بقوله (**نون والقلم وما يسطرون**) فذكر ادوات الكتابة . كما قال « **وان عليكم لحافظين كراما كاتبين** » وقال « **بايدي سفره ، كرام برره** » وسفره بمعنى كتبه .

ولهذا تعتبر الكتابة العربية حيثما وجدت دليلا على سيادة الاسلام وعظم تاثيره ، ولما كانت هي الخط الذي دون به القرآن الكريم ، فقد ظلت مقدسة فى كل بلاد الاسلام وفى كل عصوره ، وعندما انتشر الخط العربي فى الامبراطورية الاسلامية كلها اتيح له أن يصل فى نحو اربعة قرون الى جمال زخرفي لم يصل اليه خط آخر فى تاريخ الانسانية قاطبة . ولقد اصبحت الزخرفة الكتابية من ابرز مميزات الفنون الاسلامية عامة ، كما اشتركت فيها أمم الاسلام كلها ، فعرفت ضروبا شتى من الخطوط العربية .

منها الخطوط اللينة او المدورة مثل النسخ والثلث والرقعة والريحاني والديواني والمغربي وغيرها . ومنها الخطوط اليابسة مثل الكوفي بانواعه ، الكوفي البسيط والكوفي المورق والكوفي المضفر والكوفي المربع وغيرها .

وقد زين الفنانون المسلمون كل ما اخرجته ايديهم من المصنوعات وما شيدوه من العمائر بالآيات القرآنية والعبارات الدينية ــ واصبح الخط عاملا مشتركا فى جميع فروع الفن الاسلامي ــ تجده على الخشب والعاج ، والخزف ، والزجاج ، والاقمشة والطنافس وجدران المساجد والقصور .

وكما شجع الاسلام على الخط ، فقد حبب الى الفنان الزخارف النباتية والزخارف الهندسية . فقد روى فى صحيح البخاري ان رجلا اتى ابن عباس رضي الله عنه قال « يا ابن عباس ، اني انسان انما اعيش من صنعة يدي واني صانع هذه التصاوير » . قال ابن عباس « لا احدثك الا ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، سمعته يقول ، **من صور صورة فان الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها ابدا»** فلما اصفر وجه الرجل قال ابن عباس « ويحك ، ان ابيت الا ان تصنع فعليك بهذا الشجر وكل شيء ليس فيه روح » . وفى هذا الحديث توجيهان للفنان : الاول ان يعني برسم الشجر ، او بعبارة ادق برسم الزخارف النباتية . فابتدع الفنان المسلم نوعا من الزخرفة النباتية عرف باسم « الارابسك » او « التوريق » . والثاني ان يقبل على رسم ما ليس فيه روح ، فاهتم بالزخارف المعروفة باسم المقرنصات (1) من ابرز خصائص هذا الفن .

ولم يشجع الاسلام على النحت والتصوير . والواقع ان الفن الاسلامي لم يصل فى فن النحت ، او صناعة التماثيل ، الى الدرجة التي سمت اليها كثير من الفنون السابقة عليه ، كالفن اليوناني مثلا ، وليس فى هذا ما يؤخذ على الفن الاسلامي ، لان لكل فن بيئته التي نشأ فيها والعوامل التي تحكمت في نشأته . فلم يكن فى بيئة العرب الصحراوية رخام يشجع على نحت التماثيل ، وكان يحيط بالعرب قبل ظهور الاسلام فنان : هما الفن البيزنطي والفن الساساني . ولم يكن كلاهما يعنى بالتماثيل عناية الفراعنة او اليونان او الرومان بها . وعندما جاء الاسلام اعلن الحرب على الوثنية ، واعتبر القرآن الكريم الانصاب رجسا من عمل الشيطان ، وعلى المؤمنين ان يجتنبوه ، كما بينت الاحاديث النبوية اثم من يصنع التماثيل .

وبعد ، فهذه هي العوامل الثلاثة الرئيسية التي استمد منها الفن الاسلامي اصوله وحدد بها اتجاهاته .

والواقع أن العالم المتمدن فى القرون الاولى بعد الميلاد ، كان قد سئم الفن اليوناني القديم الذي ينقصه التنوع والابتكار ، وتطلع الى تقاليد واساليب فنية اعظم ابهة واكثر حرية فى الزخارف والموضوعات ، وجد العالم المتمدين تلك الاساليب الفنية المنشورة ، عند الساسانيين اولا ، ثم فى الفنون الاسلامية بعد أن امتدت الامبراطورية العربية واتسعت ارجاؤها وتسرب الى الاوربيين فن جديد بل فنون اسلامية ، اثرت بدورها فى فنون الغرب تاثيرا لا يزال ظاهرا حتى اليوم .

« البقية فى العدد القادم »

(1) Lustre Potteny.



للاستاذ جمال الدين البغدادي

لا يختلف اثنان في ان الحضارة الانسانية في تقدم مستمر سواء ذلك في الميدان الفكري او الاخلاقي او المادي فلو قارنا بين حياة اجدادنا وحياتنا نحن ابناء القرن العشرين لوجدنا ان الفرق مدهش يدعو الى الاستغراب والتعجب . ان الموظف المتوسط الدخل في ظرفنا هذا يتمتع بعيش ارغد ورفاهية كبيرة توفرها له شتى المرافق الحيوية العصرية من راديو وتلفزيون ومغسلة كهربائية ومنازل ذات التدفئة المركزية شتاء والتكييف الهوائي صيفا امر لم يكن موجودا في العصور الغابرة ولا عرفه الملوك والامراء ولا حلم به اثرياء العصور السالفة . هذه حقيقة لا تحتاج الى تأكيد وبرهان لو امعنا الفكر ونظرنا من وراء الحجب لوجدنا ان الانسان رغم كل امتيازات زمنه لا زال في شقاء وبؤس وضلال . فلو احصينا الجرائم وقارنا بين حوادث الانتحار بالامس لوجدنا الارقام في صعود مذهل مفزع نكاد نستنتج من جراء ذلك ان الانسانية في تقهقر وانحدار نحو الهاوية المحتومة. فعلماء النفس والاجتماع يعرفون هذه الحقيقة المؤلمة ومن الراي الشائع عندهم أن تعقيد الحضارة يزيد في اضطراب الانسان او بعبارة اصح ان هنالك اختلالا في التوازن بين المدنية والحضارة اي بين متطلبات الشؤون والمصالح المادية وبين مقضيات النفس والروح ، ارتفاع الخط البياني في الاولى وصل الى ما دون القمة بقليل والخط المقابل دون الوسط بكثير ، اسراف هناك وتقتير هنا فهل من سبيل الى استرجاع التوازن المنشود وهل من امل في تحقيق السعادة للبشر تحقيقا عمليا اكيدا ؟ . لا سبيل الى استرجاع ما فات الانسان من استقرار واطمئنان الا بالسير حسب نظام معين مقنن . ومن الغريب حقا ان العقل البشري وضع القوانين والمبادىء الثابتة لكافة العلوم المادية ولم يتوصل بعد الى نتائج جدية في العلوم الانسانية ؛ ربما كان السبب ان هذه معقدة متداخلة مائعة المضمون تختلف من فرد الى فرد وطبيعة العلم الاساسية انه لا يقبل ما كان مشوشا مذبذبا ولا يضم في حضيرته الا الواضح الشفاف العام الذي يشمل اكبر عدد ممكن من الحوادث والظواهر .

ولكن لنحذر الاسترسال في هذا المنطق ونستمر في التشاؤم الى نهاية الطريق الى الياس من الاصلاح والوصول الى حقائق لها بعض الاستقرار . لقد اصبح من المؤكد اليوم ان ادراك السعادة نفسها في متناول كل من له الرغبة الصادقة والمنتبه الى ان السعادة هي في النمو الشامل لكافة الامكانيات النفسية والجثمانية فمن يتعبد طول النهار ويهمل واجباته العائلية والاجتماعية لا يمكن ان يسعد في حياته ، ومن يمرن ويدرب عضلاته صباح مساء ويهمل تغذية عقله سيبقى انسانا غير كامل فالنغمة الشجية تصبح لحنا رائعا عندما يتكامل الوزن وتترابط اجزاؤه وهكذا نرى ان الحياة السعيدة مقدرة على النظرة الكلية الجامحة دون التفريط والافراط، ثم السير في الطريق بوعي وتبصر ، ان هذا الراي الاخير هو خلاصة الفكرة الموجهة لكافة المذاهب التربوية الحديثة التي باتت تشغلها الشاغل الاعداد للحياة وليس لفرع منها دون الآخر ، ويحق لنا ان نتساءل الآن بعد هذه المقدمة عن السبيل الذي يسلك حتى تتحقق هذه الانسانية المثلى، ما هو الدستور الحكيم بعد ان ادعى الداعون ان الحياة فن وعلم وليست ارتجالا اعمى ؟ بل أصحيح أن منهاج السعادة منهاج مستقيم والحياة دائمة التطور والتغير تتميز بالتبدل في كل حين ؟ فما كان صالحا لي لا يعتبر كذلك بالنسبة لمن خالفت ظروفه بيئتي وتربيتي ؟ لنحذر مرة اخرى هذه الفلسفة السفسطائية فاذا كان الخلاف حول التفاصيل فان المبادىء العامة خالدة خلود

الحياة والروح والا من يخالف في ان مراعاة القواعد الصحية ضرورة من ضرورات الحياة وان العلم نور يهدي السبيل وان الاخلاق الفاضلة عنوان الامة الناهضة حقا ، هذه الركائز الاساسية في كل فرد جدير بالحياة هي التي اريد ان اشير الى بعضها بعد ان كثر القول حولها واصبحت تشكل فيما بينها علما وفنا مستقلين .

فلو حاولنا ان نرسم مخطط الطريق لقلنا ان الحياة السعيدة هي التوفيق على الاجابة على اسئلة ثلاثة : من اين جئنا والى اين نذهب ؟ وكيف يجب ان نعيش ؟

اما عن بدا الحياة فمشكلة فلسفية طالما تضاربت حولها النظريات : الانسان الاول القى على نفسه هذا السؤال ولاشك ان الانسان الاخير سيلقي على نفسه عين السؤال . ومن العلماء من يرى انه لا داعي الى البرهنة على قولنا ، ولكن هل في امكان العلم ان يحقق الاجابة على سؤال لا صلة له بالعلم ما دمنا لا نستطيع ويدفن الى الابد هذه الرغبة الدفينة فينا للوصول الى حل لهذا السؤال الخالد ؟ ان حب اكتشاف المجهول لفطرة اصيلة في الانسان سوف تبقى ما دام في الوجود. وخلاصة القول ان الذين حاولوا معرفة طريقة تكون الحياة طائفتان من العلماء : الماديون ورجال الاديان ، اما العلماء الماديون فقد اشتهر منهم العالم الفرنسي لامارك وهو يرى : ان الخلية الاولى جاءتنا من الكواكب العليا في ظروف مبهمة لا نستطيع توضيحها اليوم . ويعتقد العالم الانجليزي داروين: ان الخلية الحية تكونت في اعماق البحار حيث توفرت لها شروط حرارية وكيماوية خاصة ، وهذه الخلية توالدت وتكاثرت وخلقت سلسلة عديدة من الحيوانات البسيطة والمعقدة وكان آخرها الانسان . فاصلنا اذا حيواني وليست لنا امتيازات مورفولوجية كبيرة عن الحيوانات الاخرى اللهم بعض الصفات العقلية وهي نتيجة تطور طويل للقرود وهي اقرب الحيوانات الينا . هكذا يرى لامارك وداروين ولكن علماء آخرين يسألونهما من اين جاءت هذه المقدرة العقلية الخارقة عند الانسان ولاسيما هذا الميل الاصيل للسعي نحو الكمال ونحن نعرف ان اذكى الحيوانات ليس لها شعور او احساس لا بالزمن ولا بالمكان ولا تدرك معنى النسبية وكان عقلها من طينة اخرى ؛ الا يدل هذا الفرق الواضح على ان العقل الانساني فيه شرارة او ومضة من قوة خارقة هي القوة الالهية ، حقا ان البون لهائل بين الانسان واذكى الحيوانات ولن توضح العلاقة التطورية اذا زعمنا القرود اقرب الجدود لبني الانسان، وقد اصبح هذا الراي هو المقبول عند كافة العلماء الطبيعيين اليوم على خلاف الرأي الشائع في القرن التاسع عشر . ومهما قيل فان اصل الحياة سيبقى من تلك الاسئلة الفلسفية المعقدة والشيقة في نفس الوقت واذا استقر الانسان على حل من الحلول فان التفكير في حياته الواقعية يكون كخطوة ثانية وهي الاجابة عن السؤال الخالد كيف يجب ان نعيش ؟ .

ليس من السهل الاحاطة بكافة النواحي الهامة في حياتنا القصيرة رغم عمقها وخطورتها ومن العبث ان نضع الدساتير المقننة لكل حركة نخطوها ولكن من الجائز ان نشير الى بعض المبادىء العامة والتي قد تنير لنا السبيل الى آخره ، ولعل المبدا الاول الذي يخطر على بالنا هو الذي يتعلق بصحتنا وسلامة اجسامنا فالذي يتألم من مرض عضال لا يستطيع ان يخدم نفسه بله مجتمعه ، والامراض الجسمية تؤثر على الشخصية وعلى السلوك ولها نتائج خطيرة قد تمتد الى نهاية العمر مما يبعد اي امل في تحقيق هذه السعادة المنشودة اننا نجد اليوم الاطباء يقدمون لمرضاهم مختلف النصائح حسب شخصياتهم ومقدرتهم على استبطان الداء ومع ذلك نرى تفسيراتهم لهذه الامراض تختلف من طبيب الى آخر ثم هي لا تؤدي الى النتيجة المطلوبة . ومعنى هذا ان الطب لا يستطيع كثيرا اذا نحن لم نساعده على القضاء على المرض المزمن ؛ ويجب الا ياخذنا الغرور وندعي ان الطب الحديث استطاع ان يتغلب على كافة الامراض بل هنالك امراض اخرى لا زال الطب حائرا امامها كالسرطان والسكتة القلبية والجنون وامراض الكبد ولعل دواءها الاول والمتناول للجميع هو البساطة في الاكل والعيش كان نكثر من تناول الاطعمة النباتية والخضر الغنية بالفيتامينات ثم تقوية الناحية النفسية فينا كارادة الحياة وحب الخير والتفاؤل الدائم فان هذه كثيرا ما تدفع عنا الامراض السالفة وكثيرا ما يكون الحسد والحقد واليأس والحسرة عوامل اساسية في استبقاء الامراض في اجسامنا لان هذه سموم دفينة تجعل الدم يتخثر والغدد تضطرب والتغذية تختل .

فسلامة الجسم اذن خطوة هامة نحو النجاح والسعادة ولكن السعادة هي اولا واخيرا احسن تفكير وتدبر ، وعلماء النفس يؤكدون هذه الحقيقة وهي **ان حياة كل انسان نتيجة تفكيره وان العقل هو الذي يحركنا ويوجهنا ويحفزنا نحو الاعمال الجليلة والحقيرة**

فالافكار طاقات تسبب اعمالا ، واذا كانت الحيوانات تفكر نتيجة لشروط فيزيولوجية وكيماوية فان الانسان فقط هو الذي يستطيع ان يفكر بصفة حرة فيحلل اعماله ويكيف ذاته حسب الظروف والمناسبات .
والتفكير الجيد تربية نفسية ذاتية وحياتنا انعكاس لحسن هذه التربية او لسوئها ، فحياتنا اذا مجموعة افكار . ولكن هذه الافكار هي ماذا ؟ من أي شيء تتألف ؟ وما مضموتها ومن اين اتتنا ؟

ان افكارنا بكل بساطة ذكريات ما فعلنا وخلاصة انطباعاتنا واحاسيسنا الماضية ومختلف المؤثرات التي تلقيناها او محصلة ما قرأناه في الكتب والمجلات او سمعنا من زيد وعمرو . وافكارنا هي بتعبير آخر ماضينا ، ماضينا نحن وماضي اجدادنا وابائنا اذ الوراثة لها دخل هام في تفكيرنا ، وفن التفكير هو الا نترك في عقولنا الا ما نراه مجديا مفيدا جديرا بالاحتفاظ ، لقد تعودنا اختيار الاطعمة والملابس وترانا نلح في تفضيل صنف على آخر فياحبذا لو كان لنا هذا الحرص فيما يعود الى الافكار بان نختار الكتب القيمة والافلام المفيدة والاصدقاء الذين يقدمون لنا تجارب حية ، ثم ان شحذ هذه الافكار وتنظيمها واستغلال قوتها هو عمل صرف للتربية فاذا كانت التربية موفقة كانت الحياة غير عرجاء واذا ساءت فاضطراب وحيرة وشقاء .

بقيت كلمة اخيرة وهي التي تتعلق بالاهداف والغايات وقد ذكرت في بداية الكلام ان الحلقة لن تكون تامة الا اذا ادخلنا العنصر الاخير على الفكرتين الاوليتين : من اين جئنا وكيف نعيش والى اين نذهب فلن نكون سعداء حقا ما لم نهدف الى مرمى محدود واضح ، وستتصف حياتنا بالعشوائية والفوضى اذا عشنا ليومنا فقط ولم نحسب الغد والمستقبل وما لم نحيا في سبيل غاية كخدمة الوطن ونصرة الحق ونشر الفضيلة ، ان قيمة الانسان حسب مرماه في الحياة وشأنه شأن مبتغاه فاذا جعلنا الغايات نبيلة سامية كنا كذلك ومن ينظر الى ما دون الارض سف ونزل الى درك من منزلته .

ان الحياة لفن رفيع وقد مضى العهد الذي كانت فيه حياة البشر تسير دون تبصر ووعي والعالم العربي والاسلامي يتأهب لانطلاقة كبرى وسوف يسمعان صوتهما بشرط ان تكون حياتهما قائمة على اسس من العلم والعقل لا على الارتجال والجهل .

النظــام المثــالــي

ليس هناك نظام من دون عدالة ، لكن النظام المثالي للشعوب ينحصر في سعادتها .

البيــر كامــو



بقلم : عبد السلام بوعشرين

حكمة عميقة في كلمات بسيطة ، لاديب عالمي مشهور ، عاش في عصر عاصف ، تماما كما نعيش ، خصوصا من الوجهة السياسية والادبية ، راقب عن كثب حملات نابليون ، وشارك بنصيبه في النهضة الاوربية الثانية ، وخبر الافراد والمجتمعات ، فظهر بافكار جليلة ، وحكم محمودة ، تعد وسائل لرقي شامل في مجتمع يتضمن لبابها بعقل نقي سليم، من ذلك حكمته هذه (كن رجلا ولا تتبع خطواتي) .

فالذي يمعن النظر في هذه الحكمة لابد له من التساؤل : لماذا يريد جيته من غيره الا يتبع خطواته بينما لا يوجد في خطواته ما يزيغ بالشخص عن سبيل الرجولة الكاملة والشخصية السامية ! فالمشهور عن خطوات جيته انها من النوع الذي يصح ان يكون قدوة، حتى ان نابليون بونابرت وصفه بانه رجل ، وان « براندیس » الاديب الدنماركي قال فيه : (ان حضارة الامم تقاس بمقدار تقديرها لجيته) .

ثم ان جيته قد عاصر رجالا من امثال روسو وديدرو وفولتير ودالمبير وغيرهم من الذين احدثوا النهضة الاوربية الثانية وشاهد فيهم رجولة تامة ، ورأى منهم ما يحمد من النهج والوسائل لتكوين تلك الرجولة والشخصية ، فلماذا لم يختر خطوات بعض هؤلاء اذا منعه التواضع ونزاهة النفس من اختيار خطواته هو ؟ الظاهر ان جيته لم يقصد عدم اتباع خطواته وحده ، بدليل ما اسلفنا من ان خطواته لم تكن فاشلة مضطربة ، كما هو مفصل في التاليف التي تعرضت لحياته ، وكما ذكر ذلك الاستاذ المرحوم سلامة موسى في كتابه : (هؤلاء علموني) باسلوبه المنسق المدقق ، فلو كان جيته يقبل ان يتبع الشخص خطوات من شاء من الشخصيات العظام فلا يستثني منها سوى خطواته وحده ، لبطل في نظري مرمى هذه الحكمة السامية .

وبالفرض ان جيته يقصد رجولة معينة ، محصورة في اطارها المعين ، فاننا نقف تجاه جيته على عدم اتباع خطواته وخطوات غيره في شبه حيرة اذا استثنينا ظاهرة التقليد ، فحصر الشخصية وخنق العبقرية يدخلان في قوله لا تتبع الخطوات ، ومفهوم الحيرة من جهة اخرى هو هل يعني جيته بالخطوات التي ينبغي عدم اتباعها خطوات الفرد قبل تمام رجولته فيكون القصد اتمام هذه الرجولة ، وعند ذلك يتسنى لنا البحث فيما اذا كانت الرجولة ستبقى محصورة اولا ، او هي التي تقع بعد تمامها والتي يكون معناها اعتبار الحياة بكل ما في الكلمة من معنى ، بحيث تقصد الحياة نفسها برسالة خطوات الشخص الجديدة من نوعها او هو بالتالي لا يقصد الخطوات الاولى ولا الثانية ، وانما يرمي الى ان يضع الفرد اشواطا نصب عينيه ، ويدخل في نطاقها تكوين رجولته عندما يصبح متمتعا ولو ببصيص من الاستقلال الفكري ، او بدون مبالغة منذ ان يتيح له المعلم بطرق تربوية خروجا من حجره الفكري الى نهاية حياته ، وهذا كله وان كان اقرب الى التخمين والحدس فانه يؤدي بنا الى احمد النتائج .

وكلتا الحالات يسفر البحث فيها على بضع احتمالات :

فبالاعتبار الاول كلنا يعلم ان خطوات الشخص قبل تمام رجولته هي التي تصبغ تلك الرجولة بنوع خاص ، فكانها الالوان الطبيعية للمنظر الطبيعي ، غير ان الجوهر يبقى بالنظر لبعض النواحي

والحيثيات جوهرا، ومادام لكل فرد ان يختار خطوات من عندياته للتفتيش عن رجولته ، بحيث لا ينبغي له ان يسلك ما سلكه غيره ممن وصلوا الى قمة المجد وسدرة العبقرية ، فاننا سنحصل على رجال ذوي شكليات اخرى ، وعبقريات غير معروفة او معروف منها البعض ، ويمكن ان تكون عاملا على الخير ، او عاملا على الشر ، او ان تكون الاكثرية فيها من هؤلاء او من اولئك ، ويمكن ان نتذكر فى هذا الصدد فكرة التخصيص وان كانت اقرب الى شؤون الثقافة منها الى تكوين الرجولة فى اوسع نطاق ، ذلك ان التربية تقتضي اليوم ان تراعى فى توجيه خطوات الفرد فى نشأته الثقافية ميوله وانطباعاته ، غير ان مما يعاب علينا اليوم ان ميولنا محصورة، فليس هناك فى الاغلب من طلاب العلم من يخرج عن نطاق ما ذكره صاحب القصيدة التي مطلعها :

ايها السائل عني   لا تسل الا خبيرا

فانه لم يعد المهام المعروفة : وزيرا ، اميرا ، صحافيا قديرا .. الخ ، ونسي ان ينبهنا مقدما الى ان يكون بعضنا « داروينا » فى اصل الانواع : او غانديا فى الدعوة الى الاستغناء من اجل التحرير او غير ذلك ، وهذا يساير فكرة تغيير الخطوات ؛ الا انه قد يمكن ان توجه لجيته بعض اللوم حول ما يقع — وعن غير قصد — من وجود فرد ميوله تدعو الى اتباع خطوات جيته ، فما العمل اذن ؟

وبالاعتبار الثاني فاظن ان اول نقطة يمكن ان يتعرض اليها الباحث هي ان شخصية الرجل — كما يقول الابراشي — تبدو فى مقدار ما عند الشخص من الاستقلال الفكري، وحضور البديهة وسرعة الخاطر، وقوة الروح .. الخ ، ويهمنا من هذا قوله : « الاستقلال الفكري » فالشخص الذي لا يتوفر على استقلال فكري : او هو عبد غيره فى جميع خطواته وحركاته ، او هو معتمد على غيره ، هذا الشخص وان كان له من الكمية ما هو جدير بالاعتبار ليس رجلا بمعنى الكلمة ، وانما هو انسان ذو شخصية مغلولة منحلة ؛ فالرجل هو الذي يتفرد بعبقريته فيختلف على الاقل عن غيره فى الشكلية ، وهذا باستثناء المزايا والفضائل والافكار التي انطبع عليها فى الاواخر كل ناضج فكر ، بحكم صلاحيتها ، فمثلا قد اشتهر هيرودوس بالظلم ، واشتهر سيدنا عمر رضي الله عنه بالعدالة ، ونابليون بقوة الارادة والعزيمة الصلبة ، وابراهام لنكولن بالعطف على المساكين ، وجورج واشنطن بالوطنية الصادقة ، ومصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول بالاستماتة فى الدفاع عن الوطن ، وكل واحد منهم كونت منه صفته رجلا مشهورا بارزا ، وبهذا فجيته — على حد الاعتبار الثاني — كان قوله (كن رجلا) فقط ، كافيا لان تفهم منه ان هذا الشخص المقصود بالنصيحة لن يقلد غيره ، ولن يتبع خطوات جيته ولا خطوات غيره لانه اذ يفعل تنطبق عليه الصفات التي اسلفنا قولها ولن يعتبر تام الرجولة ، وحين نعدو هذا الى نطاق اوسع نجد ان نابوليون حين خاطب جيته بقوله (جيته رجل) وصمت ، كان يقصد المعنى الاسمى للرجولة الكاملة ، فالمشهور عن جيته انه لم يكن عبقريا فى الادب او العلم او الفن ، وانما كان يوجه اهتمامه الى ان يكون من نفسه شخصية عالمية فذة ، فكان يهتم بسائر العلوم حتى بالجيولوجية والبيولوجية والبصريات واصل الانواع ، وبعبارة اصح كان يهتم بالحياة ، وكانت رسالته فى الحياة هي الحياة نفسها ، وهذا عمل ، اذ لم يسبقه احد اليه فهو عمل رجل فذ بكل ما فى الكلمة من معنى ، وعندما خاطب جيته نفسه نابليون رجل الحرب فى قصيدة شعرية بقوله : (ان الذي يقدر على كل شيء يقدر ايضا على السلام) كان يقصد بكيفية مثلى معنى عاليا للرجولة الصحيحة، فنابليون الذي لم يزد على مافعله الابطال كخالد بن الوليد ، والاسكندر المقدوني ، وموسى بن نصير ، ومحمد الفاتح ، لم يكلف نفسه الاتيان بشيء آخر ، وقد نبهه الى ذلك جيته بتلك العبارة واراد منه محاولة تحقيق السلام لان فيه الخير للشعوب، واثبات رجولة قد تعتبر فيه مزدوجة ؛ ومعلوم ان فكرة السلام اليوم تشغل الجميع ولم يوجد رجل او رجال يحققونها تحققا باتا ، غير انه لا ينبغي ان ننسى نقطا مهمة ، وهي انه ربما كان جيته قد خص عدم اتباع الخطوات بالذكر عمدا لانه عمل يبرهن على تمام الرجولة فى الشخص والا كانت ناقصة ، ولكن ما العمل اذا كانت تلك الخطوات محمودة ، وصل بها احد الاعلام الى هدف من قبل ؛ ويراد الوصول الى نفس الهدف فى الحال ، بينما لا توجد خطوات اخرى بعد ، او اذا كانت تلك الخطوات قد اتبعت عمدا ؛ غير انه يمكن ان نعتبر هذه المسائل على الهامش ، وبعد هذا يمكننا ان نطير الى ابي العلاء المعري لنذكر قوله :

واني وان كنت الاخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الاوائل

فنفهم الرجولة في شكل ارتقائي تصاعدي . غير انني لا اعني بالضبط ان عدم اتباع خطوات الآخر كافلان يأتي بواسطته الرجل باشياء خارقة لم يأت بها غيره ، او ان يتفوق عليه ، بل قد يكون هناك اختراع مخترعات وكشف اشياءوخلق افكار ونظريات اكثر مما يكون التفوق ، لان التفوق مسألة اخرى . ويكون هناك الرقي الجماعي مشخصا في تلك الخطوات وفي ذلك الكشف والخلق والاختراع اكثر من اي شيء آخر . وانا لا اعني ايضا بالضبط في استدلالي بنابليون وبابي العلاء ان رجولة الرجل لا تثبت الا اذا تفوق على من سبقه بالوسائل التي ذكرت ، وانما اعني ان رجولة رجل سابق وجدها في شخص فاتها لاتعني زيادة الترقي بمرور الزمن ، اذا لم تكن هناك خطوات جديدة ولا مضاعفة جهود . وبدليل واسع ان الامة التي لا تخترع الذرة ليست من قيمة التي تخترعها ، اي ان هذه تقدمت بعامل الزمن وبتغيير الخطوات وتلك لم تتقدم .

اما الاعتبار الاخير فقد نظن لاول وهلة . وببداهة انه جامع لاهداف الاعتبارين الاولين . ولكننا اذا ما تبصرنا مليا فلربما سنقف عند همزة الوصل بين الاعتبارين ، لاننا لم نحكم قط فيما سبق بان الذي لم يتبع خطوات غيره بعد ان صار رجلا ، لم يتبعها قبل ان يصير ذلك الرجل ، وتدخل في هذه النقطة فكرة التخصيص وان لم تكن شاملة لمفهوم الخطوات. غير انه يمكننا الحكم بان من لم يتبع خطوات غيره قبل صيرورته رجلا في الاغلب لن يتبعها بعد هذه الصيرورة ، بدليل ما انطبع عليه من حرية الفكر طوال المدة ، فتحصل كما ذكرنا سابقا في الاعتبار الاول حين تتم رجولة غير متبعي الخطوات على رجال ذوي شكليات اخرى وعبقريات غير معروفة .. الخ . وسنفكر بعد فيما سيحصل عندما يتوالى عدم اتباع الخطوات بعد ذلك .

ومما تجدر الاشارة اليه انني لم اتقيد كليا فيما اسلفت من القول بالتقسيم الذي تعرض له بعض المربين من كون الشخصية او الرجولة مكتسبة وفطرية في آن واحد ، بحيث تهبنا الطبيعة قسطا فطريا بجانب المكتسب فتنميه بالتربية الاستقلالية الحرة ، فتتحرر جسميا وعقليا واجتماعيا ، بل راعيت في ذلك الامتزاج ، والسير بالموضوع نحو المقصود من الحكمة المذكورة فقط ، وقد اشرت الى نقطة التقليد في حكمة جيته دون ان احتاج فيها الى تعمق لان جيته لم ينظر الى التقليد بصورته النافعة حيث يتعلم الانسان لغة ذويه وعلوم جنسه وفنونهم واخلاقهم بالمحاكاة مما يسمى بالوراثة الاجتماعية . التي تسير بالانسان الى الرفعة والكمال ، وانما اقصد التقليد الغير المحمود ، وهو اشهر من ان يعرف ، ولا يحتاج الى تطويل .

وهناك نقطة صغيرة لم اتعرض لها قبل . وهي تتلخص فيما اذا كان اتباع خطوات الغير محمودا ان كان الهدف هو تتميم مشروع ، ولتوضيح هذه النقطة يمكننا ان نستدل بسحنون متمم مدونة الامام مالك بن انس ، وما يدريك ؛ لعل الامام سحنون قد تتبع خطوات الامام مالك بن انس عن قصد . فما شئت من تشبع بالروح الاسلامية الكريمة ، وما شئت من كرع من حياض علوم الدين الحنيف ، ومن اقتفاء آثاره وتتبع اخباره وتطبع بسماته .. الخ . حتى يخول له ذلك التدقيق في تتميم المدونة هذا المشروع العظيم ، وهذا في نظري يلزم ان يعتبر محمودا ، كما يلزم في ظروف ما مراعاة مقتضيات الامة في توجيه خطوات رهط من افرادها حسب مقتضياتها ، ولو كانت تلك الخطوات مسبوقا اليها .

وبعد هذا كله فماذا نستخلص مما ذكرنا ؟ لقد اشرت آنفا الى ان عدم اتباع خطوات الغير يفيد المجتمع اكثر مما يفيد الفرد . فهو عامل على الخلق والكشف والاختراع ، وهو باعث على تكوين رجال منذ البدء قادرين على التضلع ، متسمين بالتطلع والترقي ، بعيدين عن محدودية الفكر ، وما دام هدف الحياة الاسمى هو الرقي الجماعي الانساني السليم البريء ، فان هذا الهدف يجمع تلك الخطوات التي قد يسلكها جميع الاشخاص بشرط ان تكون مراقبة من طرف المثل العليا والشمائل الشريفة .

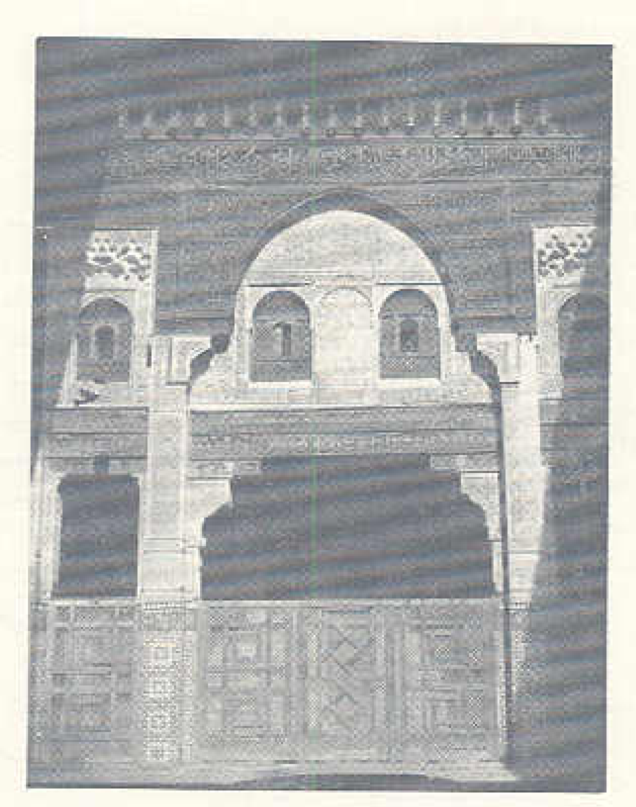
ولست اعني ان لا يتبع كل فرد في الامة خطوات غيره ، واحرى في الشؤون العلمية ؛ لان هذا يضر بمصالح الامة وحاجياتها الى عدد كبير متخصص في فن واحد كما اشرت لذلك قبل ، وانما بقولي اجاري القيمة الخلقية والنفسية .

وفي بعض مدارس الامم الراقية اليوم تطبق انظمة مدرسية محمودة كاستعراض احوال كل تلميذ على حدة قصد التأثير في شخصيته على الوجه اللائق . فتتحقق الثقة بين المعلم والمتعلم ، وتوجد الصلة

الروحية بينهما ، ويدخل هذا فى نطاق الخطوات قبل تمام الرجولة ، اما مسالة تقليد خطوات الغير بعد تمام الرجولة فقد اسلفنا بانها تبرهن عن نقصان تلك التمامية الا فى ظروف محمودة ، واذا ربي الطفل على الاستقلال الفكري منذ صغره ، وحورب فيه بطرق تربوية حب تقليد الغير ؛ فلا شك انه لن يتبع خطوات غيره بعد تمام رجولته ، وبهذا تحدث النتيجة المزدوجة ، وبحدوثها يترقى المجتمع بصفة مرموقة بترقي ذلك الشخص واظن انه لن تكون شخصية الشخص المكتسبة عائقا بصفة فى حدوث هذه النتيجة عندما تربي جوانب الاشخاص الفطرية تربية استقلالية

وباعتبار ان هذه الوسيلة عامل مثالي فى الوصول بالبشرية الى اسمى المدارك ؛ وابعد الاشواط وبالنظر الى نفسية جيته التي كانت دائما تسعى الى رقي شامل قد يكون يوما فوق الطاقة ، ولكنه بتوالد الايام وتتابع هذه الوسيلة يصبح مستطاعا ، ورعيا لما اسلفنا ، يمكن الحكم بان هذا هو هدف جيته من حكمته .

فماذا عسى ان يكون نظر المجتمع المغربي الى جيته ، والى حكمته المرموقة هذه فى هذا الظرف الذي يشق فيه طريقه نحو الرقي الكامل والازدهار المثالي ؟ لا شك انه سيكون نظر اهتمام واعتبار .



منظر من الساحة الداخلية للمدرسة البوعنانية بمدينة فاس ويرجع تاريخ هذه المدرسة الى القرن الرابع عشر فى عهد الدولة المرينية

العلم والحياة

للأستاذ بيير بوتي
تعريب الأستاذ محمد الدكالي

يقول المستر « الان ستالير » ، وهو عند قومه الانجليز من كبار العلماء في شؤون الاحياء ان البشرية قد نشأت عرضا ، وان خلقها لم يكن بفعل فاعل . وعلى هذا فان الذكاء الذي يمتاز به البشر عن غيرهم من المخلوقات قد جاء عرضا كذلك ، وكان من الممكن ان يكون الناس كبقية الحيوانات .

ويرى الاستاذ « تورس كارانكين » الروسي من جهته اننا نقف اليوم على ابواب فجر ستتمزق في نهاره الحجب والاستار عن اسرار الحياة ومصدرها ومبعثها

اترك جانبا اقوال هاتين الشخصيتين لاعود اليها بعد ان اثير بعض ذكريات من ايام شبابي ، حين كنت تلميذا شديد التعطش الى العلم والمعرفة ، ملح الرغبة في فهم كل ما يطرق اذني او تراه عيناي او يخطر لفؤادي وذهني . كنت لا افتأ اسأل استاذي الشيخ تفسيرا لكل ما عجزت عن تفسيره بنفسي ، وما زلت اذكر اليوم الذي قلت فيه لهذا الرجل الطيب الحنون ، الواسع العلم ، العميق الحكمة « يا سيدي اود ان اصير يوما ما مثلك سعة علم ومعرفة » فوضع كفه العريض على راسي الصغير ، واخذ يتفحص عيناي بعينين ملؤهما الحنان والشفقة قبل ان يقول : « اليوم تراني عالما كبيرا ؛ ولكنك ستتبين يوم تصير مثلي او اوسع مني علما ومعرفة انك ما تزال تتخبط في دياجير الجهل » .

وقد وجب ان تمضي السنوات الطوال ، انسلخ فيها عن شبابي او ينسلخ عني ، ويتحول خلالها شعر راسي من سواد الى بياض لارى كيف تتغلب في نفوس الناس غرائز الطمع والشره والتيه على القناعة والتواضع . لم اصل الى مرتبة العلماء الاعلام ، ولكني اقنعت نفسي بان تقنع وتسعد بهذا القيم الذي حبانا به الخالق سبحانه وتعالى ، والذي قل ان نحسن استعماله والانتفاع به .

لقد رايت اشياء كثيرة وعرفت اشياء كثيرة ثم نسيت أكثر ما عرفت ورايت . وكانت الافكار تتقاذفني وانا منغمر في خضم الخلائق وتطاردني وانا منزو في زاوية لا ارى منها الناس ولا يرونني فيها . عشت فريسة تلك الافكار الغامضة المتضاربة المضطربة الى اليوم الذي اغمضت فيه عيناي واستبدلت البصر بالبصيرة .

كنت كجميع الشبان ، شديد التلهف للتحرر . تحرير نفسي وروحي وجسمي من كل ما اراد عقبة تعترض سيل احلامي المندفعة في ثورة تزيدها فتوة الشباب حمية وحماسا واشتعالا . غير اني ما لبثت ان شعرت اني اسير نحو فراغ لا مجال له ولا حدود ، وان هذا الفراغ قد اخذ يشملني ويغمرني من كل جانب فداخلني فزع اوقفني لافكر في امري مليا . فتبين لي ان نجاتي في ان اولي الظهر لذلك الفراغ لاعود الى النقطة التي بدات منها السير والاندفاع .

فرحت بهذه العودة الى نقطة البداية ، بالافلات من ذلك الفراغ الهائل المرعب الذي اوشكت ان ارتمي في هوته السحيقة ، وعدت في الوقت نفسه باللوم على اولئك العلماء الذين حاد بهم الجشع والشره في المعرفة عن الطريق الموصلة الى الخالق جل شانه وهي اول الطرق ؛ والسبيل الاول الموصل الى معرفة الخلود الخالد .

لقد درست بلغات مختلفة اكثر ما قيل عن نشأة الدنيا والكون وكرتنا الارضية فوجدت كل ذلك مصاغا في اسلوب علمي امثل له بما جاء في كلام المستر « براون » العالم البريطاني الذي تخصص في البحث عن اصل الشعوب واخلاقها « ليس من طبيعة الطبيعة ان تقفز ، بل هو التطور الذي يقضي بان تاتي الخطوة تلو الاخرى . وعلى هذا فلماذا لا يكون البشر الحلقة التي ختم بها الخالق جل شانه سلسلة تطور الحيوان؟»

ان مصدر التعنت الذي يصد علماء عن الاعتراف بالاله والتسليم بوجوده هو انهم لم يروا الا ثلاثة ارباع الحقيقة . فاذا قالوا « لا خالق ولا مخلوق ، ولا انعدام لشيء موجود ، ولا يمكن ان يبرز شيء من العدم » فهم مخطئون لان الربع الرابع من الحقيقة قد غاب عنهم ، لانه اسمى من ان تصل اليه مداركهم . هو الجنة التي يعيش لها المخلوق ويؤمن بان خالقه وخالقها ناقله اليها من عدم كما نقله من عدم الى هذه الحياة .

وانا احد اهل الايمان . وبهذا الايمان اقف ثابت القدمين فوق الارض وارفع عيناي نحو السماء ناظرا ومتمليا في نهر المجرة ، في تلك المجموعة من الشموس التي تملأ بنورها ودفئها اكوانا وكواكب كما تملأ شمسنا كرتنا الارضية نورا ودفئا ، تتلو كل ذلك ظلمة اشد من الليل سوادا ، الظلام المطلق الذي يستر اكوانا وعوالم اخرى بنجومها وشموسها. فاين المجهر الذي يستطيع ان يكتشف لنا عن سعة هذا الكون الذي لا تعادل كرتنا الارضية منه حبة من رمال الشاطىء ؟ لم يكتشف البشر ولن يكتشفوا المجهر الذي يرون منه الكون كله . لسبب بسيط وهو ان هذا الكون غير محدود ، شانه في ذلك شان الخلود الذي لا مقاييس له ، لا بداية ولا نهاية . ولن يستطيع عقل بشري بلغ ما بلغ من العلم ، ان يقدم فكرة ولو تقريبية عن سعة الكون ومداه ولا عن الوجود والخلود ، وانما يعرف ذلك خالق الكون وما خلق فيه وما له من الاشياء .

هذه الحقيقة القائمة عن الكون ومداه الذي لا يعلم ولن يعلم البشر بدايته ونهايته عرفها جميع العلماء، ولكن منهم من نسيها ومنهم من تناساها تعنتا منهم في التسليم بالاله الذي كان قبل ان تكون اية ذرة من تراب واية نسمة من الهواء الموجود قبل وجود هذه الاكوان التي يقدرون عمرها بمليارات القرون .

وانا لنتساءل بعقولنا البشرية : لماذا خلق الله هذه الاكوان كلها ؟ واريد ان اجيب ، واسعى الى العلم التمس منه النور الذي يهديني الى الجواب فاجد لله نورا لا يبقى معه نور البشر الا قنديلا بجانب مصباح وهاج .

ان اشد ما يدهش له من غمر الايمان قلوبهم ان يروا الملحدين ينكرون خلق الخالق للدنيا من اجل غايات خاصة في حين يرون الناس يصنعون اشياء واشياء لغايات خاصة كذلك . انهم لا يفهمون او يابوا ان يفهموا اننا اذا كنا نعرف الغايات التي يخلق الناس من اجلها الاشياء فلانهم منا ومثلنا . والغاية التي دعت بعضنا لصنع شيء ما غاية نشعر بها جميعا . اما اذا جهلنا الغاية التي خلق الله الدنيا من اجلها فذلك لانها فوق ادراكنا وفوق تصورنا .

وانظر الى هذه المباريات التي تقام حول لعبة الشطرنج . اما ترى لاعبا واحدا مبرزا يتبارى في وقت واحد مع اثني عشر لاعبا ويتغلب عليهم جميعا . اما تراه يدرك بملكته ومرانه تطور اللعب بمجرد ما يرى احد خصومه يحول بيدقا من موضع الى موضع ؟ فاذا بلغ الفرد من البشر هذه المقدرة في معرفة تطور اللعبة وتتبعها بدقة فكيف ينكرون على الاله مقدرة تسيير الاكوان ونقلها من ماضيها الى حاضرها ونحو مستقبلها الذي صنعه هو لها ؟

لقد خلق الله الانسان حرا طليقا ولم يجعل له من رقيب على اعماله الا ضميره ، وترك له الى جانب ذلك باب التوبة مفتوحا ليدخل منه مكفرا عن سيئاته ان شاء او يمضي في ضلاله . وعلى قدر انقياده لصوت ضميره ونوازع الخير او انغماره في الخطيئة يكون الجزاء ، ان خيرا وان شرا . ولكن اعمال البشر ، مهما حسنت ومهما ساءت فلن تغير شيئا من الغايات التي وضعها الخالق للانسانية ، ما عاش منها فوق هذا الكوكب الارضي او فوق كواكب اخرى .

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فما من مذهب مسيحي ينكر اليوم وجود مخلوقات اخرى من الكواكب المحيطة بنا او البعيدة عنا ، فالاله الذي امد الارض بالظروف والاحوال التي هيات حياة المعادن والنبات والحيوان هو الذي هيأ ظروف واحوال الحياة في البقاع الاخرى من دنياه التي لابداية لها ولا نهاية . ولقد صدق احد العلماء الكبار الذين اجتمعوا بمدينة نيس من فرنسا لاستعراض ارائهم ومكتشفاتهم ، فقد قال « لاشك ان هذه المخلوقات التي تعيش فوق كواكب اخرى تؤمن هي كذلك بالاله ولا شك ان لها هي كذلك رسلها وشرائعها المنزلة « ودياناتها » . ومن يدري فلعل تطورها الفكري قد دفع بها الى مزج تلك الديانات بعضها في بعض رغبة منهم في توحيد محبة الخلائق في الخالق ليصلوا عن طريقها الى التوادد وتبادل المحبة الصادقة الروحية فيما بينهم ، وليحققوا بذلك السلم الذي لاثبات له الا اذا قام على الوحدة

الروحية . **ان القوة ، مهما قويت لاعجز عن ان تحقق لك امنيتك ، اما بالحب فانت بالغ ما شئت . وهذه حقيقة ناخذها درسا من احد الكتب المنزلة ، من القرآن الكريم الذي يدعو الى المودة والمحبة، كتاب ختم به الله كتبه المنزلة واملاه وحيا على رسوله فصار كتابا للمؤمنين ، لجميع المؤمنين على اختلاف اديانهم ، يغترفون منه المادة التي تبعث النفس وتعيد لها الحياة.**

والمدهش ان نرى الفيلسوف الملحد البريطاني « بيرنار روسيل » ، يستعمل في حديثه الى قرائه نفس العبارات والالفاظ التي استعملها الانبياء والرسل الذين اختارهم الخالق سبحانه وتعالى لتبليغ كلمته بالحق والحقيقة . والله مصدر الحق والحقيقة . اذا قورن العلماء بغيرهم فهم لا يزيدون عن اطفال اكثر وعيا وذكاء ممن هم اكبر منهم سنا ، اذا ارادوا مقارنة انفسهم بالخالق في كلمته وسموه فسيبدون دودا بجانب شيء لا يقارن حتى بالعملاق . ولقد علم الله خطيئتهم التي جرهم اليها جهلهم فعفا عنهم عفو الاب عن اطفال حين يحيدون عن طريق الصواب .

وبعد ما نسجل هنا انه لم يبق من احد يجادل اليوم في السبيل العلمي الذي انتهى بتكوين العالم من عناصر : الغاز والمعادن والنبات والحيوان ، واخيرا الذكاء البشري الذي ينزل من كل ذلك منزلة القمة والتاج . بعد كل هذا نعود الى ما قدمناه في اول هذا المقال من زعم المستر « الان سلاتير » العالم الانجليزي من شؤون الاحياء من ان الذكاء البشري قد حدث وجاء عرضا فنتساءل عما اذا كان الرجل قد فطن الى التناقض الذي كان يقع في الاوضاع لو حدث ذلك الذكاء عرضا للكلب وبقى الانسان غير متوفر الا على غريزته وحدها ؟ ولا اضرب المثل بهذا الحيوان الا لما اراه من تعلق اناس به في حين يراه غيرهم ، وما اكثرهم ، اقبح الحيوانات غرائز . لو كان الانسان مجردا من الذكاء والادراك والتفكير لعاش كما يعيش الان على اكل اللحوم والنبات ولبقي بتكوينه الجسماني ارقى مرتبة من الحيوان ، ممتازا عن غيره من المخلوقات باستعمال قدميه ويديه في الافلات من عدوه ومطاردة فريسته . هل يظن العالم البريطاني ان في امكان الكلب وهو من ذوات الاربع ، ان يروض ويستانس الانسان والحيوان ؟ قد يجعله تكوينه وارجله الاربع يتفوق على الانسان في الجري والعدو ، ولكن هل يستطيع ان يبني منزلا ويأوى اليه كالمنزل الذي بناه الرجل لسكناه وكالمعبد الذي شيده لعبادة ربه ؟ هل كان يستطيع النطق والكلام بلسان وحنجرة وتكوين في الحلق لا ينتج الا النباح ؟ كلا ، فما كان لهذا الحيوان الذي يوصف به بانه رفيق الانسان ان ياتيه الذكاء عرضا ومصادفة . وقد لا يرضى البعض هذا التمثيل بالكلب ، ولكني جئت به عرضا ومصادفة والا فليس في امكان القرد ولا اي حيوان آخر ان يتحلى عرضا ومصادفة به بما تحلى به الانسان من ذكاء .

ذلك لان الله سبحانه وتعالى هو الذي اراد للانسان ان يكون ذكيا ، مفكرا ، مميزا للاشياء فاعطاه التكوين الجسماني الذي يعده للتفكير والتعبير عن تفكيره ، ولو انكر بهذا الفكر وهذا التعبير خالقه وموهبه الذكاء ، والتمييز . فالله سبحانه وتعالى قد ترك للانسان ـ بعد هذه الهبة ـ الاختيار بين سبيلي الايمان والضلال ، علما منه جل شانه ان الحقيقة ستتجلى لهؤلاء الضالين في ابهى مظاهرها وباسطع انوارها يوم تنسلخ ارواحهم عن اجسامهم لتقف بين يدي الخالد ، خالق الاكوان كلها وجميع ما عليها .

هناك في عليين سيعض الملحدون ايديهم حسرة وندما على ما حرموا انفسهم منه يوم كانوا فوق هذه الارض، ايمانهم بخالقهم وابتعادهم عن طريقه التي سلكها غيرهم . وسوف يكون ذلك الندم اقسى عقوبة للذكي المفكر الذي يجره ذكاؤه وتفكيره الى الضلال . سوف تنكشف لهم خطاياهم يوم يرونها على ضوء ذلك النور الذي يشع على حياة الخلود ، يوم تبدو لهم جنة الله تجري انهارا حليبا وعسلا ، ويرونها تزخر بثمار قد تكون كالثمار التي عرفوها فوق الارض . يومذاك سيرون ان حواسهم الخمسة التي كانوا يقيسون بها الاشياء قد انقلبت الى حالة واحدة تستمد منها الروح نعيمها كله .

وقد لا يترك المستر الان سلاتير الارض الا بعد ان يكون تلاميذه يبذرون ـ بعده ومن غيران يشعروا ـ الشك في نفوس اشخاص متوهمين وموهمين غيرهم انهم يسيرون على ضوء العلم الذي طالما اضل الارواح . ومن يدري ؟ فقد يكون ضلال البعض حجة على وجود الخالق . قد يكون زيغهم عن طريق الرشد بارادة من الله ليجعل منهم درسا وموعظة وتمييزا بين من يحسن ومن يسيء استعمال ما وهب البشر من ذكاء وعقل وتفكير .

اجل ان الله خالق الكون بارادته ، وليبقى الزمن الذي اراد له ان يبقى . ولكن ماساة العلماء في ارضنا انهم يريدون الارتفاع الى مرتبة علم الاله ، يريدون الكشف عن اسرار الحياة وهم ما يزالون عاجزين عن ايجاد علاج لنزلة شعبية عارضة . ان الله لينظر الينا في حنان وشفقة وهو يرانا نعذب انفسنا بانفسنا في تفكير لا يزيد اغلالنا الا اثقالا فوق اثقال . انا لنفزع حينما نفكر في تكاثر البشر ونجزع من المجاعة التي قد تواجه البشر في المستقبل لاننا ننسى او نتناسى ان البشر قد عاش فوق هذه الارض منذ مائة مليون سنة على الاقل ، قضاها كلها في التوالد والتكاثر . لقد عرفت الناس الحروب التي ابادت خلائق لا تعد ولا تحصى ولا شيء يدعو الى الاطمئنان بان هذه الحروب قد زالت او ستكون اقل فتكا بالارواح . وعرفت البشرية الامراض والاوبئة التي ابادت وما زالت تفتك وتبيد . فكيف يدعون اليوم الى تحديد نسل ياتي بارادة الله ولغاية من غاياته التي لا ندركها . كيف يراد تحديد نسل في عصر لا يمر فيه يوم دون حرب ومجازر ودون جرائم قتل فظيعة . يقولون ان العالم قد اصبح مهددا منذ 20 عاما بكارثة تكاثر السكان ، وانا لتوسع في اصلاح الاراضي واعدادها للزراعة لن يكفي لايجاد الغذاء الكافي لسكان هذه الكرة الارضية وهم لايزيدون اليوم عن مليارين اثنين ولكن عددهم سيرتفع بعد اربعين سنة الى سبع مليارات وبعد قرن الى 30 مليارا .

هذه احصاءات تزايد النسل التي يرعبنا بها العلماء ، ولكنهم ينسون أو يتناسون مرة اخرى وجود اله سيعين المؤمنين وغير المؤمنين منهم على ايجاد حل لهذه المشكلة وانقاذ عباده من الجوع .

قال لي الدكتور «اليكسى كاريل» وهو عامل شديد التدين والايمان يوم لقيته في «تريكولي» بمقاطعة بروطانيا من فرنسا : «مصدر مشاكل البشر انهم لايعرفون بعضهم البعض ؛ وفي اليوم الذي سيتعارفون فيه ستشتد قربهم الى الله فتنحل جميع مشاكلهم » .

الرباط ــ « بيير بوتي » . . .

العلــم . . . والجهــل

ان عقيدتي الثابتة هي ان العلم على اختلاف نواحيه هو الوسيلة الحقيقية لتطوير مجتمعنا ، والواقع انه بدون العلم تصبح كل الاحلام التي تجيش في صدورنا كسراب الصحراء . . . وهما لا وجود له .

ان العلم هو طريق الحرية الحقيقية والجهل هو اشد انواع العبودية .

جمال عبد الناصر



حملت هذه الرسالة هدية صديق لصديقه في طلعة العام الجديد ، ونظرا لاختلاف هذه الهدية عن الهدايا الاخرى ، ونظرا لما تحمله بين سطورها من سمو روحي كريم راينا أن نقدمها بدورنا لاصدقائنا القراء كهدية ثمينة تجعلنا ننتظر جميعا مع الكاتب الموعد المنتظر لتغلب الروح على المادة في مستهل القرن القادم ...

« دعوة الحق »

مهما كانت اعباء الزمن ثقيلة ، واوزار الايام جسيمة ومتعبة ، ومهما كانت تاثيرات الاحداث مرهقة وتفاعلاتها مضنية ، فانها لن تستطيع اطلاقا ان تحول دون تلك اللحظة الفاتنة تلك التي يلتقي فيها صديقان فجاة ، ولو بواسطة كتاب .. ولن تكون عائقا ابدا في ان اتناول القلم لاخط لك تحياتي ومتمنياتي بمناسبة السنة الميلادية الجديدة .

ولم تكن متمنياتي لك بالمال الوفير ، ولم تكن بالمسكن الفاخر والملبس الانيق والماكل اللذيذ ، ولم تكن ايضا بالمنصب الرفيع ..

وانما كانت متمنياتي لك هي السعادة الكاملة واللذة الدائمة الكامنتين في كنه اسرار الكون وبين طيات الوجود .. ولم تكن تلك السعادة ولا تلك اللذة ، غير ، هناءة الضمير وراحة البال ...

فهذه هديتي المتواضعة اليك ونحن على عتبة الزمن نستدبر سنة .. ونستقبل اخرى ، والعواصف تقصف في ارجاء العمر ، والاعوام المتناثرة تتساقط على الارض كاوراق الخريف الذابلة الفانية ولكن بغير براعيم تعقبها ولا اكمام تتلوها ، ولا ربيع يفتحها وينديها . .

هذه هي هديتي اليك في طلعة عام جديد ولربما تستصغر هذه الهدية المتواضعة ، غير انها هي اثمن ما لدي ، واغلى ما املك ، وافخر ما اعتز به .

اخي : ليتسابق الناس الى اقتناء النفائس المزركشة والجواهر البراقة والذهب المنحوت ، والماس المرصع ليقدمها الصديق لصديقه ، والقريب لقريبه ، ان هذه الهدايا جميعها لا تعدو في جوهرها ان تكون مجرد هدايا مادية ملفوفة في كلمات واهية ... لان المادة يا اخي مهما اضفى عليها (ماركس) من حلل علمية ومنطقية ومهما استطاع العلم التغلب عليها واخضاعها للعقل فانها في النهاية لابد لها من ان تنحدر بالقافلة البشرية الى بؤرة الحضارة الانسانية مهما حقق الانسان المستحيلات في عالم الحضارة المادية ، لان المادة تظل بمفردها كارادة سفلى في معزل تام عن الارادة العليا ، تلك التي كانت وستبقى دائما المصدر الوحيد للحضارات الروحية الخالدة .

لهذا كانت هديتي اليك غير هدايا الناس جميعا .

ولو قدر لهذه الرسالة ان تحفظ في سجل مذكراتك الى ما بعد 40 سنة ، حيث تكون البشرية قد استطاعت الخلاص من اغلال المادة – اي بعد الاهتداء بواسطتها الى الحياة التي تستحق ان يعيش الانسان من اجلها – وتكون هذه الحياة قد استفادت من مؤثرات وتفاعلات المادة لتقويم مفاهيم القيم وابراز مدلولها الحقيقي في حياة الافراد والمجتمعات ، اي يوم تستطيع قافلة البشرية ان تحيا من جديد – بعد أن هدها المد والجزر – وقد تخلصت من (القلق) لتعيش امام الحياة .. والحرية سواء .

لو قدر لنا يا اخي ان نعيش الى ما بعد اربعين سنة ، وقدر لهذه الرسالة الا تنالها عوامل البلى ، فستكون خير شاهد على ان تخميناتنا بان عصر المادة اسهم بنصيب وافر في اشراقة الروح من جديد كانت صادقة لحد بعيد ... واخيرا اصافحكم بحرارة ولرسالتنا الانسانية الخلود ... والى اللقاء .

عبدالله السعداني



...**وذات** صباح من مقتبل الربيع انطلقت فراشة بيضاء الجناحين كالياسمين ، في جيدها جوهرة ، لها عينان خضروان ضياؤهما من قمر ، وبخفين ازرقين ، كتلكم الاخفاف الحريرية ، التي يرفقن بها الراقصات في انسياب مجنح ، تطير فيه الاقدام ، أكثر مما تمس الارض ...

انطلقت كاطفال الملائكة ، تنساب خلال الزهر ، والمسارب المشجرة ، ومتسلق النبت العميم ، وكانت غشاوة من الانداء المتبخرة تتماوج كالاطياف الحالمة ، هناك اتخذت الفراشة سبيلها الى النور ، فيما وجدت من راحة الانتشار ، بين تلك الخيوط المتفضفة من الشمس ، وبين الظلال ، وهناك تهاوت هكذا ، كورقة ضائعة ، من خريف ، بما تساقط على جناحيها من الرذاذ ها هو فارسها الجميل ، من مملكة الفراشات يخف لاسعافها ، ويمدد قدميها للشمس ، ليشع الدفء فيهما وهذه احدى وصيفاتها ، وتدعى « زهرة القمر » تحضر قطرات الدفء ، من عطر يدعى « عطر الصيف » اتت تحمله في زهرة الاجراس ، وافرغته حبات وضيئة ، منهمرة على قدميها المتصلبتين ، لان هذا اول ايام الربيع ، وستشقى الاميرة البيضاء اذا هي لم تشارك في سيمفونية الربيع ، بالرقص على اطراف قدميها ، فوق البحرية .

وكانت انفاس الربيع تسري هائمة ، لا تفتر عن الهبوب طرفة عين ، فتشعر كل شيء بوجودها ، حين استيقظت الفراشة ، ودفء الحياة المتوردة يسري في قدميها ، وقالت :

— « الا ليت لي صدرا واسعا ، اذن لطويته على كل نسمة تعبر هذا السهل ، ولكن هذه الغشاوة الا تزال منتشرة ؟ انني بحاجة الى الرقص ، فالراقصة تشقى اذا هي كفت عن الرقص ، كذلك الطيور الطليقة ينال منها الحزن ، ان سجنت في الاقفاص ، آه ! لشد ما أكره ان اكون زاحفة كالديدان ، ثم انطلق صوتها يتعالى بالانشاد :

في قلبي فرحة هائلة
سأقولها للربيع
لذا اتوق لرؤياه

مكان عرض سيمفونية الربيع :

الزمان الان وقت الضحى ، والاشعاع لا يزال فاترا موردا ، روابي مخضرة ، هنا وهناك ، وزهور نضرة ، غارقة في شعاع الشمس ، فهناك القرنفل الاحمر ، والابيض ، والنرجس ، والسوسن ، والاقحوان ، والزنبق ، والنسرين ، وزهر اللؤلؤ ، والفل ، والورود الذهبية والبيضاء والحمراء ، وزهور « الداليا » و « الجلاديولن » و « الاوركيديا » و « الارذيون » ومن وراء ذلك تتعالى ذرى الجبال ، المجللة بالغاب ، وبكل روعة وجمال وفي اعماق الوادي تتلالا امواج البحرية ، كلؤلؤة من الندى الازرق ، وقد استغرقت على وجهها زهور « الينوفار » كانها تفكر ، او تتمنى ، ومن حين لاخر ، يرتعش ورقها المشرع، كلما هزته اطواق متلاحقة من هادىء الامواج ..

كما تقوم في وسطها استراحة ذات أعمدة من المرمر الابيض ، تعلوها قبة بيضاء ، تحوم وترفرف فوقها اسراب الطيور .

اما افراد « الاوركسترا » من مختلف اجناس الطيور ، فقد تجمعوا فوق اعالي الاغصان ، هذه فرقة البلابل المصرية، ثم هم جميلون حقا في لباس التشريفات قبعة عالية ، وسوداء من الوبر ، وسترة رمادية في ذيلها سواد ، وهذه طيور الكنار في ريشها الاصفر المشبع بالبياض ، وبصفاء تفريدها ، اشبه بجموع صغار المنشدين في المعابد الدينية ، لهم جميعا تفريد سماوي مصفى ، له سيولة ممددة كانغام الكمان ، وهذا هو الاخ البوم في صمته الرهيب ، المنبعث من عينيه الواسعتين ، التي ادخل في روعنا انهما نذير شؤم في الظلام .

وبين الحشائش الندية بجانب البحيرة جثم الاخ الضفدع بردائه الاخضر القاتم، وبودجيه المنتفختين وقد وضع على عينيه البليدتين نظارة امريكية لـيتمكن من متابعة قراءة « النوتة » قراءة صحيحة ، حتى لا يحدث نشاز في تقسيم الانغام في سيمفونية الربيع ، لضعف ذاكرته ، وللحشرجة التي كثيرا ما تاخذ بخناق صوته ، ولا يكون له قبل بتلافيها . ان توقيع الضفدع له وقع جميل ولهذا لا يجمل بنا ان نحط من قيمة صوته، ومشاركته ببوق النفخ في التقسيم العام ، فلكل شيء جماله ، ولو كان في عرفنا العقيم معدودا في جانب القبح .

لقد انجلت الان غشاوة الضباب ، فظهرت البحيرة غارقة في شعاع بنفسجي ، اتيا من فجوات الجبال ، والظلال ، واخذ يتساقط على وردة جميلة حمراء ، كان وريقها المطبق ، ينفرج شيئا فشيئا ، الى ان ظهرت من خلاله الاميرة الفراشة البيضاء ، في وضع يعبر عن « الحب الخاضع » خاشعة الراس ، في اتجاه ما انثنى من ركبتها اليمنى ، ويديها مسبلتين على طرف قدمها ، اما القدم اليسرى فمنثنية الى الخلف ، ها هي الآن اخذت تتمدد الى اعلا ، كابخرة سحرية ، تتلوى في ضوء القمر ، ومن استمع الى افتتاحية « توكاتا » لـ « جوهان باخ » فانه سيعلم اية انغام كانت الاميرة البيضاء تساير ايقاعها ، وانسابت ـ ومن ورائها اسراب الفراشات الملونة ـ الى ان لامست بطرف قدميها وجه البحيرة ، وانطلقت فوقها ، ما تكاد تلمس الماء « كان في قدميها اجنحة ، وفي ذراعيها اجنحة » وانطلق اليها اجمل الفرسان من الفراشات ، رافعا شماله ، ويمينه على قلبه ، كما كان يفعل « كاروزو » مغني الابرا ، في ايام مجده الخالدة ، وانطلق يغني :

في قلبي حب يدفعني الى الغناء
لان هذا هو الحب
لا يطيق الخفاء

فتجيبه الاميرة :

هذه لحظة لنا فيها رغبة واحدة
هذا الربيع لنا فيه امل واحد
ان نتحابا بلا افتراق

فيجاوبها فارسها الامير :

فلك بابتهاج صوت من قلبي
فيه حرارة الشوق والدموع
وفي سبيل الاشادة بجمالك
اترنم بصوتي
لان هذا الحب
لا يطيق الخفاء

صوت الاميرة :

فكن يا حبيبي موضع حبي
ولا تفقدني أمل قلبي
هذا قلبي مريض
ونشفيه قريبا من حبك
فبربك اذكر موعدي
فهو فرحة قلبي
وضم راسك لصدري
ودعني اشعر بقربك مني
وليكن بعد ما يكون
ما دمت بالقرب مني
ويمينك تعانقني

ومرة اخرى ترتفع اصوات الجمع العظيم « بسيمفونية الربيع »:

هذا وادينا اخضر اللون
مفعما بالزهور !
والسرو المنشور من سفح لواد
لن يروعك فيه عش مهجور
رب ؟ نضر مرابعه بالندى
واكس بالخضرة ، ما يجرد الشتا
يا الاه النور ، والجمال .

*

غدا السحاب موردا في المغيب
وارتفع الناي فانطلق القطيع
فلنطر يا رفاق للعش الدفيء
ولنسبل بلا حذر جفوننا
اعلى فاعلى الى القمة
الى عرش الشجر المنضور
فقد هامت اهوال الغيم مثقلة بالظلام
وثوى الزورق المكدود مطوى الشراع
فلنطر يا رفاق للعش الدفيء
ولنسبل بلا حذر جفوننا

*

وحينما يثير الفجر المروج
حينما تبدأ الاصداء ، ولا تموج
سنرشف رحيقا من زهر مطلول
لترسل الغناء بنفس يسيل
فرحا بالضياء ، فرحا بالربيع

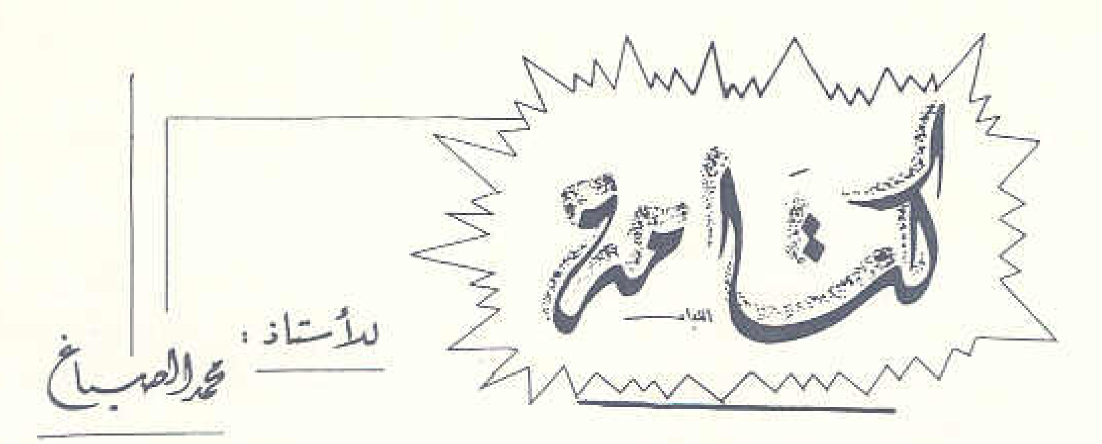
ومرة اخرى تنطلق الاميرة البيضاء ، فتلثم وجوه الزهر ، وتشم رائحتها وترف هنا ، وهناك ، تريد ان ترى كل شيء ، وتمتلك كل شيء ، لان عمر الفراشة قصير ، كحياة الزهرة هذه اللحظة قد تكون نهاية بدايتها ، فالطيور الشرسة تترصد لتنقض عليها، والاشقياء من صغار الاطفال كذلك يفعلون ، وهكذا استنفدت الفراشة البيضاء ما في اعماقها من اشواق ، وسرور الى ان ظهر موكب الشمس ، في تلك العربة الذهبية ، وهي مشرفة نحو منحدر المغيب ، نحو تلك الزرقة المتصلة ، بين البحر والسماء ، وكانت البقع السوداء ، والبيضاء ، تنساب فوق وجه البحرية ، كسفن شراعية رومانية ، مبيضة القلاع ، وكان المغيب متوهجا بحمرة مذهبة ، كما لو كان هناك حريق هائل يندلع في غاب مشتجرة ، وكانت السحب الملونة تتجمع في المغيب ، آتية من الشرق ، تسري في سكون كمراكب شراعية تمخر العباب ، وكوديان عميقة الاغوار ، وشواطيء متعرجة ، يتكسر الزبد المشرق على صخورها وكقطعان من الغنم ، منفوشة الفراء ....

وشيئا فشيئا تجمعت الظلمة ، وسكن كل شيء.

باريس ــ عبد القادر السميحي

احياء اوبرات موزارت بعد مائتي عام

مثلت اوبرات موزارت الخالدة : « اسكانيو ان اكبا » التي مثلت في مدينة ميلانو عام 1761 ، لاول مرة بمناسبة زفاف الارشيدوق فرديناند الى ابنة دوق مودينا . وستمثل قريبا للمرة الثانية ــ بعد مرور مائتي عام تقريبا ــ وذلك في نفس المدينة التي كانت قد مثلت فيها للمرة الاولى .



للأستاذ : محمد الصباغ

يـاكـاف يمر بالذهن فيكتسي الخيال بالثلج ، وتاء تكتب فينزلق القلم فى الملاعب والمنحدرات ، والف يصور فيعشوشب بالظل . اما الميم والتاء : فموجة ومجداف يقلعان بك الى مرافيء الازل وشرفاته .

يا كاتمة اسرار البحار فى اغصان ثلجك ، وبائحة بما فى صدر التراب من منابعك ، وناقشة نجوى الخضرة على سكينة نسيمك فى نجوة من الرياح والقلــق ، وفى اعتناق ابدي مع السلام والفرح .

على جذوع ارزك يقيس الهواء طولـه فيجـده قصيرا ، وقصيرا جدا كنظرة البنفسج ، وفى جذورهـا يتغلغل الابد ، فيتيه ، فيضيع ، فيغرق فى رماد الظلام، وعلى اغصانك يغفو النسيم كجدائل من اريج ، فيحلم بحديقاته الفراشات تهدهده ، وتداعبـه ، وتوشـي اظفاره وشفاهه بالوانها .

اخطو ، وكاني على القطن اخطو ، او فى اراجيح من السكينة اطيش ، حبالها علقت فى اقراط النجوم ، وخلفي وامامي ، وعن يميني وشمالـي ، مظاهـرات ومظاهرات من أشجار الارز : من صبايا وصبيان عمرهم سبعة او عشرة اغصان ، من فتيات وفتيان ، من شيوخ وكهول يمشون ، وعلى ظلالهم الشائبة يتكئون .

مظاهرات هنا وهناك ، وكلها تمشي صامتـة ، وتقف صامتة ، وتصيح صامتة ، وفى صمتها الاخضر اليانع الطويل ، نداء السلام والامل والجمال .

كلما وقع اصبعي على حجر ، او صخر ، او تراب ، الا وتفجر الماء من حولـي ينابيـع مـن ذوب التمـر ، والبرتقال ، والاعناب ، حتى احسبني وقد ارتويت ، قصبة سكر ، وكلما جال بصري وتخطى تائهات المدى، وتسلق فى شفافية الصفاء السماوي ، الا ورايت من خلاله منابت الكون ، ومهود الوجود :

فصول تحبو ، وبحار ترضع ، وجبال تتكـور ، واودية تنشق ، وسهول تنبسط ، وكواكب ونجـوم تشتعل فتتالق ، وامم وشعوب تتنفس فتولد .

ويعود بصري من سمائك المنفوشة مبللا بدمع الجلال والخشوع فارى :

الخرفان والحملان ـ على وجه سهلك وكانهـا وشمات من الياف الصوف ـ ترعى وتقضم اعشـاب الثلج آونة ، وآونة اخرى تتسلق الى اغصــان ارزك لترتوي من معين النجوم ، فتغدو طيورا مــن فضــة وحرير .

من عمر الشوق ، وبياض النجوى ، واحمـرار الهوى كونت ، فكان للجمال فيك تكبيرة للصلاة :

الله اكبــر . . .



منظر جميل من مناظر مصيف كتامة الذي يبعد عن تطوان بنحو 160 كلم





الغلاة الاستعماريون الفرنسيون ضد الجنرال دوكول

للاستاذ الفاضل صاحب الامضاء

في اواخر شهر دجنبر سنة 1959 واثناء الشهر الماضي ، اشتدت وتكاثرت عمليات الفداء في الجزائر العاصمة وضواحيها خاصة وفي جميع القطر الجزائري بصفة عامة فتكاثر عدد الموتى والجرحى بين صفوف المستعمرين والجيش الاستعماري وعظمت الخسائر المادية والمالية ، فما معنى هذا « الانفجار » الجديد وما هي نتائجه السياسية ؟

ربما نكون مبالغين اذا ما سمينا هذه العمليات بالانفجار واذا ما اعطيناها الاهمية التي ارادت الصحافة العالمية ان تكسبها بها .

فالعمليات الحربية التي يقوم بها جيش التحرير الجزائري سواء في المدن او في البوادي والجبال لم تفتأ تزيد اهميتها يوما بعد يوم منذ اندلعت الثورة الجزائرية في فاتح نوفمبر سنة 1954 .

نعم قد يعتري هذه العمليات احيانا – وقد يكون ذلك مدة شهور عديدة – فتور ولربما ضعف يرجع سببه للظروف الصعبة الشاذة التي تعيش فيها الثورة الجزائرية ؛ ولكن الفترات – وان تكاثرت وخصوصا في المدة الاخيرة – لم تنل شيئا من حيوية الثورة الجزائرية ولا من ايمان المجاهدين وصبرهم ومصابرتهم فالثورة الجزائرية في هذا مثل جميع الثورات التي سبقتها منذ وجد الانسان ووجدت الثورات .

فالثورة الجزائرية حية وظهورها بالضعف والفتور احيانا لن يثنيها عن عزمها ولا عن بلوغ هدفها .

والفتور الذي اكتست به اثناء سنة 1959 هو الذي جعل الصحافة العالمية تعطي اهمية كبرى للاحداث الفدائية التي وقعت اخيرا .

ونحن اذ نشير الى هذه الظاهرة لا نريد بذلك ان ننقص من اهمية هذه الاحداث التي ان دلت على شيء فانما تدل على شجاعة المجاهدين الجزائريين ونفسهم العميق .

ولكن الشيء الذي يلفت انظارنا هو ان هذه الاحداث كانت فرصة ووسيلة لبعض الاوساط الاستعمارية المدنية والعسكرية في الجزائر لتبني دعاية واسعة حول الخطر الذي يهدد مطامحها وفي زعمها مطامح الجزائر الفرنسية كما تدعي .

فلقد راينا اجتماعات الاحزاب الرجعية الملتفة حول مبادىء ثورة 13 ماي 1958 ضد الجمهورية الفرنسية الرابعة ، راينا هذه الاجتماعات تتكاثر وتصوت اخيرا على ملتمسات تستنكر فيها السياسة التي يريد الجنرال دوكول ان يسلكها في الجزائر منذ ان اعلن عن تقرير مصير الجزائريين في 16 نوفمبر الاخير .

فكانت الاحداث الفدائية الاخيرة ذرعا لتهييج شعور المدنيين الفرنسيين ، ضد السياسة الجديدة للجنرال دوكول ، وكانت من جهة اخرى مبررا لاثارة عواطف الدفاع عن النفس امام الخطر الذي يهدد كل فرنسي في كيانه الذاتي وثروته الشخصية كما تصوره لهم الدعاية المغرية .

وشان المستعمرين بالجزائر فى هذا شانهم الذي تبدناه كلما احسوا بان حكومتهم تعتزم القيام بسياسة جديدة تتنافى مع المحافظة على امتيازاتهم القديمة ، فلقد ثاروا منذ سنة 1954 مرتين ضد حكومة باريس ونجحوا فيهما تماما ، فالاولى هي ثورتهم ضد الجنرال « كاترو » فى الجزائر من طرف الم جي مولي فى 6 فبراير 1956 ، والثانية هي ثورتهم ضد الجمهورية الرابعة فى 13 ماي 1958 وتنصيب الجنرال دوكول . واخيرا راينا حركاتهم المختلفة تثير هيجانا كبيرا حول اشتداد عمليات الفداء فى العاصمة الفرنسية مما ادى بالجنرال دوكول الى ان يتخذ تدابير صارمة بالنسبة لما اقتناه من الساسة الفرنسيين ، فقد عزل الجنرال ماسو ــ وهو من قادة المستعمرين الفلاة ــ من منصبه العسكري بالعاصمة الجزائرية ومنعه من الرجوع الى هذه المدينة كما منع من ناحية اخرى الم جورج بيدو ــ وهو ايضا من قادة المستعمرين الفلاة فى الميدان السياسي ــ من الدخول الى الجزائر .

ولقد زاد بهذا غضب المستعمرين فى الجزائر واشتد غيضهم ولم يجدوا بدا من القيام بثورة ثالثة ضد حكومة باريس والجنرال دوكول فنزلوا الى شوارع العاصمة الجزائرية وتحصنوا وراء حواجز نصبوها ضد الجيش الفرنسي .

فهل تنجح ثورتهم هذه كما نجحت الاولى والثانية ؟ وهل يلين الجنرال دوكول وينثني عن عزمه فى مهمته كما فشل قبله جي مولي والجمهورية الرابعة؟

ان هذه المرحلة تعد مرحلة حاسمة فى تطور السياسة الفرنسية ، فاما ان ينجح الجنرال دوكول فتنفتح امامه الابواب ويمضي قدما فى تطبيق سياسته الجديدة التي ترمي الى اعطاء حق تقرير المصير للجزائريين ، واما ان يفشل الجنرال وينتصر الفلاة الاستعماريون فتكون الفلبة حينذاك للرجعية الفاشستية ، وتندلع اثرها حرب مدنية فى فرنسا .

والظاهر ان الجنرال دوكول ابدى عزمه فى المدة الاخيرة على متابعة سياسته وتحطيم المستعمرين الفلاة ، فلقد صرح اخيرا لاحد النواب الجزائريين الذي جاء ليقول له : « ليس فى الجزائر الا الاختيار بين سياستين اثنتين اما الاندماج واما الاستقلال » صرح بانه يرى بان الخطة التى يريد تطبيقها فى الجزائر خطة رشيدة جدا . .

ومن جهة اخرى فاننا نرى الجيش الفرنسي قد بقي حتى الآن يخضع لاوامر الحكومة الفرنسية الشيء الذي يغيظ الاستعماريين ويدخل فى قلوبهم الكثير من الفزع ؛ فالجيش الفرنسي اصبح منذ انتهاء الحرب فى الهند الصينية كحزب سياسي قوي يدعم مبادئه بالقوة وهو الذي سدد الضربة للجمهورية الرابعة بعد ثورة 13 ماي 1958 ، فهو اذن الحاكم فى كل خلاف نشا بين الفرنسيين ، وتبعيته للحكومة يجعل الفلبة لهذه الاخيرة . ان الجيش الفرنسي هيكل عظيم ولهذا فهو يرى من الضروري ان يلتف حول الجنرال دوكول واذا تخلى عن هذه الضرورة فان هيكله سينحل وتذهب قوته اجزاء ممزقة .

فالجنرال دوكول اذن تساعده الظروف فى خلافه مع الفرنسيين الفلاة بالجزائر وستساعده اكثر فاكثر ان ساعده ايمانه وعزمه .

ومما يجدر بالذكر ان موقف الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وتصريح سيادة الرئيس فرحات عباس حول رغبة حكومته فى التفاوض على اساس تقرير المصير كان موقفا ايجابيا حكيما اذ اظهر للعالم اجمع ــ وللفرنسيين انفسهم ــ ان نوايا الجنرال دوكول ــ وان كانت حسنة ــ لا تكفي وان الذي يحول بينها وبين تحقيقها ليس هو جبهة التحرير الوطني وانما هو تصلب الفلاة الاستعماريين الجزائريين الذين لا يكونون خطرا دائما على الجزائر فقط ولكن على فرنسا ايضا وبالتالي على جميع اقطار المغرب العربي .

أبو زهير



هبت اليك الوفود العرب هاتفة

للأستاذ الشاعر: عبد الرحمن الدكالي

اثناء الزيارة الكريمة التي قام بها مولانا صاحب الجلالة محمد الخامس نصره الله للمملكة العربية السعودية الشقيقة القى الشاعران المغربيان الاستاذان عبد الرحمن الدكالي وعلي الصقلي امام العاهلين العربيين العظيمين هذه القصيدة والقصيدة التي تليها اللذين نقدمهما اليوم لقرائنا الاعزاء:

دعوة الحق

الله اكبر شمل العرب ملتئم ... ايقظة مايراه الناس ام حلم

الله يشهد ماشعري بواصفه ... هذا مقام على الافكار ينعجم

هوى ترامت به الايام تبعده ... وحققته لنا الاعمال والهمم

بالامس في عزلة كنا وفي السأم ... واليوم لاعزلة تدمي ولا السأم

ما اقدر الله ان يرعى وشيجتنا ... وان يؤلفنا وتحفظ الذمم

بني العروبة كان الدهر متقبضا ... اما تراه بهذا الوصل يبتسم ؟

اليوم قد ظهر الاسلام مبتهجا ... وهشت الروضة الفيحاء والحرم

ملكان ضمهما الاسلام في كنف ... حواهما الدين والاخلاق والشيم

ملك الجزيرة ملك المغرب اجتمعا ... اعظم بما تم للاسلام بينهم

هما الحقيقة عن شعبين قد كتبا ... عهد الوفاء امام الله يلتزم

ففي «الرباط» بدا ماكان منتظرا   وفي «الرياض» نما والله غرسهم
هذي الرياض التي يجري الجمان بها   والدر في عنق الحسناء ينتظم
هذي الجزيرة منها كان مبعثنا   لله غار حرا للمسلمين قسم
منه الهداية للانسان قد خرجت   فمات تحت سناها الشرك والظلم
اقرا « محمد » تلك فيك معجزة   ما انت بالوحي اذ تمليه متهم
ادع العباد الى توحيد خالقهم   لا النار تجديهم نفعا ولا الصنم
بلغ رسالتك العظمى وحجتنا   على العباد بقاء الوحي عندهم

هذي الجزيرة هذا من تدين له   هذا الامام التقي العادل الحكم
هذا المليك سعود من به سعدت   ارض الجزيرة لا ظلم ولا جرم
السجن في العام لايرى سوى عدد   خمسون او دونه ان عد كلهم
لن يستحل حماها الجذب يقتلها   ايامها « بسعود » اشهر حرم
سل الجزيرة كم اسدى لها كرما   يجبك كل مكان انه الكرم
وكيف صارت يد الاصلاح تبرزها   عروسة لبني الاسلام تستلم
في كل ركن بيوت الله قائمة   ورحمة الله في ارجائها ديم
الدين لاشيء غير الدين يعصمنا   من كل شر اذا الاهواء تحتدم
اذا علوت الصفا فاشهد بما عملت   يداه في السعي والالاف تزدحم
واذكر كما ذكر الحجاج امنهم   وكيف صارت حقوق الناس تحترم

ابا الجزيرة خير القول اصدقه   انت ابن عبد العزيز المصلح العلم
شددت ازرك في تدبير مملكة   بفيصل هكذا يستوجب الرحم
اعزز به من اخ ومن امير هدى   ولي عهدك من يعنو له القلم
سياسة ودهاء واعتزاز اخ   بصنوه هاكذا آل السعود نمو
ابا الجزيرة ارض الله آمنة   لاتشتكي فاقة فيها ولا يتم
ابا الجزيرة ان العرب قاطبة   والمسلمين وهم في العالمين هم
يرون مشرقهم قد ضم مغربهم   ان العروبة والاسلام تنسجم
فليشهد العالم الغربي وحدتنا   واننا بجبال الضاد نعتصم
وان وحدتنا في الراي قائمة   وان سور الفراق اليوم ينهدم
بحت حناجرنا في كل ما بلد   تحيي العروبة والاخلاق والقيم
الاتحاد به نرضى مطامحنا   والاتحاد به قد سادت الامم

الصلح بين بني الاسلام اثبته   قرءاننا وبه الايمان يتم
للعرب جامعة ضمت مصالحهم   شمل العروبة فيها كان ينتظم
لكن مشاكلنا تحتاج تقوية   لهياة ليس بعد اليوم تنقسم
لا ريب أن امام العرب مرحلة   تدعو الى خطة ترعى وتلتزم
اذا وقفنا صفوفا فى مشاكلنا   حلت وعاد عدو العرب ينهزم

ابا الجزيرة هذا من عرفت اخا   والحب بينكما فى الله يقتسم
دعى العروبة لاستقبال جامعة   اقوى قرابهم فعل اذا عزموا
ما قوة العرب الا فى قضائهم   على الدسائس والاغراض بينهم
يد الاجانب فى تشتيت شملهم   « شلت » بكل ضروب المكر تنتقم
العرب بينهم الفصحى تؤلفهم   ولا يحكم فى امر لهم عجم
لاتطمئن نفوس العرب تحت سما   حتى يعود لهم فى الارض مجدهم
تبكى فلسطين ارض الانبياء دما   آه لها حل فيها الظالم الاثم
الله كم لقيت منهم حرائرها   واهلها شردوا منها وما رحموا
وفى الجزائر ارض العرب مذبحة   الله يشهد أن الحق يهتضم
ين احترام حقوق الناس ؟ مهزلة   ما يدعى عندهم والغاصبون هم
قالوا جزائرنا وارثنا ولنا   وما لهم قدم فيها ولا قدم
هي الشقيقة فى ءالام محنتها   وقيمة الامل المنشود فيها دم
تلك الجزائر ارض الاسد غاضبة   قد خضبت بدم كالمسك يشتم
كم من يتيم بها يبكي فراق اب   اماه اين ابي اصابه العدم
المسلمون بكم يستنجدون لهم   وانتم أن سئلتم قلتم نعم
بالله كل دعاء المسلمين لكم   اذا دعى المسلمون الله ربهم

مولاي يامك الاقصى وقائده   شوق الجزيرة شوق دونه الكلم
هبت اليك الوف العرب هاتفة   : لقياك فى أرضنا فى طيها نعم
مولاي كم وقفة لله واضحة   وقفتها ثابتا ما زلت القدم
مضت ثلاثون عاما لم تذق سنة   الله يشهد والاملاك والامم
ما نال منك عدو رغم قوته   وانت بالله لا بالناس تعتصم
ايقظت مغربك الاقصى وقلت لة   : الاسد تغلبها الذوبان والرقم
شعبي اريد له استقلاله وغدا   ينال ما ارتجي ويرفع العلم

كم شدت للعلم من بنيان معرفة ... والعلم عندك ملحوظ ومحترم

اذا استنارت عقول الشعب انت لها ... شمس بها اشرقت وابيضت العتم

مولاي اني هنا ارنو الى حسن ... ولي عهدك ذاك الصارم الخذم

ان انس لست بناس قوله ابدا ... الحر عار عليه الضعف والسأم

ان انس لست بناس قوله ابدا ... حبي لشعبي حب ليس ينفصم

انـي لأومن ان الحق منتصر ... مهما استبدوا بنا وطال ظلمهم

أرضى العذاب ولا ارضى مذلتهم ... حياة شعبي هي الروح والنسم

واسرة الملك عبد الله غرتها ... فدون همته الاطواد والقمم

انا لنذكر والذكرى لنا عظة ... لما نفيت وثار الحقد تضطرم

تفدي بنفسك شعبا انت صانعه ... فلا يهولك لا موت ولا عدم

ضحيت بالعرش لا عرش ولا ولد ... ولا قصور ولا جاه ولا حشم

وهز نفيك شعبا كان مضطهدا ... وثار ثورته واشتدت الحزم

« مازال يجحدها قوم وينكرها ... حتى اقروا وفى ءانافهم رغم »

دعاء شعبك يطوي الارض ملتقيا ... مع ابتهالك اذ تدعو وتستلم

لله عمرتكم اذ تحرمون بها ... ترضون دينكم ترضون ربكم

يا مشرق العرب يا امام مغربه ... هنا تناشدنا الانساب والرحم

هنا الربوع التي كان الرسول بها ... يدعو لامته والقرب مغتنم

هنا استجيب له واعتز جانبه ... وجاءه عمر بالدين يعتصم

وقال انت احب الناس كلهم ... الي ياخير خلق الله كلهم

هنا اتته من الرحمن حجته ... وانزل الله وحيا ليس ينكتم

صلى الاله عليه كلما ذكرت ... اسماؤه وبها فى القول اختتم

تضحية مثالية ..

هانت علينا التضحية بسعادة اسرتنا الصغيرة ، ولم تهن علينا ـ ولن تهون ـ التضحية بسعادة اسرتنا الكبيرة .

محمد الخامس

بوركت يايوم العروبة عيدا !

للأستاذ الشاعر علي الصقلي

هز الوجود ترنما ونشيدا ... واسكب بسمع الخافقين قصيدا
وادر حميا الشعر حتى لاترى ... الا فتى برحيقها عربيدا
هات القوافي كالكواعب خردا ... وانظم ثناءك كالجمان عقودا
اوليس هذا اليوم ان قيست به ... ايامنا تاجا لها معقودا
رفت على هذا الوجود غلائلا ... ذهبية انواره وبرودا
وصحا الزمان على صدى متردد ... بوركت يايوم العروبة عيدا :
فاهتز مسحورا وساءل نفسه : ... ايعيش عهد شبابه مردودا ؟ ؟
يوم سبى التاريخ باذخ مجده ... فسعى اليه مطأطئا تمجيدا
بابي وروحي لحظة من عمره ... كالدر في جيد الزمان نضيدا
جمعت على شوق تأجج ناره ... بين الضلوع محمدا وسعودا
نحوت الى فضل وشامخ سؤدد ... مجدا يتيه على السماك وجودا

* * *

ياجار بيت الله تربك في العلى ... وافى يجدد للولاء عهودا
حب حداه الى جنابك لم يكن ... الا كقاعدة الصفاة وطيدا
والحب ان يصدق فدونك في الحشا ... ـ ان شئت ـ برهانا عليه شهيدا
وافاك كالبدر الاتم تألقا ... والغيث فضلا ، والربيع ورودا
اكرم باشرف من سعى لك وافدا ... ياخير موفود اليه وجودا
لله من ملكين ظل كلاهما ... في دوحة المجد الرفيع فريدا
لم يبخسا لبني نزار ويعرب ... حقا لهم في سؤدد معهودا
قادا الى أوج العلى شعبيهما ... لاهول عاقهما ولا تهديدا
العرب حولهما لسان ناطق ... بالشكر أضحى مبدئا ومعيدا

* * *

ياداعيين الى التوحد امة ... لم تألواها ـ انتما ـ تسويدا
لبيكما انا لشعب واحد ... يبقى ـ اذا بقي الاخاء ـ عتيدا
عودتماه الجد في طلب العلى ... ففدا لذاك مسهدا تسهيدا
يهفو الى غده الذي آليتما ... باسم العروبة ان يكون سعيدا

ويتوق للنصر الذي سيعيده   حتما كما قد كان قبل — مجيدا
هذى منى كالزهر فى كفيكما   لم ترض فى حقل الحياة خمودا
ان التوحد للعروبة غاية   لم تدخر لبلوغها مجهودا
وكفى بانا خير امة اخرجت   للناس وعدا صادقا ووعيدا
الضاد والاسلام شدا ازرها   شدا ، وزادا ركنها توطيدا
أفهل نقر حواجزا موهومة   — ظلت تمزق شملنا — وحدودا ؟ ؟
باللرجال لفلسطين وللجزا   ئر سيمتا خسفا امر شديدا
اواه من ظلم اصاب بنيهما   لم يخط شيخا او يضل وليدا
لكانما — ثم — الحرائر لم تكن   يوما تمايس ناعمات غيدا
وكانما الاحرار فى اغلالهم   يلقون فى سوق النخاس عبيدا
حتام ينتهك العدى ذاك الحمى ؟   والام حرب لايريم مبيدا ؟
اخنى على الاسلام فى تلك الربى   وعلى العروبة لم يزل موقودا
فاليكما يلقى مقاليد الرجا   شعبان ظل كلاهما مصفودا
تالله ما ان ضاع حق انتما   لم تبخسا طلابه تأييدا
وكلاكما لم توه من عزماته   نوب بلا اهوالها صنديدا
حسب الشجاع اذا سعى لعظيمة   ان يستجيب لقلبه ويريدا

* * *

ياحارس الحرمين حسبك رفعة   عند الاله ومنزلا محمودا
اولاك فضلا ليس يدرك شؤوه   لما احلك بيته المقصودا
وحباك من فيض لديه عوارفا   تجري كزمزم كوثرا مورودا
شرف لعمرى لا يقاس وهمة   يصبى الحواضر سرها والبيدا
لو قلت : يا اسد الجزيرة خلتنى   فى مثل بأسك لا اصيب اسودا
يا ابن الالى خفروا الحطيم ومهدوا   للامن فى جنباته تمهيدا
ما بين مروة والصفا وعلى منى   وقفوا حصونا دونها وسدودا
عرفات تعرف سر ذاك وانه   كالصبح لا شكا ولا تفنيدا
شادوا على الاصلاح ملكا لم يكن   من قبل دولتهم عليه مشيدا
صيد ولست بواجد فى قدرهم   — الا كآباء ابن يوسف — صيدا
عبد العزيز وانت وارث سره   رايا وعزما صادقا وصمودا
ابلى فلم يلن البلاء قناته   كلا ولا رضيت علاه قيودا
لم يخش بيت الله الا ذائدا   عن حوضه يرعى به التوحيدا
كالليث خاض الى العلى غمر الوغى   لا واهنا ابدا ولا رعديدا
وربى على سنن الفضيلة والتقى   شعبا واحيى حقه الموؤودا
هذا ابوك الشهم فاحمل سره   قبسا لتقتفي الطريق رشيدا
يامن أرى العليا تهز لذكره   اعطافها ، لم تاله ترديدا
انى بمثلك انت غير محمد   من عز اصلابا وطاب جدودا

هو ذلك البطل الذي ضرب الورى ... بابائه مثلا أعز شرودا
وتغنت الدنيا بمجد كفاحه ... اذ خاض وغشاء الكفاح حديدا
الفى مع الذل الحياة رخيصة ... والملك اتفه ، والسرير زهيدا
فاشاح عن عرش اسير مؤثرا ... بالعرش منفى قد ثواه شريدا
شمم على الاحرار عز نظيره ... وترفع كالشمس ظل وحيدا
اسرى له ذكرا كانفاس الشذا ... متصبيا بيض الورى والسودا
سل عنه شعبا فى مراكش سيدا ... لولا عزائمه لظل مسودا
ياحاديا قف عند يثرب ولتلك ... حبا اليها بالسلام بعيدا
واذكر هنالك عند قبر محمد ... اما غشيت جنابه الموروردا
دنفا طحا بفؤاده برح الجوى ... ايقيم فى اسر الغرام عميدا
هل من سبيل ان يبل غليله ... وينال فوزا بالوصال جديدا
ياقلب ذب وجدا وفرط صبابة ... ياشوق زد بين الضلوع وقودا
ماكان فى شرع الغرام بصادق ... من ليس يطويه الغرام شهيدا
ياسر هذا الكون ياعنوانه ... ادبا واخلاقا حكين ورودا
لكانني بك بدر تم ماثلا ... والصحب حولك ـ كالنجوم ـ قعودا
وابا الحميرا والثلاثة حضرا ... واسود بدر والسويق شهودا
وكان فى اذني صوتا ناعما ... لبلال يدعو للصلاة رقودا
وكان ساح قباء قد غصت بمن ... لله خروا ركعا وسجودا
يا ارض زيدي فى سنائك وارفعي ... فى الناس للخلق العظيم بنودا

*

يا باعثي امجاد دولة يعرب ... ومجددين شبابها تجديدا
من لي بمثلكما ـ بنفسي انتما ـ ... سعيا يعز نسيجه وجهودا
لازال كل منكما كهف المنى ... للعرب تنشد ظله الممدودا
حتى توفى فى ذرى عرشيكما ... حقا لها ـ كسناكما ـ مشهودا
فترى الرياض بذا حماها المجتبى ... وترى الرباط ملاذها المنشودا

علمتنا النكبات

علمتنا النكبات كيف نحافظ على ايماننا القوي الكامل بالقيم السامية والمثل العليا .

محمد الخامس



أثناء زيارة جلالة الملك المعظم سيدي محمد الخامس نصره الله لمخيم اللاجئين الفلسطينيين بالاقليم الجنوبي للجمهورية العربية المتحدة رفع الى جلالته ـ باسم اخواننا عرب فلسطين ـ الشاعر الاستاذ الحاج فرحان هذه القصيدة كتحية عربية كريمة لملك عربي كريم .

« دعوة الحق »

أهلا وسهلا بالمليك محمد ... ملك العروبة فخر كل موحد

الناصر الاوطان يوم جهاده ... ممن اتى يوما عليها يعتدي

والمالك البر الرؤوف بشعبه ... يوم المسير لكل امر مسعد

وتراه للنهج الحكيم لقد مشى ... ليكون للعلياء اعظم مرشد

قد حارب استعمار كل معاند ... ومحارب ومضلل ومفند

وحمى البلاد واهلها من شر من ... عاثوا الفساد بها بعهد اسود

فأحبه الشعب الوفي المخلص ... ومؤيد حقا لدين محمد

واعاده للملك لما ان راى ... فيه مليكا كان خير مجدد

ومراكش العربية اعتزت به ... وغدت تنادي انت اعظم سيد

للعرب والاسلام ذخرا انت فى ... السراء والضراء اعظم منجد

وقد انتصرت الى الجزائر عندما ... وقعت بكيد القادر المستعبد

فاذا الجزائر وهي تشكر سعيكم ... بطريق نصر بالنجاح مؤكد

يا فخر جامعة جمعت رجالها ... دنيا العروبة مثلها لم تشهد

كي تنقذوا الوطن السليب من العدا ... فى همة شما بكل مجند

فهتفت يا بشرى فلسطين اهنئي ... ابناء يعرب ناصروك لتسعدي

وبموعد الاسرا المليك محمد ... يسعى اليك اليوم من قبل الغد

فحسبته « عمرا أتى فى جيشه ... للقدس » يزحف كي يبيد المعتدي
يا ابن الملوك الصيد وابن محمد ... لا زلت فى « عمر » تسير وتقتدي
والعرب قد نظروا اليك بنظرة ... فيها اجتماع الشمل قبل تبدد
لا زلت فى دنيا العروبة مصلحا ... وبك العروبة للسعادة تهتدي
وجمال عبد الناصر المضياف مد ... لاقاك لما كنت اكرم موفد
قال التآخي واجب ما بيننا ... لنعيش فى الدنيا بعيش ارغد
ونكون ما بين الممالك امة ... عربية سمحاء رغم الحسد
حاكت سياسته سياستك التي ... لكما بها قد تم اشرف مقصد
دول العروبة دعمة استقلالها ... قول وفعل باللسان وباليد
فالله ينصركم على اعدائكم ... نصرا عزيزا فى نجاح سرمدي
واليكما يهدي التحية شاعر ... فرحان بالتمداح خير مغرد
وبنو « فلسطين » تنادي حوله ... اهلا وسهلا بالمليك محمد

الشعر ..

الشعر ما سمعته الروح وانتعشت ... منه وصارت به كالشارب الثمل
والشعر ما قد حلى فى اذن سامعه ... ويستعيده لا يخشى من الملل
ان كان هذا فان الشعر منعدم ... وليس ياتي اذا لم يات من قبلي

محمد بن ابراهيم



تصلنا من حين لآخر قصائد رائعة للشاعر الاستاذ محمد بن ابراهيم ، ونحن اذ نشكر اصدقاء الفقيد على ما يوافوننا به من هذه الاشعار ، نرجو منهم ــ ومن كل من لديه انتاج لشاعرنا المبدع ــ مواصلة القيام بهذا العمل الجليل تحية لذكرى فقيدنا محمد بن ابراهيم وخدمة للادب المغربي .

« دعوة الحق »

الكتم ما بي لو يدوم التكتم ... ولكنه هم به القلب مفعم

بني وطني ان الشعوب واهلها ... قد استيقظت طرا وانتم نوم

هو الوطن المحبوب يرجو من اهله ... سماعا لشكواه واهله انتم

مضى زمن الجهل الذميم زمانه ... وهذا زمان ساد فيه التعلم

فبالعلم شادوا فى البحار مساكنا ... وفيه من الحيتان عاموا وعوموا

وبالعلم سارت فى السماء ركابهم ... وقد اسرجوا متن الرياح والجموا

وبالعلم ان كانوا جلوسا بمشرق ... وفى الغرب من يبغي الكلام تكلموا

وبالعلم قد افنى الفريقان بعضهم ... وما اختلفت بين الفريقين اسهم

اتاكم زمان يطلب العلم منكم ... بجد فان لم تطلبوا العلم تندموا

ومالي أرى هذه العوائد اصبحت ... واضرارها فينا تزيد وتعظم

فهل من دواء للعوائد انها ... اذا تركت فى الجسم لاشك يعدم

اشدخ رؤوس كلما حان موسم ... ونهش افاع نهشهن محرم

أمن شرف الانسان ان يدخل بيته ... عواهر فى تيهاتها تتنعم

يشاركهن الانس فى بيت اهله ... وانه شيء بعد الاثم مذمم

بربك قل لي كيف تصبح من رات ... قرينتها بالامس تزهو وتنعم

عليها من التيجان كل مرصع ... وفى جيدها العقد البديع المنظم

اما انها تصبو لفعل قرينة ... ولو انها بين العفائف مريم

فقل أي وربي انه الحق واعترف ... ونفسك لاتخدع فانك مسلم

كأنك يا مغرور نلت سرورها ... اذا هي من فرط السرور تبسم

تريك ابتسامات السرور وانها ... لتؤمنك الشيء الذي هي تعلم

واصفر مايكمن لو كنت خادعا ... ولكنه الشيء الذي هي تعلم

ومعذورة ذات الحجاب اذا اتت ... شنائع اعمال بها الزوج مغرم

لعمري ان الهم يعظم حمله ... وهم يمس المرء فى العرض اعظم

اليكم بني الاوطان اشكو ضياعكم ... ولم اشك الا منكم واليكم

ولا ارتجي فردا سواكم لنصرتي ... فعن حرب انصار العوائد صمموا

ولا تبخسوا بالله قدر حقوقكم ... بني المغرب الاقصى فانتم انتم

هنا قف قليلا بي لتسكن روعتي ... ويدري يراعي مايخط ويرسم

ودعني وما يقوى فؤادي لنصرتي ... فقد آن ان ينهل من مقلتي دم

ودعني وذا نصحي وان كان فارغا ... وذا مبلغي فى العلم والله اعلم

مات حظي! ...

قال ما للسواد لبسك اضحى

وهو ما كان لبسك المعتادا

قلت دعني فما علمت بحالي

مات حظي وقد لبست السوادا

محمد بن ابراهيم

من ألحان الكفاح

أرض الأبطال

شعر: محمد مهدي السعداني

بلادي شجون   ودنيا الانين
وشعب معنى   شقي حزين
بلادي زئير   وليث سجين
وشعب مقلل   بقيد لعين

بلادي جراح   بلادي دماء
بلادي كفاح   بلادي فداء

بلادي عدو   لخصم حقود
وشعب مدافع   يوالي الجهود
لحرق العقود   وكسر القيود
لهزم الغريم   وبعث العهود

بلادي جراح   بلادي دماء
بلادي كفاح   بلادي فداء

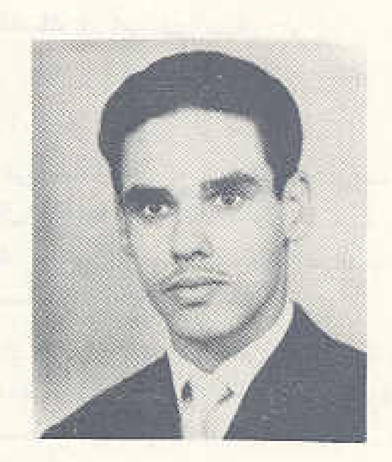
بلادي حراب   وسوح قتال
وشعب جسور   عنيف النزال
بلادي جهاد   وارض ابطال
وشعب عظيم   جليل النضال

بلادي جراح   بلادي دماء
بلادي كفاح   بلادي فداء

بلادي رصاص   وقاني يفور
وشعب طموح   وحر يثور
بلادي قنابل   ونار ونور
وشعب يواري   الدخيل القبور

بلادي جراح   بلادي دماء
بلادي كفاح   بلادي فداء





« محمود البواب » رجل في الخامسة والاربعين من عمره كما حدثني منذ قريب ، وهو يقضي يومه بباب العمارة يقلب بين يديه جريدة قديمة لم ترد ان تتغير ، كما لم يتغير جلبابه الرمادي القصير ، عرفته منذ سنتين ، عندما دق على الباب ليقول :

— انت الساكن الجديد ؟

— نعم

فابتسم قائلا : وهل انت اعزب ؟

واجبته في استياء : نعم

واتسعت ابتسامته ، ثم رفع حاجبيه الفليفلين وهو يقول : انني بواب العمارة ، وارجو ان تعرف ان بجوارك عائلات كريمة لا تقبل بعض اعمال العزاب امثالك ، ثم ان صوت الراديو المنطلق من شقتك يزعجنا ..

وتركني رافعا يديه الى راسه في شكل تحية عسكرية ، وعندما اطفأت جهاز الراديو في عنف ، كنت مغتاظا من العمارة وسكانها وبوابها .

وانتهى اسبوع قبل ان ارى « عم محمود » من جديد ، التقيت به هذه المرة بباب العمارة ، ومررت به دون ان احييه ، ولكنه استوقفني قائلا :

— هناك رسالة في اسمك .

واخرج رسالة من « قب » جلبابه ، ناولني اياها وهو يقول : هل تعمل بالليل ؟

— نعم ، وانام بالنهار . قلتها في جفاف ..

— هكذا تصورتك اول مرة رايتك ، انك رجل يا اخي ، ولا يضير الرجال نوع العمل واوقاته .

واخرج من « القب »سيجارة اشعلها ، ثم قال وهو محتفظ بعود الثقاب بين اصابعه :

— هل اقلقتك يوم طلبت منك مراعاة هدوء الجيران ؟

— لا ، ابدا ..

— هذا لا يهم ، انني بلغتك امر السكان وكفى ..

ورمى بعود الثقاب في قوة ثم رفع يديه الى راسه في شكل تحية عسكرية مخبرا ان الحديث قد انتهى .

بعد ذلك وجدت رباطا من الصداقة يربطني « بعم محمود » البواب ، واصبحت اقضي معه بعض الوقت كل يوم في احاديث لا تنتهي ابدا .

وقد وجدته رجلا خبر الحياة .. حياة الدروب المتسخة والاحياء المنسية في « قاع » المدينة ، كما وجدته يحمل افكارا اكبر منه ، لعلها بعض الصدى الذي يصل الرجل الشعبي عادة من احاديث الناس والاذاعات والصحف .

قال لي يوما : انني اشتراكي شيوعي .

وابتسمت فعاد يقول : بوسعك ان تبتسم ، ولكن .. يجب ان تثق انني اشتراكي شيوعي مائة في المائة .

قلت : انني لا افهم الشيوعية الاشتراكية . .

فمد يده الى جيبي بلا كلفة ، ثم اخرج منه علبة السجائر ، واخذ لنفسه بعضا منها ، ثم ناولني الباقي قائلا :

ـ هذه هي حقيقة الاشتراكية والشيوعية ، انني لا املك الآن سجائر ، وانت تملك كثيرا منها ، فلنشترك انا وانت فيما تملك ولا املك . .

وتهقهت هذه المرة لمفهوم الاشتراكية والشيوعية عند الرجل . وبعد ان اشعل سيجارة ، عاد يقول :

ـ انرى الى جلبابي ، انني مستعد لان اجعله ملكا مشاعا بيننا اذا اردت ، ولكنك لن تريد طبعا .. ان .. وسكت فجاة ، فقد راى صاحب العمارة الشيخ محمود ، وهو قادم فى خطاه المتزنة ، وبيده «عكازه» الذي لا يفارقه ابدا . ومر بنا الشيخ دون تحية ، « وعكازه »يضرب الارض فى نغمة واحدة متتالية ، والتفت الي « عم محمود » البواب ليقول :

ـ كم يكرهني

ـ لماذا ؟

اجاب وعلى شفتيه ابتسامة مزهوة :

ـ انه يكرهني من اجل ابني رشيد وابنتي فاطمة ، لقد حاول عدة مرات ان يصبح هو الآخر ابا بلا فائدة ، ومرت زوجته كما مر هو بكل عيادات الاطباء ، ودار لقمان على حالها .

ـ الهذا يكرهك ؟

ـ وهناك شيء آخر ، هو هذا الاسم المشترك بيننا ، فهو لم يقبل قط ان اكون انا « محمود » وهو « محمود » مع انني مجرد بواب للعمارة التي يمتلكها ، لذلك لا تراه يناديني الا باسم البواب .

واطفأ سيجارته فى عصبية لم يكن هناك داع لها ، ثم قال :

ـ اتعرف لماذا سميت ابني « رشيد » ؟

قلت : لماذا ؟

وعادت ابتسامة الزهو الى شفتيه ، ثم انطلق يشرح لي : انا اشتراكي شيوعي كما قلت لك ، ولا ارى اي معنى لان تبقى الاسماء بالميز ، اسم رشيد للسادة اصحاب العمارات والاملاك ، والبواب مثلي لا يخرج عن الاسماء القديمة البالية ، لقد كنت فى هذا اول بواب خرج على القاعدة !

عرفته منذ سنتين ، وكان يلبس نفس الجلباب الرمادي الذي اتاني به منذ ايام ، بينما لم تتغير الجريدة الكالحة فى يديه .

منذ ايام وجدته ينتظرني ، وقد بدت علائم الاهتمام على وجهه ، وعندما مددت يدي لتحيته ، وجدته يقبض عليها فى شدة ، ثم قال :

ـ جئتك فى امر ذي بال

قلت : خيرا ان شاء الله .

قال : ـ كل الخير ـ انما ..

وارخى يده فى حركة استسلام ، وبعد ان اخرج لسانه ليبلل شفتيه ، وجدته يقول :

ـ لقد جاءني الشيخ محمود صاحب العمارة ؟

ـ لماذا ؟

ـ اراد مني ان اترك له ابنتي « فاطمة » ليتبناها انني لا استطيع ذلك .. فاطمة ، الصغيرة التي لا تتجاوز السابعة من عمرها ، لكم احببتها ..

ـ ولماذا لا تستطيع ؟

ـ ومن يستطيع ان يتخلى عن ابنته ؟

قلت : الست شيوعيا اشتراكيا ؟ انسيت السجائر المقتسمة .. وحكاية الجلباب .

قال : ولكن الشيوعية لا تدخل فى الابناء ايضا ، تكون الشيوعية فى السجائر ، فى الاشياء التي لا علاقة لها بالروح ، بالعاطفة ، اما الابناء ، انني لم اقرأ فى « الجريدة » شيئا من هذا .

قلت ضاحكا : ولم لا تخرج عن القاعدة ، وتكون اول بواب يفعلها ، ويعمم الشيوعية حتى يدخل فيها الابناء ، انك تملك رشيد وفاطمة ، وهو لا يملك منهما شيئا .

ونظر الي فى عتاب حزين : ثم قال :

ـ جئت اطلب عونك ، فاذا بك تعين الشيخ .. هل تريد ان اترك له فاطمة ليتبناها كما قال ، ولتكون خادمة كما لم يقل ؟

واجبته : انني لا اقصد ذلك مطلقا ، كل ما فى الامر انك اخبرتني عن شيوعيتك الاشتراكية مائة فى المائة، واريد ان توافق اعمالك مبادئك فى كل شيء .. لان..

وقاطعني صائحا : « الله يلعن الاشتراكية والشيوعية » انا لست شيوعيا ، انا عم محمود البواب .. اب فاطمة ورشيد ، هل فهمت .. ؟

كانت اول مرة يصيح فيها منذ عرفته .. ثم ذهب .

*

وفوجئت به يختفي من باب العمارة اكثر من اسبوع ، ثم يعود اليه ذات يوم ، وعندما جيئته ، كان مكتئبا ، ولم تكن الجريدة بين يديه .

قلت له : كيف الحال يا « عم محمود » ؟

— كما ترى ؟

— والابناء ؟

— رشيد بخير ، اما فاطمة ، فاني لم ارها منذ يومين !

— هل ... ؟

— نعم تركتها للشيخ . ليتبناها ، لينتقم من شخصي الذي يحمل اسمه فى جسمها الصغير ..

— اترى .. انه المبدا الذي ينتصر ؟ انك الآن شيوعي .. و..

قاطعني قائلا : ليست الاشتراكية يا ابني ، انها لقمة الخبز ، لقد طردني الشيخ محمود عندما رفضت ، وظللت اسبوعا ابحث عن عمل دون فائدة واخيرا اضطررت لان اترك فاطمة ، انها ليست المبادىء .. انها لقمة الخبز .

واحنى راسه فى انتكاس وهو يغمغم :

انها لقمة الخبز . . لقمة الخبز ! . .

«قرأت فى العدد السابق»

لقد دلت التجربة على ان عرض محتوى عدد كامل من « دعوة الحق » على كاتب واحد للقيام بالنقد والتعليق على جل ما ورد فيه من دراسات ومقالات وابحاث وقصائد وقصص يحدث الكثير من الاحراج والارهاق للكاتب الناقد نظرا لتنوع مواضيع العدد من جهة واختصاصه فى فن من فنون المعرفة من جهة اخرى .

وحرصا منا على حدوث اتصال نشيط بين كتاب المجلة الافاضل وقرائها الاعزاء رأينا حذف **«قرات فى العدد السابق»** رغبة فى جعل المهمة أسهل ، والمجال اوسع امام السادة العلماء والباحثين والكتاب والادباء والشعراء لينتقد كل واحد منهم — فى نطاق اختصاصه — الموضوع الذي اثار اهتمامه ورآه يستحق النقد والتمحيص او التعليق والتعقيب .

ونأمل ان نحصل على ما تبتغيه من وراء هذا التعديل من توسيع لدائرة النقد ونشدان فائدة أكبر ومعلومات ادق واعم على صفحات « فى النقد الادبي »

دعوة الحق

في النقد الأدبي

حول تعقيب الأستاذ أحمد بن المليح

للاستاذ محمد بن تاويت

يلاحظ الاستاذ احمد بن المليح على ما كتبته انه « **مركز جدا فى حين ان الموضوع يستدعي استفاضة فى البحث** » . هذا صحيح ، وذلك ان تلك الملحوظة كتبت فى ساعة معينة وبمبعث من حديث كانت لـه ظروفه الخاصة ، كتبت كتعليق وجيز ، لا كبحث تطلب منه تلك « الاستفاضة » .

ثم يلاحظ ان :

مسالة الالفاظ الفارسية التي دخلت الى العربية ليست هذه وحدها المقياس الذي نعرف به مدى تاثر الادب العربي بالفارسيـة » .

وانا مع الاستاذ فى انها ليست « وحدها » فانا لم اقل بانها وحدها « المقياس » الذي نعرف به مدى هذا التاثر ، وانما قلت انها من « المقياس » داخلة فى حسابه وليست فى الحساب كله ، وانما هي من العلائم والاثرا لذي يستدل به على المؤثر وكفى .

وليس من الضروري اذا اعتمدنا علـى ذلك ان نجرد « الفارسية من نصف معجمها علـى الاقل » او الاكثر وانما نقول فيها ما قلناه فى العربية ـ بمبـدأ التاثر والتاثير من ناحية اخرى . .

وقد اراد الاستاذ ان يكـون فى نقاشه منطقيا ، وان يلجأ الى التقسيم ، فيقسم « الملاحظة الاولى . . شقين » ثم يعلق على ان تاثيـر الفارسيـة فى الادب العربي كان أسبق بقوله « ما ورد من الفاظ فارسية لدى بعض شعراء الجاهلية . . غير كاف : لان الادب الجاهلي قد ضاع اكثره ، بل المسألة تتوقف على ان الاتصال بين الادبين العربي والفارسي كان اسبق من الاتصال بين الادبيـن العربي واليوناني ، وهي مسألة لا يسهل الوصول اليهـا . . »

فلنجار الاستاذ فى هـذا الحوار « التقسيمـي » فنقول : اما كون ما ورد من الفاظ فارسية غير كاف فقد اتفقنا على انه غير كاف ، ولم نقل بانه « كاف » .

واما كون الادب الجاهلي قد ضاع اكثره ، فهذه حجة على الاستاذ لا له ، لانه اذا كان قد ضاع اكثره ـ ونحن كذلك نقول بانه « قد ضاع اكثره » ـ فـان ما بقي باقله من الالفاظ الفارسية الكثيرة شاهد صدق على ان الفارسية فى الفاظها قد غزت الادب العربـي فى فجر ظهـوره . .

وكاني بالاستاذ لا يريد من وراء هذا الا ان يعلمنا ان « الادب الجاهلي قد ضاع اكثره » فنحن نشكره ونطمئنه الى اننا نعلم ذلك ويعلمه السابقون واللاحقون من العرب والمهتمين بادب العرب .

اما كون الاتصال بين الادبين العربي والفارسي كان اسبق ، فهذا ما تشهد به كتب التاريخ وخرائطه الجغرافية ، ان لم يسلم الاستاذ بنفس النصـوص

الادبية العربية ، ولا نظنه فى حاجة الى ذكر هذه الكتب فهي كثيرة فى متناوله وماثلة فى ذاكرته ، كما لا نظنه فى حاجة الى عرض خريطة للبقعة الجغرافية التي تمثل له الجزيرة العربية ومكانها من الاقاليم الفارسية فذاك ما نعتقد ان الصديق يعلمه علم اليقين ويحرص على تذكره فى كل آن وحين ..

قد يقول — وله الحق — : ولم تنظر الى الجوار فى شرقه ، ولا تنظر اليه فى شماله ، ولم تلجأ الى التاريخ — ايضا — فى الحيرة حيث المناذرة ، ولا تلجأ اليه فى بادية الشام حيث الغساسنة ؟!

والجواب بسيط ليس « مسالة لا يسهل الوصول اليها » فالفرس كان تدخلهم فى امارة الحيرة على عهد الجاهلية ، بمثابة تدخلهم فى العراق على عهد الدولة العباسية ، اما الروم فانهم ما كان لهم هذا التدخل فى امارة غسان ، وانما كان يهمهم منها الناحية العسكرية المجردة فلم نر الامراء الغساسنة يبنون قصورا لامراء الروم مثل « الخورنق » او «السدير» الفارسيي الاسم — ولم يروا فى يوم من الايام لهؤلاء الاباطرة مناظرات عقدت بينهم وبين العرب وقد اتى بهم امراء الغساسنة كما اتى بهم امراء المناذرة ، ولم نر منهم موقعة واجهوا بها العرب فى مثل موقعة « ذي قار » تجلى فيها الصراع بين الفرس من حيث انهم فرس وبين العرب من حيث انهم عرب ، ولم نر من ذي قبل شاعرا عربيا قد امهم بالمديح كما حصل من شعراء عرب اموا هؤلاء الملوك الفرس فمدحوا منهم مثل كسرى ، وانما امهم امرؤ القيس — كما قيل — فى معضلة عسكرية وليست بمعضلة ادبية .

فكان اثر ذلك ان هؤلاء تأثروا بالفارسية ، فرجعوا الى قلب جزيرتهم بالفاظها — على الاقل — ولم يرجع اولئك الذين زاروا بلاط الغساسنة بشيء من هذه اليونانية لانهم زاروا امراء عربا فى باديتهم لم يلاحظوا عليهم الا انهم مسيحيون « رقاق نعالهم ، يحيون بالريحان يوم السباسب » فمحجة هؤلاء قد افضت الى قلوبهم ولم تتشعب بهم فى نظام اجتماعهم، وكانت بتلك المجاهل التي لم يكن منها شيء بين المدائن « والحيرة » التي هي فى اسمها فارسية كذلك..

هذا كله يجعلنا نطمئن الى ان التأثير الفارسي فى الجاهلية كان اسبق من اليوناني الذي حدث فى الاسلام وبعد ما قطع اشواطا زمنية من ظهوره .

وهذه مسالة — كما قلنا — من السهولة بمكان ، وليست كما قال الاستاذ « مسالة لا يسهل الوصول اليها .. » ولا نريد ان نعكس القضية ،و نحيل الاستاذ على كتاب الفه الاستاذ العقاد اخيرا ، واثبت فيه ان هذه اليونانية اخذت فى اغوار تاريخها ، من العربية بعض الفاظها ، وفلسفتها نفسها لم تشرق اشراقها ولم تصر طيعة للعقول والاذواق فى هضمها الا بفضل العربية .. لا ، لا نريد هذا ولا نفتح فيه الابواب التي يصعب علينا سدها ، وانما نسترسل مع الاستاذ ابن المليح فى نقاشه حيث يسترسل فيقول :

« التأثير كما اوضحنا لا يتمثل فى استعارة الالفاظ فحسب ، وانما يتمثل فى الفكرة والاسلوب والخيال ، وهذا ما يسهل اثباته بالنسبة لتأثر الادب العربي باليونانية ، ويستطيع الباحث ان يجد له امثلة كثيرة ، فى شعر ابن الرومي وابي تمام ونثر عبد الحميد وابى حيان التوحيدي وغيرهم . »

اما كون التأثير لا يتمثل فى استعارة الالفاظ فحسب ، فهذا ما اتفقنا عليه اولا وثانيا ونتفق عليه ثالثا ، فاننا ما قلنا ان الالفاظ « وحدها » المؤثر ، ولا انها « كافية » فى هذا التأثير ، ولا ان استعارتها « فحسب » يتمثل فيها هذا التأثير ، وعلى هذا فكلمة « حسب » اخت « وحدها » وابنة ام « لغير كافية ».

اما الفكرة والاسلوب والخيال ، وتلك « المسألة » التي فاتتنا وهي « تتجلى فى تأثير الفكر ، والاسلوب ، والاخيلة ، والصياغة ، وسائر مناحي العقل والعاطفة والتعبير عنهما . »

فكل ذلك يسهل اثباته بالنسبة لتأثر الادب العربي بالفارسية ، كما يجد الاستاذ له شواهد فى غير ما يستطيع عده من كتب الادب ودراسته ، وحسبه ان يلتمس هذه الشواهد وتعليل وجودها فى كتب استاذه — او استاذنا — احمد رضى امين رحمه الله ، وليكتف منها بفجر الاسلام والجزء الاول من ضحى الاسلام والجزء الاول من قصة الادب فى العالم ، وتكفيه بعد ذلك مئونة البحث وانفاق الزمن الطويل فيه . وهذه المراجع نفسها تجعله يكف عن اعتقاده فى ان « هذا ما يسهل اثباته بالنسبة لتأثر الادب العربي باليونانية ويستطيع الباحث ان يجد له امثلة كثيرة .. « فهي سلاح ذو حدين وحجر بعصفورين » ..

وابن الرومي الذي جعل الاستاذ شعره من هذه الامثلة تضمنت بنوته « شقين » فهو يقول :

كيف اغضي على الدنية والفر

س خؤولي والروم اعمامي

فان كانت الوراثة اثرت في شعره حتى جعلته من الامثلة اليونانية ، فكرة واسلوبا وخيالا ، فلماذا لم تعمل فيه الا من ناحية الاب ، ونحن نعلم ان الخؤولة تاثيرها في ذلك قوي ان لم يكن اقوى من العمومة ، ولهذا نصح العرب الاباء بقولهم « خولوا لاولادكم » وايدهم في هذه النصيحة علم اليوم ..

اما ان كان ذلك من البيئة التي تثقف فيها ابن الرومي فان البيئة كانت بغداد وقد ضمت الى ابن الرومي غيره من الشعراء في نفس الزمان والمكان .. وابن الرومي الذي يقول بلهجة الاقحاح :

ونحن بني اليونان قوم لنا حجى

ومجد وعيدان صلاب المعاجم

وما تتراءى في المرايا وجوهنا

بلى في صفاح المرهفات الصوارم

يقف عنده الاستاذ احمد امين متسائلا : « هل كان مثقفا ثقافة يونانية » ؟ ثم يجيب : « ذلك ما لم يظهر في شعره » .

فان استطاع صديقنا ان يظهر ذلك من شعره فانه يفيد تلاميذ احمد امين رحمه الله .

واما ابو تمام فانه من ناحية الوراثة اختلف في يونانيته منها ، وتملص هو نفسه من غير النسب العربي عامة وانتسب الى طيء واشاد بها ، وغير حتى إسم ابيه غير العربي . والنتيجة انه غير عربي والسلام ، اما كونه يونانيا والسلام ، فهذا ما لا استطيع — انا على الاقل — الاطمئنان اليه ..

بقيت مسالة البيئة التي تثقف فيها ، فهي اولا بيئة الشام حيث لقنه في طفولته استاذه الاول « ديك الجن » فهو ليس ديكا يونانيا وانما هو ديك جني ..

ثم تحول الى مصر وعمره نحو السبع عشر سنة ، فكان يسقي الماء بجامع عمرو ، ويستقي منه الادب والشعر حتى نبغ في ذلك ، فهل كان جامع عمرو يدرس الادب اليوناني والشعر اليوناني ؟

هذا ما يصل اليه منتهى علمي ، وكل ما وصل اليه من الناحية الفنية التي افتن فيها ابو تمام ، هو انه اتخذ له استاذا في ذلك الفن ، لم يكن استاذا يونانيا وانما كان هذا الاستاذ هو مسلم بن الوليد الانصاري الكوفي النشأة الجرجاني الوفاة ..

هذا من ناحية الاسلوب في الفاظه ، اما من ناحية المعاني ، فقد قال ابو العلاء في حقه وحق ابي الطيب : ابو تمام والمتنبي حكيمان .. فهل كانت الحكمة وقفا على اليونان حتى تقف شاعرنا عليهم ؟

الواقع انه « صوب العقول » ينال ابا تمام وابا الطيب وغيرهما من اليونان وغير اليونان .

فاذا كانت الثقافة ، فقد شاركه غيره فيها من معاصريه ، كما شارك ابن الرومي واذا كانت الوراثة، — وسلمنا بيونانيتها للشاعر — فلماذا لم تؤثر الا هذه اليونانية في اولادها ، ولم تؤثر الفارسية في اولادها ، من مثل زياد الاعجم ، واسماعيل بن يسار ، ومحمد بن يسار ، وابراهيم بن يسار ، وابي العباس الاعمى ، وموسى شهوات ، وغيرهم من شعراء الفرس في العربية على العهد الاموي ؟ ودع عنك غيرهم في العصر العباسي .. !

واما عبد الحميد فانه من ناحية الوراثة يرجح انه فارسي ، ومع هذا فقد حامت حول نسبه الشكوك ، ومن الطريف ان نجد الدكتور زكي مبارك يحدثنا في كتابه « النثر الفني » ان استاذنا الدكتور طه شك في شخصيته ، لدرجة ان وصل بها الى الخرافة . واما ثقافته فان الدكتور طه قال : انه كان يعرف اليونانية ، وهذا ما زال عالقا بالاذهان فيما قراناه له ، خصوصا في كتابه « من حديث الشعر والنثر » ، والاجماع يكاد ينعقد على ان ما استحدثه عبد الحميد في نثره كان مجلوبا من الادب الفارسي ولم يكن من الادب اليوناني ، حتى مع تسليمنا بانه تثقف على سالم مولى هشام ؛ قال بذلك القدامى وقال به المحدثون ، وهم كثير يكاد ينعقد بهم الاجماع كما قلت .

اما القدامى فمنهم ابو هلال العسكري الذي دلل على حججه بأدلة وبراهين عملية بعد ما قال : « كان عبد الحميد استخرج الكتابة من رسمها من اللسان الفارسي ، فحورها الى اللسان العربي » ثم قال معللا للتاثير الفارسي عامة في خطب العرب ورسائلها ان « خطب الفرس ورسائلهم هي على نمط خطب العرب ورسائلها » .

واذا كنا نناقش ابا هلال العسكري فى هذه الدعوى ، وهو من رجال القرن الرابع ، فنقول له : لم لا يكون الامر بالعكس فيما يخص هذا التأثير على عهده ؟

فاننا فى نقاشنا هذا نثبت القضية علينا من حيث هذا التقارب بين الاديبين حتى كانت خطبهما ورسائلهما معا على نمط واحد ، قلد هؤلاء او قلد اولئك فيما بعد عبد الحميد ، اما عبد الحميد هذا فانه استحدث ما استحدث من الفارسية ، كصديقه ابن المقفع .. ويبقى علينا ابو حيان التوحيدي .

والتوحيدي من ناحية السلالة فارسي لا شك فيه ، ومن ناحية الثقافة فانه يمثل هذه الثقافة التي كان يصطخب بها القرن الرابع ، ويظن انه كان من جماعة اخوان الصفا .

فهو فيما يعالج من علم نجده ذا معرفة واسعة من فلسفة وغيرها واطلاع على فلاسفة يونان وعلى غيرهم فينقل عنهم . ولكن المهم المطلوب فى القضية هو هذه المسحة اليونانية — ما ادعى الاستاذ — فى آثاره الادبية . فهذه المسحة « جاحظية » وليست يونانية ، لدرجة ان القوم سموه « الجاحظ الثاني » ، فان استطعنا ان نثبت ان ادب الجاحظ لم يتأثر الا باليونانية استطعنا بعد ذلك ان نثبت ان ادب التوحيدي لم يتأثر الا باليونانية ، وهذا ما نطالب به صديقنا ابن المليح ولن نناقش فيه .. ومن النافع ان يرجع صديقنا الى ما كتبه الدكتور عبد الرزاق محيي الدين عن ابي حيان فيؤيد فيه ما قلناه فى حقه .

واذا كان قد وصفنا الاستاذ فى « الشق الثاني » باننا مررنا عليه مر الكرام ، فاي مرمره هو على هؤلاء الاربعة وغيرهم ؟ اهو مر الكرام .. ؟ لا ادري .

وعلى كل فاننا لا نمر الآن مر الكرام ، ونقول : ان تأثر الادب العربي بالفارسية كان امتن ، لان الادب الفارسي صادف قلب الادب العربي فارغا من حب اليونانية فتمكن منه ، كما تمكن منه ايضا لعوامل اخرى سالفة ، ولم يجد العرب عند هؤلاء مما يتصل باللسان والجنان مثل الادب ، وكانت الاهواء والاذواق غير متباينة فى جمال القول — كما لاحظ العسكري وغيره — فكان هذا التأثير امتن . ويعضده من ناحية اخرى فى تقارب الاذواق اننا وجدنا شعراء فرسا فى عهد مبكر قالوا الشعر العربي بتلك الكثرة منهم لدرجة ان عائلة ابن يسار اشتهرت بقول الشعر العربي المتين ، فهل وجدنا على ذلك العهد والعرب فى اتصال باليونان — ومنهم من اسلم لا محالة — من قال الشعر من يونان ؟

ومن ناحية اخرى وجدنا الجاحظ يمثل الثقافة الفارسية بروحها ويذكر منها بعض نصوصها وما وجدناه يذكر عن اليونان الا شيئا يتصل بالعقول ولا يتصل بالوجدان منبع الادب الصافي . فالادب العربي ان استفاد من اليونان فانما ذلك فيما يتصل بالعقل من علومها وفلسفاتها لا غير . اما أن يستفيد من ادبها — كما حصل في الفارسية — فان استاذنا طه يذكر فى مقدمته على « نقد النثر » ان العرب لما حاولوا ان يستفيدوا من مناحي الادب اليوناني لم يستطيعوا ذلك واستفادوا استفادة مبهمة غامضة . هؤلاء العرب الذين اشار اليهم هم فلاسفة الاسلام النابغون فى فلسفة اليونان .

وقبل ان نصل الى مناقشة الاستاذ لملاحظتنا الثانية التي بحمد الله كانت « شقا » واحدا ..

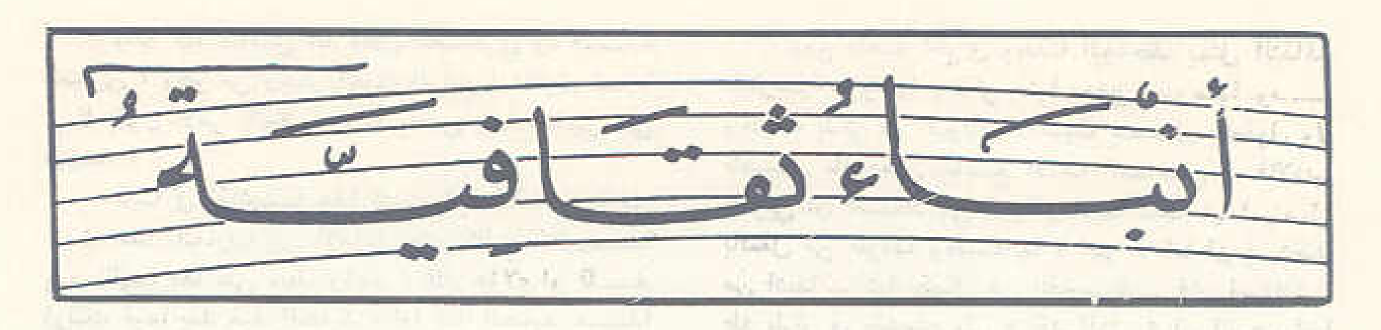
نقف عنده حينما يسد باب الامل فى وجوهنا فيقول عنا « وهو لا يستطيع ان يكابر » ..

كان سقراط يقول اولا لمن يريد ان يجادله « حدد الفاظك » وكذلك اقول — وانا غير سقراط — لصديقنا احمد بن المليح — وهو من غير المجادلين لسقراط — : « حدد الفاظك » .

فما معنى المكابرة التي لا استطيعها او استطيعها؟

اني يا صديقي اكره المكابرة كما تعلم ، واكره المكابرين ، ولا استطيع ان اكون مكابرا حتى ولو لم اكره المكابرة والمكابرين .

اظن ان الملل قال نال منك ، كما نال مني فى هذا الذي تقرأ ، ولكن مع هذا لا يفوتني ان اقول لك : ان الذي قلت فيه : اني لا استطيع ان اكابر فيه، اطمئن الى حكمك فيه : ولكن لا تطمئن فيه الى ان نهضة الفرس فى الشعر كانت كما قلت : مقلدة « للشعر العربي باوزانه وموضوعاته وقوافيه » على الاطلاق ، فمن اوزان الفرس « دوبيت » ومن موضوعاته « الملاحم » بمعناها الصحيح — ودع عنك الاوهام — ومن قوافيه ما يخرج عن نظام القوافي العربية . ومسالة المقارنة فى الجمال بين شعرهم ونثرهم لم تقل بها ولا نحن نستطيع هذه المقارنة فى الجمال حتى بين الشعر العربي . واما كون نثرهم جميلا — ولو الى حد ما يسرك من الجمال — فهذا واقع ، ولا احيلك فيه على نصوص نثرية ، ولكني احيلك على من اعتمدت عليه لا محالة حيث قال لك : « لا ريب ان للفرس نثرا كبيرا قيما ... » فلا تهمل هذا واحتفظ بخلاصتك ، ومن صديقك التحيات والتمنيات والى اللقاء . .



✽ قال الدكتور طه حسين فى حديث اجراه مع بعض الصحفيين عندما كان صاحب الجلالة محمد الخامس فى زيارته للقاهرة : «ان محمدا الخامس يحدث اشياء جديدة فى التاريخ . فقد احدث فى التاريخ ان الملك لا ينبغي ان يستهين بكرامة شعبه ولا يبيعها بالاستمرار على كرسيه . واحدث فى التاريخ ان الملك حينما يخير بين اذلال شعبه وعزته ، يفضل عزة شعبه على عزته . واحدث فى التاريخ ان الملك يجب ان يقبل الغربة والنفي ليبقى شعبه عزيزا وليبقى هو عزيزا بعزة شعبه . واحدث فى التاريخ ان الملك شخص من عباد الله لا يتميز عليهم بشيء الا بهذه الامانة الملقاة على عاتقه لقد احدث هذا الملك اشياء كثيرة فى التاريخ، وسيذكرها له التاريخ ، وسيذكر معها انه الملك الذي احدث اول رحلة لاول ملك مغربي الى بلاد الشرق العربي .

✽ بتاريخ 13 يناير احتفلت الجامعة المصرية احتفالا لم يسبق له نظير فى تاريخ هذه الجامعة بمنح جلالة الملك محمد الخامس درجة الدكتورة الفخرية . وبهذه المناسبة القى عميد الجامعة المصرية خطابا نوه فيه بالاعمال العظمى الخالدة التي قام بها صاحب الجلالة الذي رد عليه بكلمة خالدة عن العلاقات العلمية والادبية التي تربط المشرق بالمغرب

✽ اصدرت وزارة التهذيب الوطني نشرة عن النقود والمسكوكات الاسلامية مشتملة على صور للنقود التي ترجع الى عهد المرابطين والموحدين ، وقد تحدثت النشرة عن عهد المسكوكات المغربية بايجاز واول سكة اسلامية صربت بالمغرب على عهد الدولة الادريسية حيث كان يوجد معمل لضرب النقود يسمى بمعمل « العالية » ايام المولى ادريس الثاني .

✽ جاء فى احد اعداد المصور الاخيرة هذا النبأ « ان اول فوج من عالمات الدين فى البلاد العربية تخرج من جامعتي القرويين وابن يوسف بالمغرب العربي وهما جامعتان دينيتان على غرار الازهر » .

✽ تقرر ادماج مجلة «اسبريس» التي كان يصدرها معهد الدروس المغربية بالرباط فى مجلة « تمودة » التي يصدرها معهد مولاي الحسن بتطوان . وستصدر المجلتان باللغتين الفرنسية والاسبانية تحت اسم واحد « اسبريس – تمودة » .

✽ صدر حديثا عن معهد مولاي الحسن بتطوان الجزء الثاني من كتاب « ابن الخطيب من خلال كتبه » للبحاثة المغربي المعروف الاستاذ محمد بن ابى بكر التطواني ، وهو القسم الاخير من كتاب « ابن الخطيب حياته وكتبه » الذي نال جائزة المعهد المذكور لسنة 1948 . ويقع فى 145 صفحة من القطع المتوسط . ويقوم مكتب التوزيع وتبادل المنشورات التابع للمكتبة العامة بتطوان بتوزيعه على المؤسسات الثقافية والعلمية ، ورجال العلم والادب فى المغرب وخارجه . نرجو للكتاب بعد الصدى ، والانتشار ، والانتفاع منه ، ولمؤلفه العلامة نشاطا متزايدا .

✽ سيؤسس فى طنجة او القنيطرة معهد للتعليم العالي على غرار الجامعة الاميركية التي اسست فى القاهرة وبيروت .

✽ تقرر أن تجتمع اللجنة التحضيرية الدولية لمؤتمر نساء افريقيا وآسيا بالقاهرة فى اول مارس المقبل وسيشترك فى المؤتمر مندوبات عن 19 دولة افريقية وآسيوية .

✽ عثر فى الصحراء الكبرى بالجزائر على آثار قد تكون من اقدم آثار المدنية الانسانية التي تم اكتشافها حتى الآن وتاريخها يعود الى 600 الف سنة

✽ بتاريخ 26 يناير الماضي عقد ببيت المقدس المؤتمر الاسلامي . ومثل المغرب فيه الاستاذ محمد داود .

❋ صدر بتطوان كتاب « تاريخ المغرب » للاستاذ محمد بن عبود ، وهو مكتوب بروح وطنية ، وغيرة اسلامية وقد سد ثغرة فى تاليف التاريخ المغربي للمدارس المغربية .

❋ اصدر السيد فؤاد دياب الملحق الصحفي سابقا بسفارة ج.ع.م. كتابا عن المغرب الاقصى بعنوان « المغرب الاقصى بين الماضي والحاضر »

❋ « محمد الخامس وكفاح المغرب العربي » هو عنوان لكتاب صدر حديثا للسيد فؤاد مصطفى .

❋ فى شهر ابريل المقبل سيزور الموسيقار المصرى محمد عبد الوهاب المملكة المغربية بناء على دعوة صاحب الجلالة له .

❋ يشتغل العلامة الاستاذ الكبير السيد عبد الله كنون فى اعداد كتاب « شخصيات مغربية » الذي ترجم فيه لـ 500 اديب مغربي من ذوي المكانة المرموقة فى عالم الفكر المغربي القديم والحديث .

❋ تم فى الايام الاخيرة فتح اول مكان للجامعة التونسية وهو معهد ابن خلدون سابقا ، ويضم هذا المعهد الذي اطلق عليه اسم المجمع الجامعي طلبة دار المعلمين العليا وطلبة كلية الآداب وبعض طلبة كلية الحقوق .

❋ سيعقد المؤتمر الاول لمأوى الشباب لسنة 1962 بتونس وسيضم ما يقرب من 5000 شاب

❋ ترجم بيار سيفارس مجموعة من قصائد الشاعر التونسي ابو القاسم الشابي الى الفرنسية ويحمل الكتاب عنوان « قصائد لابى القاسم الشابي » وهو من منشورات « حول العالم »

❋ نظمت اللجنة الثقافية بتونس معرض وثائق يمثل جزءا من نشاط الزعيم الشهيد فرحات حشاد .

❋ صدر فى الاسبوع الاخير فى الخرطوم مجموعة من القصص السودانية بعنوان « حتى يعود » للاديب السوداني شاكر علي .

❋ « ادبيات السودان » بهذا العنوان صدر كتاب من تاليف منير صالح .

❋ سيصدر قريبا فى السودان ديوان « اغنيات سودانية » للشاعر مبارك حسن .

❋ فى عاصمة السودان صدر كتاب بعنوان « ملامح من المجتمع السوداني » للكاتب حسن نجلة ، والكتاب يؤرخ لفترة خصبة من تاريخ السودان .

❋ اصدر الطاهر عبد الكريم وهو اديب سوداني قصة سودانية بعنوان « عجلة الزمن » .

❋ صدرت للاديب فتحي غانم قصة بعنوان « من اين ؟ » طبعتها سلسلة الكتاب الذهبي بالقاهرة.

❋ أصدرت دار الهلال كتابا جديدا للاستاذ العقاد عنوانه « المراة فى القرآن » تحدث فيه عن راي القرآن فى المراة .

❋ ستصدر لتوفيق الحكيم قريبا رواية بعنوان « ايام فى باريس »

❋ انتهى الشاعر محمود حسن اسماعيل من تاليف ملحمة « رياح المغيب » وهي ذات موضوع واحد مؤلف من اربعين نشيدا من الشعر الفلسفي عن الانسان والطبيعة .

❋ ترجم الى الفرنسية كتاب « أحاديث جدتي » للدكتورة سهير القلماوي .

❋ اقام مجلس الفنون والآداب حلقة لدراسة تنظيم القواعد العلمية والعملية للموسيقى العربية بما يكفل لها التطور والرقي .

❋ أوصى مجلس الفنون والآداب بالقاهرة بطبع عدة كتب ومراجع احياء لذكرى صلاح الدين الايوبي .

❋ سيحتفل بالقاهرة بذكرى علم المسرح العربي جورج أبيض.

❋ نظمت فى القاهرة مسابقة فى تاليف القصص القومية تستمد موضوعاتها من الاحداث التاريخية الكبرى للامة العربية

* اصدر الدكتور احمد سويلم العمري عميد معهد العلوم السياسية كتابا ضخما بعنوان « اصول العلاقات السياسية والدولية » ويعد هذا الكتاب اوسع موسوعة للعلوم السياسية ظهرت حتى الآن باللغة العربية .

* تقرر اعتبار يوم 8 فبراير عيدا قوميا بالمنصورة احتفالا بمرور سبعمائة سنة على هزيمة لويس التاسع واسره فى دار ابى لقمان ، وقد احتفل بهذا اليوم احتفالا رائعا .

* نقلت اخيرا الى اللغة الكورية كتب عربية منها « الايام » لطه حسين و « عودة الروح » لتوفيق الحكيم و « مجنون ليلى » لاحمد شوقي .

* اعلن مدير مصلحة الآثار المصرية ان العلماء الاثريين المصريين عثروا فى متحف القاهرة على قطع تحمل كتابات قديمة ولهذه القطع قيمة تاريخية كبرى. وكانت هذه القطع الى عهد قريب مكدسة مع غيرها فى حجرات بمتحف ميدان التحرير بالقاهرة .

* جددت رئاسة الاستاذ احمد لطفي السيد للمجمع اللغوي للمرة السادسة فى شهر يناير الماضي.

* وجه الامين العام للجامعة العربية الدعوة الى رؤساء الدول العربية لحضور حفل افتتاح المبنى الجديد للجامعة فى عيدها الواقع فى 22 مارس المقبل .

* بدا تلاميذ العقاد فى تاليف كتاب عن استاذهم الكبير . سيكون الكتاب معبرا عن المدرسة العقادية من حيث اشتماله على اتجاهات متعددة واجيال متعاقبة . من بين المشتركين فى هذا الكتاب عبد الرحمن صدقي ، والدكتوران زكي نجيب محمود وعثمان امين . وكامل الشناوي ، وطاهر الجبلاوي ، وخليفة التونسي ، ونظمى لوقا ، وصوفي عبد الله ، وعبد الفتاح الديدي ، وجلال العشري ، وعامر العقاد.

* « عازف الناي » رواية تتحدث عن حياة المسلمين فى اسبانيا حاليا ، فازت فى مسابقة الشبان المسلمين وهي من تاليف عبد الكريم هينة الاخصائي النفساني بالمجمع اللغوي بالقاهرة.

* ظهر فى ندوة رابطة الادب الحديث شاعر عمره 15 سنة اسمه سعيد مصلوح من مواليد المينا ، وطالب بالسنة الاولى بكلية دار العلوم

* زار القاص المصري محمود تيمور ايطاليا واحتفل به هناك احتفالا لائقا به من جانب رجال الاستشراق والعلماء والادباء . وسيصدر فى القريب كتابا عن ايطاليا .

* اصدرت جامعة الدول العربية مجلة اسبوعية تحمل انباءها وانباء الدول الاعضاء .

* وافقت الجمهورية العربية المتحدة على الاشتراك فى المعهد العالي الجديد الخاص بتدريب الدبلوماسيين والذي تديره مؤسسة كارنيجي للسلام العالمي .

* « خليل مطران ـ حياته وشعره » كتاب جديد للاستاذ حسين منصور صدر حديثا فى الاقليم الجنوبي .

* طلبت الجامعة العربية من الازهر عددا من النسخ المعتمدة لترجمة القرآن الكريم لتوزيعها فى البرازيل .

* صدرت مسرحية بعنوان « هنري الرابع » للكاتب الايطالي بيراندلو وقد ترجم هذه المسرحية الى العربية الاستاذ محمد حسونة .

* محمود يوسف ، مدير مكتب توفيق الحكيم يؤلف كتابا عن الحكيم ، سيروي فيه ذكرياته معه خلال 15 سنة .

* الاديبة جاذبية صدقي ، تعد مشروعا لانشاء جمعية لحماية ادب الناشئات .

* الأديبة صوفي عبد الله اعدت قصة اجتماعية فى 12 شهرا اسمها «ولكن هيهات» وستصدر قريبا .

* عشرون قصة من الآداب الهندية الحديثة تقدم للمكتبة العربية لاول مرة . ترجمها الشاعر خليل جرجس خليل وقدم لها الاستاذ العقاد بدراسة وافية ذكر فيها ان هذه الاقاصيص تجاري فى أسلوبها احسن الاساليب المأثورة فى الاداب العالمية .

* يدرس المجلس الأعلى للفنون والآداب بالقاهرة نقل جثمان الشاعر الكبير خليل مطران من مقبرته الحالية الى مقبرة جديدة تنشأ على نفقة المجلس .

* قريبا تصدر الترجمة العربية لكتاب المستشرق الالماني بروكلمان من تاريخ الادب العربي ، ويعتبر هذا الكتاب اهم المراجع فى ميدانه . لكن بروكلمان لم يعن بكل المراحل التي عاشها ادبنا العربي وسوف يتناولها كتاب آخر فى ستة اجزاء يكتبه الآن الدكتور فؤاد سزجين المدير الثاني لمعهد الدراسات الاسلامية فى استامبول وقد اعتمد فيها على المخطوطات النادرة الموجودة فى جامعات ومكتبات اوربا واستامبول والجمهورية العربية المتحدة .

* تظهر قريبا سلسلة روائع المسرح العالمي التي تصدرها الادارة الثقافية بوزارة الثقافة والارشاد القومي بالقاهرة . والقصة الاولى « سيرانو دي برجراك » ترجمة عباس حافظ وراجعها محمد صبري السوربوني وقدمها عبد الرحمن صدقي . واما مسرحية « الشقيقات الثلاث » قام بترجمتها علي الراعي وبمراجعتها لويس مرقص . والمسرحية الثالثة « اعمدة المجتمع » نقلها الى العربية عزيز عثمان وراجعها محمد بدران وقدم لها ذريني خشبة .

* الملك سنوسرت الثالث هو اول رجل فى التاريخ وصل البحرين المتوسط والاحمر بطريق عن قناة النيل . الان سيترك عرشه فى متحف الآثار المصرية ليتربع على القاعدة التي احتلها تمثال المهندس الفرنسي دليبس على مدخل قناة السويس منذ اواخر القرن الماضي حتى نهاية عام 1956 . اجتمعت لجنة من الخبراء فى الآثار ورجال مصلحة السياحة وقناة السويس لوضع برنامج رحلة الملك الفرعوني من متحف الآثار الى شاطىء القناة .

* « حال الدنيا » عنوان قصة كتبها حسن رشاد ، وتناول فيها المشاكل الاجتماعية للجمهورية العربية المتحدة . والمؤلف عالم روحاني ، وقال ان الارواح هي التي املت عليه عنوان القصة .

* بدرو مرتينث مدير المركز الثقافي الاسباني فى القاهرة يقوم بترجمة مجموعة من القصص القصيرة الى اللغة الاسبانية لبعض القصاصين بالاقليم الجنوبي . وسيقوم بنشرها فى اسبانيا وامريكا اللاتينية والادباء الذين ترجم قصصهم هم : عبد الحليم عبد الله ، ونجيب محفوظ ، ويوسف السباعي ، ويوسف ادريس ، وبعض الشعراء الشباب .

* فى 350 صفحة صدر كتاب فى المدة الاخيرة بالقاهرة بعنوان « آسيا كما يراها الاسيويون » وهو عبارة عن مجموعة من المقالات الطويلة عن الحكمة الاسيوية والشرقية عموما قام بنشرها باللدون دنجرا الذي قال فى هذا الكتاب ان آسيا ما تزال مجهولة عند الاوربيين وانهم لايعرفون عنها الا ماكان يعرفه الرواد الاوائل ، وان فلسفتها وآدابها ودينها وفنها يحتاج الى تعريف متواصل

* « بدون عنوان » مجموعة من التمثيليات صدرت اخيرا فى كتاب للدكتور يوسف عز الدين .

* وافق وزير الثقافة والارشاد القومي بالقاهرة على مشروع متحف الثورة ومتحف النسخ الفرعونية الموجودة فى المتاحف العالمية .

* ثلاث مسرحيات عالمية ظهرت اخيرا باللغة العربية فى القاهرة . وقد قامت بطبعها الادارة الثقافية بوزارة الثقافة والارشاد القومي وهي « الشمعدان » لالفريد دى موسيه و « مروحة اللادىدرندرميز » لاسكاروبلد و « سيرانو برجراك »

* توفيق حنا وسمير سوبلم من الاقليم الجنوبي يترجمان رواية « امراة محاصرة » للكاتب الانجليزي دزموند ستيوارت . وهذا المؤلف ليس غريبا عن القاريء العربي فقد كتب مسرحية عن الحرب الجزائرية تدخلت السلطات الفرنسية لمنع عرضها فى لندن وستعرض فى القاهرة قريبا . ومعروف ان وزموند ستيوارت ترجم قصة « الارض » لعبد الرحمن الشرقاوي الى اللغة الانجليزية .

* صدر لنقولا يوسف كتاب بعنوان « اعلام دمياط .

* « لوليتا » ديوان شعر بالفرنسية من نظم رمضان بيومي وسيصدر فى هذه الايام .

* الدكتور محمد مصطفى حلمي استاذ الفلسفة الاسلامية والتصوف الاسلامي بجامعة القاهرة يقوم باعادة طبع كتابه « الحياة الروحية فى الاسلام » .

* مجلس الفنون والآداب احال مشروع العقود الادبية والفنية بين الادباء والناشرين على لجنة

قانونية لوضعه فى الصيغة النهائية . وشكلت اللجنة برئاسة الدكتور السعيد مصطفى السعيد مدير جامعة القاهرة .

* انتهت لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة من اعداد كتاب « ازمة الشرق الاوسط » تاليف جاي ونيت وبيكر كانفورسكي وترجمة احمد بدران .

* ترجم كتاب « الايام » للدكتور طه حسين الى اللغة الروسية .

* يراجع الاستاذ عبد الرزاق نوفل كتابه الجديد « المسلمون والعلم الحديث » وهو الكتاب الرابع من مجموعته التي يربط فيها بين العلم والدين. والكتاب يثبت ان المسلمين سبقوا العالم فى ابحاث الذرة والفضاء وما وراء الطبيعة

* ديوان الشاعر احمد عبد المجيد الغزالي سيصدر قريبا فى بيروت ويشتمل على جزئين الجزء الاول يضم اشعاره فى البطولات العربية ، والجزء الثاني يضم اشعاره العاطفية . الاول كتب مقدمته الشاعر العراقي رضا الشبيبي والثاني قام بتقديمه الشاعر عزيز اباظة .

* يعد عبد الرحمن عون كتابا عن حروب المسلمين فى القرنين الاول والثاني للهجرة .

* تم طبع سجل العرب الذي حرره الدكتور ابراهيم عبده وبعض اساتذة الجامعات باللغات العربية والانجليزية والفرنسية .

* ترجم الدكتور مصطفى بدوى المدرس بجامعة الاسكندرية الى العربية كتاب « الاحساس بالجمال » لجورج سانتيانا .

* احرزت منى فكري على ليسانس فى الموسيقى العربية . وهي أول عربية تحرز على هذه الشهادة .

* ترجمت الى اللغة الانجليزية ثلاثون قصة لنقولا يوسف .

* اعد رزق محمد قمح دراسة تحليلية للشاعر الراحل علي الجارم .

* « ديوان جميلة » من تاليف جميلة العلايلى صدر اخيرا .

* تفرغ عبد الحميد جودة السحار لكتابة السيرة النبوية .

* « الشعر كمصدر تاريخي » موضوع الكتاب القادم للدكتور حسن ظاظا .

* اعلن اعضاء بعثة من الدانمرك انهم عثروا على بقايا مدينتين بسوريا يعود تاريخهما الى ثلاثة آلاف سنة ق . م . تقوم احداهما بسهل سوكاس فى الساحل السوري .

* قررت الادارة العامة للآثار بدمشق ترميم ضريح البطل العربي الكبير صلاح الدين الايوبي واعادة بنائه طبقا لنمط العصر الايوبي .

* صدر للكاتب يحيى حقى كتاب بعنوان « خليها على الله » .

* صدر للقاص السوري مطاع صفدي مسرحية بعنوان « الآكلون لحومهم » .

* صدرت فى لبنان مجموعة من رسائل امين الريحاني المتبادلة بينه وبين اصدقائه بعنوان « رسائل الريحاني »

* يعد الشاعر الكبير بشارة الخوري (الاخطل الصغير) ديوانا جديدا للطبع ومجموعة قطع نثرية كان ينشرها فى الصحف اللبنانية وخصوصا فى صحيفة (البرق) ومن المعلوم ان هذا الشاعر كان قد اصدر ديوانا بعنوان (الهوى والشباب) وهو الديوان الاول لهذا الشاعر الكبير صدر عن دار المعارف بمقدمة عادل الغضبان .

* اعيدت فى لبنان طبع جميع كتب ميخائيل نعيمة ، وجبران ، وكرم ملحم كرم .

* صدرت فى لبنان مجموعة قصص للقاص المعروف عبد السلام العجيلى .

* ستقوم فرقة لبنانية فنية برحلة واسعة تزور خلالها الاردن ، وليبيا ، وباريس ، والمغرب ، ودكار وستقيم فى كل هذه الاقطار حفلات فنية .

* الدكتور صلاح الدين المنجد مدير معهد المخطوطات العربية اعد وثائق ومخطوطات لم تنشر عن الديموقراطية عند العرب .

* « الاسلام نظام انساني » دراسة فكرية للشيخ مصطفى الرافعي قاضي بيروت الشرعي واحد كبار اساتذة الجامعة اللبنانية وهو لايشبه صادق الرافعي فى الاسم فقط بل يشبهه تماما فى غيرته على الاسلام وحرصه على اللغة العربية وفى تمجيده للقديم . وقد صدر هذا الكتاب اخيرا عن دار مكتبة الحياة بلبنان .

* تقوم لجنة تخليد ذكرى المفكر اللبناني الخالد جبران خليل جبران بانشاء متحف خاص به فى بيروت يضم مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة ورسائله وما ظهر من ترجمة كتبه باللغات الاجنبية ، واللوحات التي رسمها.

* نقل الى العربية بهيج شعبان لمكسيم كورغى روايتــه « وراء الرغيف » .

* احتفلت الاوساط الادبية بلبنان بالذكرى السبعينية لولادة كاتبها الكبير ميخائيل نعيمة . وبهذه المناسبة اصدر نعيمة كتابا بعنوان «سبعون..» تحدث فيه عن مراحل حياته الادبية .

* شرع المجمع العلمي العراقي فى وضع مصطلحات فنية للنبات بناء على اقتراح وزارة الزراعة العراقية .

* امر الملك سعود بفتح مدارس لتعليم البنات فى السعودية . وسيشرف مفتي السعودية على برامج التعليم .

* افتتح فى كابل عاصمة افغنستان المكتب الثقافى الذي انشاه قسم التعاون والتبادل الثقافي بوزارة التربية والتعليم تنفيذا للاتفاقية المعقودة بين البلدين.

* صدر كتاب بعنوان « مختارات من القصص الشعبية الباكستانية » عربه وقدم له عطا حسين .

* احتفلت الباكستان بذكرى ميلاد القائد العظيم المرحوم محمد علي جناح .

* اصدر الكاتب الشاعرالروسي بوريس باستنراك كتابا جديدا بعنوان « جواز » اعتبره بعض النقاد افضل من رواية « الدكتور زيفاكو » .

* لاول مرة فى تاريخ العلاقات الفنية بين المانيا الغربية والاتحاد السوفياتي بعد الحرب قامت فرقة المسرح الالماني فى هامبروج بالتمثيل فى الاتحاد السوفياتي فى الايام الاخيرة . فمثلت قطعة «فاوست» لغوته ثم رحلت الى موسكو فاستانفت التمثيل هناك. ومن جملة القطع التي قدمتها فى برنامجها التمثيلي قطعة وفاة «فالنشتاين» لشيلر . واشتركت بالحضور كبار الشخصيات السوفياتية فى موسكو من بينها الكاتب الروسي باستنراك .

* اعلنت وكالة طاس السوفياتية ان حكومتي الاتحاد السوفياتي و ج.ع.م. صادقتا على اتفاقية تنص على توسيع نطاق المبادلات الثقافية بين موسكو والقاهرة . وينص البلاغ على ان عددا من العلماء السوفييت سيتوجه الى القاهرة فى هذه السنة ليفيدوا بمعلوماتهم مراكز البحوث العلمية المصرية . كما ان عددا من الطلاب والمعلمين بالعربية المتحدة سيتوجهون الى روسيا لقضاء مدة فى الدراسة .

* اكتشف بعض علماء الآثار التابعين لجامعة تيسلفانيا قبر نبيل فارسي يرجع تاريخه الى 28 قرنا خلت كما عثروا على آثار الحياة الزراعية فى ايران منذ ستة آلاف سنة فى مدينة هاساناواي فى العصر الحديدي ، كما عثروا على ثلاثين من قبور المحاربين فى المدينة نفسها يرجع تاريخها الى القرن التاسع ق.م.

* دعت جمعية الاسلام بفينا وهي مؤسسة انسانية تعليمية ترعى اللاجئين المسلمين فى اوربا الى استرعاء اهتمام الأزهر الشريف والمؤتمر الاسلامي بالقاهرة وسائر رؤساء وملوك الدول العربية والاسلامية الى اللاجئين المسلمين فى اوربا الذين هاجروا ديارهم واوطانهم فرارا من النظم الصهيونية والاستعمار ان يمدوا لهم يد المساعدة .

* عثر عند السيد كونان جوفانوفيتش من يوغوسلافيا على اصغر كتاب لايزيد طوله على ثلاثة

سم وعرضه على اثنين سم ولا يمكن قراءته الا بواسطة مكبرة . وهذا الكتاب هو القرآن الكريم . وقد كان يعتقد الى اليوم ان التوراة المطبوع ببريطانيا هو اصغر حجم لكتاب فى العالم الى أن عثر على هذا المصحف الكريم .

* فى جمهورية المانيا الاتحادية اليوم 2264 دارا للنشر . وتدل الاحصاءات على أن هذه الدور اخرجت فى العام المنصرم 20476 كتابا جديدا بالالمانية .

* احتفل مؤخرا بجامعة بون بافتتاح معهد اللغات الشرقية بحضور عدد كبير من الاساتذة والمستشرقين الالمان وكبار المثقفين .

* قرر اتحاد رجال صناعة الفتوغرافيا الالمانية الذي يقوم بتنظيم معرض فوتوكينا فى كولونيا ان يكون افتتاح دورة هذا المعرض القادمة فى 24 ستمبر الى 2 اكتوبر سنة 1962 . هذا وسيكون معرض فوتوكينا فى عام 1960 مقدمة حسنة لرفع شانه كسوق عالمية للفوتوغرافيا فى المستقبل . وسوف يكون حتى ذلك التاريخ قد مضت عشرة اعوام على افتتاح دورته الاولى التي عقدت فى عام 1950 .

* اقيم فى فرانكفورت معرض هام للكتب .

* تم فى مدينة مونيخ بالمانيا الغربية وضع الحجر الاساسي للبناية المعدة لتركيب تيلفون الكتروني وسيكون الاول من نوعه فى اوربا . وسيكون جاهزا بعد بضع سنوات حيث يتمكن المتكلم من الاتصال تيلفونيا بصورة اوتوماتيكية مع اية ناحية من انحاء العالم .

* اشترت كل من المانيا واميركا وانجلترا ويوغوسلافيا وايطاليا حقوق ترجمة كتاب للشاعر الروائي الفرنسي لويس اراغون « الاسبوع المقدس ».

* احتفلت اخيرا اكاديمية العلوم فى بافاريا ـ مونيخ بمرور مائتي سنة على تاسيسها .

* « الجزائر فى شباب النار » بهذا العنوان صدرت مجموعة قصصية للكاتب الالماني ماكسيميليان شير الذي يصور فيه كفاح الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي . وقد منحت حكومة المانيا الشرقية هذا المؤلف جائزة السلام .

* روبرت شو الذي اشترك فى بطولة فيلم « الطويل والقصير والطويل جدا » وفيلم «نهر آخر» تحول فجاة الى كاتب قصصي. ظهرت له اخيرا قصة باسم « المكان المختفى » التي اعتبرها النقاد من قصص الدرجة الاولى . كتب فى مقدمتها : ممنوع اخراجها فى السينما الا باذن خاص .

* أصدرت دار كليمار للنشر بفرنسا كتابا للاديب الشاعر الرسام السينمائي جان كوكتو بعنوان « الشعر والنقد » .

* قامت دار هاشيت للطباعة والنشر باستفتاء بين القراء فى اربع مقاطعات من شمال فرنسا . وكان السؤال الآتي من بين الاسئلة الواردة فى هذا الاستفتاء : كيف تختار الكتب ؟ واتصلت الدار بهذه الاجوبة . يقع الاختيار بناء على : وفاء لكاتب ما وتعلق به . نصائح باعة الكتب . نصائح الاصدقاء . فن اخراج الكتاب وتقديمه .

* صدر للكاتبين المشهورين ارثر كسلر والبير كامو الراحل كتاب مشترك بعنوان « تأملات فى المشنقة » وهو بمثابة نداء موجه الى الحكومات والضمير العالمي لالغاء الحكم بالاعدام على المجرمين .

* انهى جان كوكتو الاديب الفرنسي المعروف وعضو الاكاديمية الفرنسية من تصوير الفيلم الجديد « وصية اورفيه » وبهذه المناسبة تحدث جان كوكتو عن السينما وقال انها عبارة عن وسيلة لتقديم ماهو غير واقعي بشكل واقعي ، انها عبارة عن نبع افكار ، والسينما تحول الفكرة الى عمل .

* عن 87 سنة توفى الكاتب الفرنسي المجمعي فرناند كريك .

* بتاريخ 4 يناير توفى الكاتب الفرنسي الشهير البير كامو فى حادث سيارة فاحدثت وفاته حزنا كبيرا فى الاوساط الادبية الفرنسية والعالمية . ولد كامو فى قرية جزائرية بعمالة وهران من اب فرنسي وام اسبانية . تخرج فى الفلسفة والدراسات

العليا . احترف الصحافة مدة طويلة . ومن الكتب التي عرفت باسمه كتابه : « الاجنبي » . احرز على جائزة نوبل سنة 1957 ، احرز كتابه « الطاعون » على جائزة النقد سنة 1947 . من اهم مؤلفاته « الزواج » « وقفة بوهران » « رسالة الى صديق الماني » «الطاعون » «الرجل الثائر » . ومن مسرحياته المهمة «الخلاف» «العادلون» «السقوط» . وقد ترك كتابا مخطوطا بعنوان « الانسان الاول » سيصدر قريبا .

❊ تصدر قريبا في مدريد مجلة « العالم العربي » باللغات الاسبانية ، والفرنسية ، والعربية ، والانجليزية .

❊ سيدشن قريبا في مدريد « البيت العربي الاسباني » وترمي هذه المؤسسة العلمية الى تزويد العرب والمستشرقين بجميع التسهيلات والمساعدات لدراسة التاريخ العربي باسبانيا والادب العربي في الاندلس . وستحتوي هذه المؤسسة على فهرس ضخم يكون مرجعا للابحاث كما يضم افلاما مصورة دقيقة لجميع المخطوطات بالاضافة الى انها ستنظم مسابقات وجوائز وحلقات دراسية موسيقية .

❊ منحت جوائز الآداب الوطنية الاسبانية على هذا الشكل :
جائزة فرانسيسكو فرانكو لميكيل سكوان .
جائزة مننديث بلايو لخوسي لويس البركي . جائزة ميكيل سرفانطيث للسيدة انا مريا مطوطي . جائزة خوسي انطونيو للشاعر الاشبيلي رفائيل لفون .

❊ منحت جائزة ندال لمدينة برشلونة للكاتبة مريا ماطوطي .

❊ ان جوائز «خوان مارش» الاسبانية للرواية والمسرح والشعر قد منحت لهؤلاء الكتاب : كونثالث طونطي على قصته «السيد اتي» ، انطونيو بويرو بايخو على مسرحيته «اليوم حفلة» ، خوسي ايرو على ديوانه «كل ما اعرفه عن نفسي» . وقدر كل واحدة من هذه الجوائز 3.000.000 فرنك .

❊ جاء في احد اعداد مجلة ا.ب.ث. المدريدية هذا النبأ : «ان جائزة خوان مارش الادبية سترقى الى جائزة عالمية كجائزة نوبل ، وسيرصد لها 25.000 دولار ، وسيعلن عنها بهذه الصفة قريبا .

❊ تدل الاحصائيات الدولية على ان احتياجات العالم الى ورق الصحف ستزداد خلال السنوات المقبلة اذ ينتظر ان تقفز من 11.280.000 طن في عام 1955 الى 17 مليون طن في عام 1965 ثم الى 26 مليون طن في عام 1975 ، ذلك مايقدره خبراء 16 بلدا اجتمعوا في روما اخيرا برعاية منظمة الامم المتحدة للاغذية والزراعة . وقد استعرض الخبراء اتجاهات السوق الحالية واوصوا بضرورة العمل على تنمية صناعات عجينة الورق في البلاد المتخلفة اقتصاديا . ذلك ان ازدياد الانتاج يعتبر عاملا اساسيا للتطور الاقتصادي والتربوي والاجتماعي في تلك البلاد التي يتعذر عليها الاستيراد .

❊ استقبلت الاوساط الادبية في اوربا باعجاب شديد قصة الفها الكاتب السويسري الشاب فريدريك دورينمان بعنوان « الخال » .

❊ تقيم الفنانة المصرية الآنسة امل معتوق معرضا للصور الزيتية في ايطاليا .

❊ بدا موسم الشتاء في اوبرا روما بعرض اوبرا لفردي الذي تقع الذكرى المئوية لاول عرض لها في 17 فبراير الحالي وينتهي الموسم في ابريل سنة 1960 .

❊ توصل علماء الآثار العاملون في منطقة « لينوري » بايطاليا الى اكتشاف بلدة تقع تحت الارض يرجع تاريخها الى 8 قرون ق.م.

❊ وضع الكاتب الانجليزي الشاب ف . ب . فيكرز وهو يعيش في النمسا قصة بعنوان «السراب» يصور فيها باسلوب شيق مؤثر حياة رجل استرالي المولد وقع في شباك التمييز العنصري والكراهية التي يظهرها الرجل الابيض .

❊ ماري شيلي مؤلفة روايات « فرانكشتين » التي كانت تتخطفها السينما في اوائل هذا القرن ، ظهر لها كتاب عن تاريخ حياتها . ويبدا بقصة هروبها في سن السادسة عشرة من المنزل لتتزوج الشاعر الانجليزي بيرس شيلي . وقد كتبت هذه الروائية اول قصة لها عن « فرانكشتين » وعمرها 19 سنة .

❊ صدرت اخيرا ملحمة شعرية جديدة للشاعر الانجليزي جون ماسفيلد بعنوان « قصة اوسيان » .

❊ عرض في الشهر الماضي بلندن تمثال من تحت ابرع نحاتي ايطاليا في عصر النهضـة وهو ميخائيـل انجلو وذلك في معرض الشتاء الـذي يقيمـه المجمـع الملكـي الانجليزي . وتقدر قيمة هذا التمثـال حاليا بمليار و 400 الف من الفرنكات وهو يمثل العـذراء وطفلها والقديس يوحنا . وستعرض الى جانبـه 650 تحفة من التحف الفنيـة التي يرجـع عهدهـا الى عصـر النهضـة .

❊ صدر بلندن كتاب « التكعيبية » لمؤلفه جـون قولدن وهو تاريخ وتحليل الفن التكعيبي في الرسم .

❊ صدر في بريطانيا كتاب « الثورة البريطانية » لكاتبـه بوب تيلـور .

❊ صدر في لندن لونستون تشرشل كتاب بعنوان « بواكيـر عمـري » وهو مجموعة مقالات كانت قـد حـررت سنـة 1920 .

❊ توفي اخيرا العالم شارل توماسون ولسن في التسعين من عمره . ومعلوم ان هذا العالم الاسكتلندي يحمل لقب «الرجل الذي فتح نافذة على العالم الذري» اذ كان يدرس منذ سنة 1895 نواة الـذرة . وقـد احرز العالم الكبيـر على جائـزة نوبـل للطبيعيـات سنـة 1927 .

❊ منحت اكاديمية الفنـون والعلـوم الاميركية وسام « امرسون توريو » للشاعر الانجليزي اليوت . وقـد سمي الوسام باسـم فيلسـوفين اميركييـن مشهورين ايضا عاشا في القرن الماضـي وهمـا رالف الدو امرسون وهنري دافيد توريو . وجدير بالذكـر ان اليوت كان قد نال جائزة نوبـل للاداب .

❊ « قطة بين اليمامات » وهـو عنـوان قصـة جديدة للكاتبة الانجليزية اغاثـا كريستي . صـدرت اخيـرا في لنـدن .

❊ قال سومرست موم انه ظل يكتب القصص 60 عاما متوالية . وانه قرر ان يتوقف عن الكتابة بعدما احس انه اصبح مثل البركان الخامد . قال ايضا انـه لايعتبر نفسـه كاتبا روائيا ، وانه مجرد سائح يحاول استعادة ذكرياته في البلاد التي ذكرها في قصصه .

❊ عقـد مؤخـرا بـ « اسطينك » ـ انجلتـرا مؤتمـر للشطـرنـج .

❊ « مناهج البحث في علم النفس » هو عنـوان كتاب الفته نخبة من اساتذة علم النفس في اميركـا باشراف ت.ج. اندروز ، وقامت بترجمتـه نخبـة من اساتذة علم النفس باشراف الدكتور يوسف مراد.

❊ ت.س. اليوت اثار ضجة في الاوساط الادبية بلندن . كان متهما بعدائه للشاعر كبلنج او على الاقل بعدم الاعتراف بادبه . ومنذ ايام اعلن في ندوة ادبيـة انه تأثر بادب كبلنج في اشعاره . واكد ان كبلنج اعظم اديب انجليـزي في عصـره .

❊ اعلنت كتابة الدولة الاميركيـة انها ستحدث قريبا في القاهرة لجنة تسمى لجنة تبـادل الطلبـة والاساتذة بين الولايات المتحدة الاميركية والجمهورية العربية المتحدة . ويتركب الوفد من اربعـة اعضـاء اميركيين واربعة آخرين عرب .

❊ « الاميركي القبيح المنظر » عنوان كتاب لوليام ليـدرر صـدر حديثـا في اميـركـا .

❊ بعد النصر الاخير الذي حققته مجلة « تايم » الاميركية يطبع عدد من نسخها على اشرطة مسجلة يستمع اليها من لايقوى على القراءة لاي سبب كان . تقوم الآن بتقديم مجموعة من الادب والشعـر بنفس الطريقة . وتتضمن هـذه المجموعـة بعض قصائـد ومسرحيات شكسبير وتوماس هاردي . ومن المنتظر ان تحدث هذه العملية ضجة في الاوساط الادبية .

❊ ينظر القضاء الاميركي في النزاع بين ثلاث من كبريات دور النشر الاميركية حول حق نشر الاصـل الغير المنقح لرواية « عاشق الليدي شاترلي » للكاتب الانجليزي د . هـ . لورانس بعـد ان ضربت الرقـم القياسي في الشراء في الولايات المتحدة .

❊ اعلن مكتب الاحصاءات بواشنطن ان الولايات المتحـدة يسكنهـا الآن 178.804.190 مقـابـل

175.602.000 فى شهر يناير من السنة الماضية وتعزى هذه الزيادة الى انضمام ولايتي الاسكا وجزرها هاواي الى الولايات المتحدة .

✻ ارسل الامين العام للجامعة العربية عدة مصاحف الى جامعة ميسوري الاميركية .

✻ افتتحت للجمهور فى متحف بروكلين قاعات جديدة تضم ادوات من الفن المصري القديم تعود الى الفترة بين 1350 ق . م . الى مائة بعد الميلاد .

✻ ستصدر المكتبة الفلسفية بنيويورك فى القريب مؤلفا بعنوان « تاريخ الفلسفة المصور » يصف المدارس البارزة فى الشرق والغرب . وسيحتوي المجلد على ما ينيف على 1 000 من الصور والرسوم والتوضيحات الاثرية . ومؤلف هذا الكتاب هو العالم داغوبرت رونز الاختصاصي فى الفلسفة .

✻ قررت ادارة اكبر سجون اميركا وهو سينج سينج انشاء فصول لتدريس اصول كتابة القصة لتعليم هذا الفن للمسجونين وقالت ادارة هذا السجن ان الفصول الجديدة يمكن ان تنتج روائع . وان الكاتب الاميركي اوهنري الذي اعتبر من اشهر مؤلفي القصص القصيرة لم يكتب روائعه الا اثناء الخمسة اعوام التي قضاها فى السجن فى مدينة استن بتكساس .

✻ ادخلت جامعة بوسطن الاميركية ضمن برامجها دارسة « السياسة الاستعمارية فى افريقيا وسياسة افريقيا المعاصرة » .

✻ يصدر نادي القلم الدولي مجموعة من القصص المصرية اختارها وترجمها الاستاذ موسى سعد الدين لتوفيق الحكيم ، وابراهيم المازني ، وطه حسين ، وسعيد عبده ، ومحمود تيمور ، ومجموعة من القصص القصيرة ليوسف ادريس ، ومحمود البدوي ، ويوسف السباعي ، ويوسف الشروني ، وصالح موسى ، ومحمد صدقي . وقد كتب مقدمة الكتاب الكاتب الانجليزي هرمان اولد سكرتير نادي القلم الدولي .

✻ كان قد اهدى سومرست موم سكرتيرته منذ 14 عاما النسخة الاصلية من روايته «حد الموس» . وقال لها حينئذ : احتفظي بهذه الاوراق جيدا فستجلب لك ثروة يوما ما » وفى الايام الاخيرة باعت السكرتيرة هذه النسخة بخمسة آلاف جنيه .

تصحيح خطأ

فى العدد الماضي وقعت بعض الاخطاء بمقال « ابن عمرو الرباطي » للاستاذ الفاضل السيد عبد الله كنون ، حيث لم تكتب « شخصيات مغربية » بالزاوية العليا من العنوان ، وحيث وقع تصحيف فى كلمات بعض الابيات نصححه فيما يلي حسب ترتيب الابيات :

ونحن اذ نصحح هذه الاخطاء نقدم اعتذارنا للاستاذ عبد الله كنون اولا وللقراء ثانيا ...

1)	وردت كلمة	يراء والصواب هو	بسرءاء
	» »	بباب » »	بباب
5)	» »	عكفاك » »	عكفاء
6)	» »	هيضل » »	هيطل
9)	» »	قيض » »	فيض

« دعوة الحق »

فهرس العدد الخامس ـ السنة الثالثة

مجلة « النصر »

مجلة ثقافية جامعة تصدرها « جمعية اصدقاء الادب » بتطوان .

في « النصر » تجد ايها القارىء العربي العزيز المقالات والقصائد والقصص التي تنتجها قرائح نخبة من الادباء والاساتذة والشعراء من ابناء هذا الوطن وأبناء اشقائنا واخواننا في العالم العربي .

طالعوا باستمرار « النصر » فهي مجلة ادبية تستحق من المواطنين كل رعاية وتشجيع .

تعد صناعة وزخرفة الخزف من أهم وأجمل فنون الصناعة التقليدية المغربية .

وهذا صانع مغربي منهمك في زخرفة اناء من الخزف الممتاز .

مطبعة فضالة ـــ المحمدية